

# منشأ هجر الشرق في القرن التاسع عشر

تأليف

عرجى زيدان

مفتىء الهلال

المجزء الثاني

يشتمل على تراجم رجال العلم والادب  
الذين توفوا في اثناء القرن التاسع عشر  
واول هذا القرن وفيهم اركان النهضة العلمية والمنشئون  
وكتاب الجرائد وسائر رجال الاقلام والشعراء

الطبعة الثالثة

مطبعة الهلال بشارع نوبار عمرة ٤ بمصر

سنة ١٩٢٢



تراجم  
مشاهير الشرق  
في القرن التاسع عشر

---

تأليف

عرجي زيدان

مطبعة الهلال

---

الجزء الثاني

يشتمل على تراجم رجال العلم والادب  
الذين توفوا في اثناء القرن التاسع عشر  
واول هذا القرن وفيهم اركان النهضة العلمية والمنشئون  
ككتاب الجبرائيل وسائر رجال الاقلام والشعراء





## مقدمة الطبعة الاولى

صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وفيه تراجم رجال الادارة والسياسة الذين برزوا في الشرق في القرن التاسع عشر الماضي . وخصصنا الجزء الثاني هذا لتراجم الذين نبغوا فيه بالعلم والادب والشعر ممن توفوا قبل دخول هذا القرن من أهل الشرق او الافرنج الذين خدموا الشرق وقضوا معظم حياتهم فيه . كانهم من ابنائه كالدكتور كلوت بك والدكتور فان ديك وغيرهما

وقسمنا تلك التراجم الى اربعة ابواب جمعنا تحت كل منها فئة من هؤلاء المشاهير يشتركون في صفة واحدة . ورتبنا تراجمهم في كل باب باعتبار سني وفاتهم اما الابواب هي :

١ أركان النهضة العلمية الاخيرة

٢ المنشئون وكتاب الجرائد

٣ سائر رجال الاقلام

٤ الشعراء

ولا يخفى ان التقسيم المذكور تقريبي اذ يغلب أن يشترك الواحد من هؤلاء في الانشاء والشعر أو يكون من أركان النهضة ومن المنشئين معاً . فوضعنا كلا منهم في الباب الذي يغلب فيه واشرنا الى اشتراكه في سواه

وقد بذلنا الجهد في تحري أعمال هؤلاء المشاهير ومناقبتهم من أوثق المصادر واصدق الروايات مع ما خبرناه بنفسنا من عاصرناهم وعرفناهم . ولم نذخر وصعاً في  
١٠ . أهل القرن الماضي والبحث عن تراجمهم مع ما يحول  
تشورة في هذا الشأن . فسعيننا في الحصول على  
١١ . البعض من اقاربهم أو اصدقائهم برسائل  
الهلال . ومع ذلك لا يزال بعض تلك  
١٢ . لها فاذا توفر لنا ذلك واجتمع

فتتقدم الى اهل الاطلاع ان يبحثوا اليها بما يعرفونه من تراجم من فاتها ذكرهم  
من رجال العلم أو الادب أو الشعر من أهل القرن التاسع عشر في أي اقليم من اقاليم  
الشرق — في مصر أو الشام أو جزيرة العرب أو العراق أو فارس أو الهند أو غيرها  
من سائر المشرق . والله المستول ان يلهمنا السداد وهو حسبنا ونعم الوكيل



(كلوت بك) وكان في جملة من استخدمهم للإصلاح العلمي النظامي الشهير الدكتور كلوت بك صاحب الترجمة استقدمه من أوروبا بقصد تطبيب الجيش منعاً لتفشي الأمراض فيه . وهو فرنساوي الجنس والنزعة واسمه الاصلي انطون برطلي كلوت ولد في غرينوبل بفرنسا سنة ١٧٩٣ م من أبوين فقيرين وربى في شظف من العيش وضيق ذات اليد على ان ملاح النجاجة كانت تلوح على وجهه ومواهبه الطبية تتجلى في اعماله منذ كان صيياً لانه كان على صغره ولماً بتشريح الحشرات ودرس طبائعها . وتوفي والده سنة ١٨٠١ م بعد ان نزع الى برينول وكان له صديق اسمه الدكتور سايبه فلما عين ما في الغلام من المواهب على حاله من الفقر جعله مساعداً له يرافقه في اعماله الطبية ويتمرن في الجراحة وكان كلوت يطالع ذلك العلم بنفسه ساعات الفراغ حتى قرأ كتاب الجراحة تأليف ( لافه ) ثم رأى أن برينول اصغرها لا تنفي بما تجنح اليه نفسه ولا تروي مطامعه فنزع الى مرسيليا رغم اعادة والدته التي كانت كثيرة التعلق بولدها هذا لانه كان وحيداً لها ولكنه اصر على عزمه وضغط على عواطفه طلباً للعلم وسعياً وراء العلم وهو لا يملك الا بعض الدريهمات وشيئاً من الثياب على انه لم يلاق في مرسيليا الا الحيرة فحدثته نفسه ان يسافر في سفينة جراحاً لبحارتها ويحصل مشاق الاسفار واطوارها سداً لعوزه وهو في التاسعة عشرة من سنه فلم يقبله ربانها وكان ذلك لحسن حظ المترجم لان السفينة غرقت في ذلك السفر

فاضطره العوز لتعاطى مهنة الحلاقة فصار يختلف الى حلاق يبالغ بالفصد والجراحة الصغرى . ثم عاد الى بلده مرغماً ودخل في المستشفى بعد عناء وتكرار الالتماس واكب على الدرس والمطالعة حتى نسخ بين اقرانه ولكن الفقر كان لا يزال ضارباً اطنا به بين يديه . وفي سنة ١٨١٧ اتهم بدروسه وعين طبيباً صحياً وكان قد درس العلوم بنفسه واتقن اللغة اللاتينية على احد القسوس ونال رتبة بكلوريوس في العلوم ( بكلوريا ) وفي سنة ١٨٢٠ نال شهادة الدكتورية بعد شق النفس ومعاناة البلاء ولكنه اصبحت قابضاً على ما يؤهله للعمل والتعيش . فعاد الى مرسيليا وعين طبيباً ثانياً بمستشفى الصدقة ومستشاراً جراحياً بمستشفى الايتام فتم به بعض ذوي الحسد فاقتيل من منصبه ولكنه لم يسع في الانتقام بل تضاعفت همته في العمل — اراد بذلك ان يبرهن على عدم اكترائه بالسعاية والوشاية وانه انما ينال الشهرة والسعادة بالسمي والاجتهاد فكاتب كتاباً في استعمال آلات الولادة في الاحوال الخطيرة حتى صار دكتوراً في فن الجراحة وذاع صيته في مرسيليا وكان ذلك كافياً لرغم انف حسوده

وفي سنة ١٨٢٥ اجتمع اليه الميسو تورنو وكان تاجراً فرنسائياً من نزالة مصر بعث به المغفور له محمد علي باشا لاختيار من يليق بمنصب طبيب لجيشه فخبب اليه المسير الى مصر في ذلك المنصب فقدم على طبيب خاطر فرأى امامه باباً واسعاً للعمل لما قد علمت من حاجة البلاد الى الاصلاح الطبي فاخذ يعمل ليله ونهاره مفكراً في الوسائل المؤدية الى المراد. وكان محمد علي باشا يركن اليه ويشق برأيه ويحجب مطالبه فاسس اولاً مجلساً صحياً ليستعين بأعضائه على الاجراء والتنفيذ وبث الوصايا الصحية فرتبه على مثال المجالس الصحية الفرنسية ولا تعام النظام العسكري أنشأ المستشفيات العسكرية ومصلحة الصحة البحرية. ولا يخفى أن المستشفيات تحتاج الى عمالة من الاطباء والتومرجية وغيرهم ولم يكن في مصر شيء من ذلك فاضطر ان يعلم كلاً من هؤلاء واجباته من التطبيب وملاحظة المرضى وغير ذلك. وأشهر المستشفيات التي بنيت بناء على اشارته مستشفى ابني زعبل وهي قرية على مسافة اربعة فراسخ من القاهرة وكانت مقر الجند وانشأ في المستشفى بستاناً للنبات وفي نحو سنة ١٨٢٨ م اسس المدرسة الطبية في تلك القرية أيضاً اراد بذلك ان لا يقتصر الطب على الجيش بل يتعلمه أبناء البلاد حتى يفيدوا ابناء جلدتهم بتطبيبتهم وتعليمهم وكان في السنين الاولى من تأسيس هذه المدرسة هو وحده الذي ياتي الدروس بواسطة المترجمين تسهيلاً لفهمهما فترجمت كتب عديدة اذ ذاك وفي جملتها قاموس نستين الطبي وغيره من كتب الطب والجراحة والعلوم الطبيعية. ومما كان عقبة في طريق التشريح العملي ان تشريح جنث الموتى كان أمراً منكراً في عيون المشاركة فبذل كلوت جهده حتى أيسح له التشريح سرّاً على ان ذلك لم ينجه من غضب الاهالي عليه حتى ان احدهم جاءه يريد قتله خلصة بخنجر ولكنه لم يفز

وفي سنة ١٨٣٢ سار الدكتور كلوت بك في ١٢ تميزاً من تلامذة مدرسته هذه لامتحانهم في باريس فامتحانهم الجمعية العلمية الطبية فازوا استحسانها واطهروا كل نجابة وذكاء وبراعة. وهاك اسماء هؤلاء التلامذة :

مصطفى السبكي

محمد الشباصي

» السكري

» الشافعي

احمد بنجيت

محمد علي البقلي

احمد الرشيدى

حسن الرشيدى

محمد منصور

ابراهيم النبراوي

حسين الهياوي

عيسوي النجراوي

وقد كان نجاح هؤلاء المصريين في امتحانهم موجباً لمرور أستاذهم كلوت بك سروراً زائداً لأنهم سيكونون له عوناً في نشر الفوائد الطبية والوصايا الصحية في هذه الديار وفي سنة ١٨٣٨ نقلت المدرسة الطبية من أبي زعبل الى القاهرة وهي المعروفة بمدرسة قصر العيني . ثم انشأ فيها فرعاً لدرس فن القبالة يتعلمها النساء لعلهن ان عوائد المشاركة لا تسمح بولادة النساء على يد أطباء من الرجال وأنشأ هن مستشفى خاصاً بهن وكان لهذه الخدمة فائدة عظيمة خصوصاً لان النساء لمبالغتهن في التحجب لا يؤذن للطبيب بمساعدتهن في الولادة ولا الكشف عليهن في تشخيص بعض الامراض فكأن يموت منهن لنقص المعالجة . اما بعد مدرسة القوايل فصارت القبالة ( الداية ) تقوم باعمال الطبيب في معالجة النساء فكأن شفت أنفساً وكن أنقذت أناساً من الموت باذن الله

ثم رأى تعميماً للفوائد الصحية ان ينشئ اماكن للاستشارة الطبية بالقاهرة والاسكندرية ففعل وجعل في كل استشارة اجزاخانة وأنشأ اماكن كثيرة لمعالجة المرضى كالمستشفيات وغيرها في المدن الكبيرة في القطر . وادخل تطعيم الجدري للاطفال والعلماء ولم يكن متداولاً قبل ذلك بمصر فاوقف انتشار ذلك الوباء وكان يموت بسببه قبل ذلك الوف كلى سنة وقد ظهرت نتائج اجراءات الدكتور كلوت بك الصحية في ازدياد عدد سكان القطر الى اضعاف ما كانوا عليه

واظهر الدكتور كلوت سنة ١٨٣٠ من الهمة في دفع داء الكوليرا ومعالجة المصابين ما يشهد له به التاريخ وقد عرف له ذلك محمد علي باشا فانعم عليه على أثر ذلك برتبة « بك » وهي رتبة لم يكن يناها الا نفر قليل وكلوت اول من نالها من الاوربيين على ما نعلم . وأنعمت عليه الحكومة الفرنسية ايضاً برتبة ليجيون دونور . وفي سنة ١٨٣٥ ظهر الطاعون بالقاهرة فخاف الاطباء واعتزلوا في بيوتهم خوفاً من العدوى الا الدكتور كلوت بك وثلاثة من زملائه فانهم تابرؤا على خدمة المرضى ومعالجتهم وقد رأى صاحب الترجمة ان هذا الداء غير معد بمجرد الدنو من المرضى ومعالجتهم وقد طعم نفسه بالصديد الجدري المعروف بالمادة الفحمية

وكان لخدمته هذه وقع حسن في عيون محمد علي باشا وسائر من عرفه . فبعد انقضاء تلك الازمة انعم عليه محمد علي باشا برتبة ( جنرال ) وكتب اليه بذلك يقول « لقد تقلدت بصنيعك هذا قلادة الفخر فقد جعلتك لذلك جنرالاً » وأنعمت عليه الدولة الفرنسية برتبة اوفيسيه دي ليجيون دونور واهدته سائر الدول الاخرى نياشين بطبقات مختلفة اقراراً بخدمة لها في معالجة رعاياها اثناء ذلك الوباء

وفي سنة ١٨٤٠ سار الى فرنسا وعرض كتابين من تأليفه احدهما يشتمل على أعماله في مصر والثاني في الحوادث الوبائية . ولما سار المرحوم ابراهيم باشا في حملته الى الشام رافقه صاحب الترجمة فزار اكثر مدن الشام . والتقى في بيت الدين بالامير بشير الشهابي فالتقى منه هذا ان يتوسط له لدى عزيز مصر في ادخال نفر من اللبنانيين مدرسة قصر العيني لدراسة صناعة الطب على نفقة الحكومة المصرية فاجاب ملتزمه ثم عاد الى مصر . وما زال عاملاً بنشاط وغيرة حتى توفي محمد علي باشا ثم ابراهيم باشا وتولى عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ فاستأذنه الدكتور كلوت بك بالذهاب الى مرسيليا وبقي هناك حتى تولى سعيد باشا سنة ١٨٥٦ فعاد كلوت بك الى مصر وسنه ٦٣ سنة والظاهر انه رحل الى مرسيليا في عهد عباس باشا الاول لوحشة بينهما فاستشار سعيد باشا في من يليق لتولي ادارة المدرسة الطبية فاختر له خمسة من نوابغ الاطباء وهم كلوتشي بك وفيجيري بك وبرجير بك وشافعي بك ومحمد علي بك فتبادلوا رئاسة المدرسة الطبية والمستشفيات زمناً

أما كلوت بك فانه عاد الى باريس في سنة ١٨٥١ ونشر نبذة تتعلق بالحجور الصحية وأندمت عليه الحكومة الفرنسية برتبة كومندور دي لا ليجيون دونور . ومما ماله من علامات الشرف أيضاً لقب ( كونت روماني ) لقبه به بابا رومية لخدمة قام بها نحو المسيحيين وهو لقب يعطى لمن لا يقبل الرشوة . وفي سنة ١٨٦٠ سافر الى مرسيليا وتوفي فيها في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٦٨

وكان الدكتور كلوت بك ابن العريكة حسن الطوية محباً لابناء وطنه محافظاً على كرامة ديانه راغباً في العمل نشيطاً غيوراً متفناً لمهنته مخلصاً في خدمة الانسانية زهياً عن الاعراض الشخصية . ولذلك فقد تسابقت الدول الى اهدائه النياشين والرتب . وقد اهدى ولده تمثاله الى مدرسة الطب سنة ١٨٩٤ فنصبوه بمشهد حافل من الوجهاء والعلماء والاطباء يتقدمهم ناظر المعارف بالنيابة عن الحكومة الحديوية

والف صاحب الترجمة فضلاً عن المواضيع الطبية كتاباً عن مصر في مجلدين طبع سنة ١٨٤٠ بالفرنساوية صدره برسم محمد علي باشا ووصف فيه مصر ادارياً وزراعياً واجتماعياً على اختلاف الازمان واقاض في تاريخها الطبيعي وتقويمها بما فيها من السكان وعددهم واختلاف اجناسهم وآدابهم وعوائدهم ونظر في مصر نظراً دقيقة من حيث تجارتها وصناعاتها وعلومها وجندها واعمالها في الري وحفر الترع وما يشاهد من آثارها الى غير ذلك مما يعجز عن مثله سواء

وخلاصة القول ان الدكتور كلوت بك ممن يخلد ذكرهم في التاريخ المصري مدى الدهور

## الشيخ ناصيف اليازجي

ولد سنة ١٨٠٠ و توفي سنة ١٨٧١

( ترجمته ) هو الشاعر المطبوع واللغوي المدقق والنحوي المحقق احد اركان النهضة اللغوية في بلاد الشام بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللساني المولد الحمصي الاصل هاجر جده سعد المذكور من حمص مع جماعة من ذويه نحو سنة ١٦٩٠ لحيف لحقهم في تلك الديار فتوطن ابناس منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب وآخرون في وادي التيم وتفرق بعضهم في مواطن اخرى ولا تزال بقية أسرهم في حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار

وكان مولد صاحب الترجمة في قرية كفر شيما من قرى الساحل المذكور في ٢٥ مارس سنة ١٨٠٠ وكانت وسائل التعليم اذ ذاك محصورة في جماعة الاكليروس فتلقى العراءة البسيطة على الفس متى من قرية يدت شباب . وكان والده من الاطباء المشهورين في وقته على مذهب ابن سينا . وكان مع ذلك اديباً شاعراً الا انه كان قلما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليه اذ ذاك ومن شعره ابيات قرظ بها ديوان الخوري حنايا المنير احد شعراء ذلك العصر لم يحفظ منها الا بيتان رواهما لنا حضرة حفيده اللغوي الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء وقد اعتمدنا عليه في تحقيق اكثر ما اثبتناه في هذه الترجمة — أما البيتان فهما قوله في مطلع ذلك التقرير

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عنيت بنظم ذا الديوان

اي لقد طالعت فوجدته نظماً فريداً ما له من ثاب

فنشأ ولده على الميل الى الادب والشعر واقبل على الدرس والمطالعة بنفسه وتصفح ما تصل اليه يده من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمره ومن نظمه في الصبا قوله

ولما تنى وهو ريان معطف يميل على سفح العقيق ويخطر

تذكرت أغصان الرياض يزها نسيم الصبا والشبه بالشبه يذكر

ومن ذلك قوله أيضاً

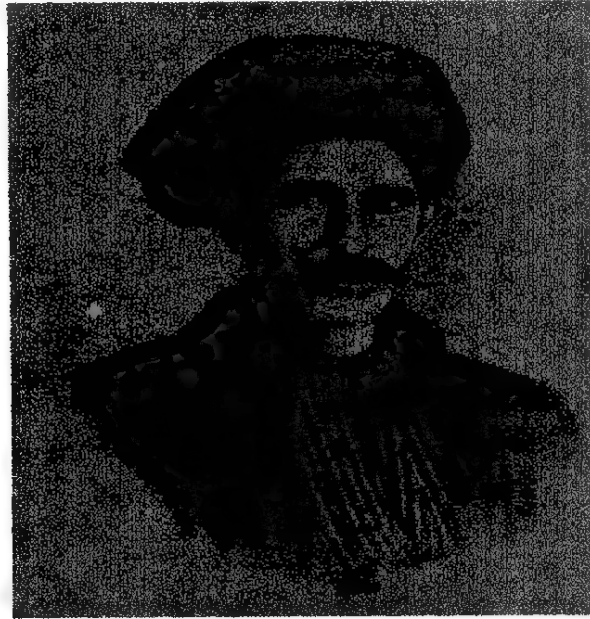
كف عني لا أبالك قد تبينا محالك

وعرفناك والا فتى نعرف حالك

قد مضى لي بك عصر حاملاً فيه ملامك

حسب قلبي منك جورٌ      كاد منه يتهالك  
وكفانا ما احتملنا      منك فاستدع أحمالك  
سنرى النادم منا      ويسىء الله فالك

ولما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة لقلة المطبوع منها اذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جلّ معتمده على كتب يستعيرها من بعض الاديار والمكتّاب القديمة . فثما ما يقرأها مرة فيحفظ زبدتها ومنها ما ينسخها بخطه ولا يزال كثير من تلك الكتب باقياً الى اليوم محفوظاً عند أسرته وهي جميلة الخط على القاعدة الفارسية وبعضها يبلغ عدة مئات من الصفحات . وقد بلغ من كل علم من علوم العربية لبابه ودرس اشهر مصنفاته وله في



ش ٢ : الشيخ ناسيب البارحي

جميعها تأليف مشهورة هي اليوم عمدة التدريس في أكثر المدارس المسيحية . وله ثلاثة دواوين شعرية تعد من عبون الشعر كثير منها محفوظ على اللسنة ولا سيما الايات الحكيمة منها وهي في شعره أكثر من أن تحصى وله المقامات المشهورة باسم مجمع البحرين وهي ستون مقامة اودعها من فنون الانشاء وصناعات البديع ومن غريب اللغة والفاظها المنتقاة وامثال العرب والآيات الشريفة ما دل على طول بابه وغزارة محفوظه وذلك فضلاً عما اودعها من المسائل العلمية في كل فن وما ضمن شرحها من توارخ العرب وانشابهم ووقائعهم

ثم انه لما بلغ اشده اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير ( راجع ترجمته في الجزء .



الاول من هذا الكتاب ) فقر به اليه وجعله كاتباً ليده . فلبث في خدمته اثنتي عشرة سنة . ولما كانت سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية انتقل صاحب الترجمة باهل بيته الى بيروت فاقام بها وتفرغ للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر ومراسلة الادباء حتى لهج بذكره القطران الشامي والمصري



ش ٣ : الشيخ ناصيف اليازجي وامراته واولاده سنة ١٨٦٤

#### الصف الاول :

وودة ضارة ابراهيم فارس عبد الله  
توفي سنة ١٩٠٦ سنة ١٨٦٥ سنة ١٨٩٤

#### الصف الثاني :

مريم حنه صابات امراة الشيخ الشيخ ناصيف حبيب نصار  
سنة ١٩٠٠ سنة ١٨٨١ سنة ١٨٧١ سنة ١٨٧٠ سنة ١٨٧٦

#### الصف الثالث :

اسين راحيل خليل  
سنة ١٨٧٩ سنة ١٨٨٩

وكانت تتوارد اليه ركائب الزائرين من كل صقع وفيهم العلماء والوزراء وفي جملة من زاره منهم محمد عزت باشا احد قواد الجنود السلطانية قدحه بايات ارتجالية يقول في مطلعها :

أعطى محمد عزة من فضله شرفاً لساحتنا بوطاة نعله  
ومنها يقول :

يا زاراً يدي أراك فتنته فعليك بيت غيره من مثله  
اجلته عني فصرت أهابه حتى كأنني لم أكن من أهله

واقبل أكار الشعراء من جميع الانحاء العربية على مراسلته ومدحوه بما دل على وفور فضله وعلو كعبه في الشعر والادب ومما قال فيه الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي حين وقف على النبذة الاولى من ديوانه

على نبذة من شعر ناصيف ذي الفضل وطأطأت اجالالا لها رأس شاخ  
وقفت ومني العين في موضع الرجل لاختصه هام العلي مواطىء النعل  
وهي قصيدة طويلة يقول منها :

اذا انكرت دعواه في الشعر فتية اقام عليها شاهد العفل والنقل

وان رام شعري ان يباري شعره يقول سعيدي اني عنك في شغل

وقرظ هذه النبذة أيضاً الشيخ عبد الهادي نجبا الاياري بقصيدة مطلعها

هكذا تنسق الآلي وتنضد هكذا تجمع المعاني وتحشد

هكذا هكذا الكلام كلام صيغ درا بفكرة توفد

ومن هذه القصيدة يقول :

ما سمعنا بمثله عيسوياً يتحدث بمثل معجز احمد

ألعي لكنه عيسوي كان أولى بفضل دين محمد

ومما قال فيه الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي :

ورا معانيه يصلي الوري اذا جرى الفرسان يوم الرهان

صرح بان الفضل امسى له ودع احاديث فل أو قلات

وكفى بهذا القدر شاهداً على منزلته في عيون جملة العلماء من اهل عصره وهي

أول مرة مدح فيها مسيحي بمثل هذا الكلام واجمع مثل هذه الطبقة على اطرائه

وتفضيله ومن رام الوقوف على سائر اقوالهم فيه فليطالع ذلك في مجموعة هذه

المراسلات المسماة بقاكة الندماء

ثم انه ما زال طاكفاً على التعليم والتصنيف والنظم والنثر حتى أصيب بمرض

عضال سنة ١٨٦٩ قانفلج فالجاً نصفياً عطل شطره الايسر فلزم داره ولكنه ما برح ينظم الشعر ويتلقى السائلين والمستفيدين الى ان فاجأه القدر ب وفاة بكره المرحوم الشيخ حبيب فوق ذلك الحادث عليه وقوع الصاعقة ولم يعيش بعد ذلك الا اربعين يوماً . وكان قد بدأ بنظم قصيدة يرثيه بها ثم غاب عليه الحزن حتى لم يعد يملك عنان قريحته . ومما نظم في هذه القصيدة قوله :

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوني	أسفاً عليه ويا دموع احبيبي
ريته للبين حتى جاءه	في جنح ليل خاطفاً كالذئب
يا أيها الام الحزينة اجلي	صبراً فان الصبر خير طبيب
اني وقفت على جوانب قبره	اسقي ثراه بدمعي المصبوب
ولقد كتبت له على صفحاته	يا لوعتي من ذلك المكتوب
لك يا ضريح محبة وكرامة	عندي لانك قد حوت حبيبي

وهي آخر ما نظمه وبعد أيام عاودته السكتة الدماغية فأت فجأة وكانت وفاته في ٨ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧١ بعد ما لزمه الداء ما يقرب من سنتين فعظم خطبه عند كل من عرف فضله او سمع بذكوره وكان له ماتم حافل شهده الكبراء والعظماء من بيروت ولبنان ومشي في جنازته ما ينيف عن عشرة آلاف نفس . وولد له ١٢ ولداً ورثوا ذكاه وسرعة خاطره ولم يخلفه منهم في خدمة اللغة وآدابها الا الشيخ ابراهيم صاحب الضياء

( صفاته ) وكان رحمه الله معتدل القامة فوق الربعة أسمر اللون حنطيه اسود الشعر اجش الصوت مهيباً وقوراً شهماً كاملاً متواضعاً متأنياً في حديثه قليل الضحك نفيف اللسان لم تسمع له كلمة بذميمة قط لا في حديثه ولا في كتابته ولم يهج أحداً ولا هجاه أحد في زمانه غير بيتين قالهما على سبيل الفكاهة في بخيل وهما

قد قال قوم ان خبزك حامض      والبعض اثبت بالحلاوة حكمه  
كذب الجميع بزعمهم في طعمه      من ذاقه يوماً ليعرف طعمه

وكان اذا ذكر أحد امامه بسوء أطرق وأغضى كأنه لا يسمع . وكان ودوداً مخلصاً سريع الفهم قوي الذاكرة متسع المدارك اذا حدث أخذ بمجامع القلوب لكثرة رواياته ونكاته وكان يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانهم ولم يكن على شيء من التأنق في اللفظ ولكن حديثه كان كابسط اهل وقته . ومن غريب ذاكرته انه كان اذا نظم الشعر لا يكتبه بيتاً بيتاً ولكنه كان ينظم الايات

ثم يكتبها حتى انه في مدة اعتقاله نظم مرة ثمانية عشر بيتاً ثم أملاها دفعة واحدة .  
وقد ألف احدي مقاماته وهي المقامة اليامية على ظهر الفرس وكان مسافراً باهل  
بيته من بيروت الى بحدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف فلما انتهى اليها أخذ  
قرطاساً فعلقها . وكان يحفظ القرآن بتمامه ويحي من الشعر شيئاً كثيراً ولا سيما  
شعر المتنبي لشدة إعجابه به وكان يقول كأن المتنبي يمشي في الجو وسائر الشعراء  
يمشون على الارض

( شعره ) اما شعره فهو النهاية في السلاسة والانسجام وحسن اختيار الالفاظ  
والتركيب فضلا عما له من المعاني المبتكرة والاكتناز من الحكمة وضرب الامثال ومع  
قلة رغبته في الغزل فان الغزل القليل الذي له في منتهى الرقة مثل قوله :

حواك وقد حلات بكل قلب	فؤاد لم يحل به سواك
زلت به على طلل تفاني	ولست بمن على طلل تباكي
اطمت الماذلين بقتل صب	يريد القتل لكن عن رضاكا
تعز كرامة ويهون ذلا	فتأنف ان يقول دمي فداكا

وقوله :

اخاف اذا اشار براحتيه	لعمري ان روحي في يديه
ويخفق عند نظرتة فؤادي	لان سواده من مقلتيه

وقوله :

ان كان يلبس ما افاد تجملا	فياض هذا الجيد تلبسه الحللي
واذا زينت العيون بكحلها	فلقد زاه بمقلتيك تكحلا
يا ناحل الاعطاف معشوقاً ترى	أتلوم مثلي عاشقاً ان ينحلا
حاولت سفك دمي بعينك ثانياً	هيهات قد سفكته عيني اولاً

وقوله وهو مما نظمه في صباه :

ألوى عليّ فضمني وضممته	وصدورنا بصدورنا لم تعلم
اهوي عليه وفي عفة يوسف	حتى يعيل وفيه عفة مريم

ومن نظمه في الماريح قصيدة مدح بها أسعد باشا قائد جيش البلاد العربية

قال فيها :

اذا قام من تحت السراقد راكباً	أقام عجاجاً فوقه كالسراقد
-------------------------------	---------------------------

ولما رأينا كيف تنقض خيله علمنا بها كيف انقراض الصواعق  
تفارق أطراف البلاد خيوله واصواتها في قلبها لم تفارق  
وله في الحكم شيء كثير منه قصيدة جرت اياتها بحرى الامثال مطلعها :  
لعمرك ليس فوق الارض باق ولا مما قضاه الله واق  
ومنها :

أضل الناس في الدنيا سبيلا أحب بات منها في وثاق  
واخسر ما يضيع العمر فيه فضول المال تجمع للرفاق  
ومنها :

ألا يا جامع الاموال هلا جمعت لها زماناً لا افتراق  
رأيتك تطلب الابحار جهلا وانت تكاد تفرق في السواقي  
اذا احرقت مال الارض طراً فما لك فوق عيشك من تراق  
أنا كل كل يوم الف كبش وتلبس الف طاق فوق طاق  
فضول المال ذاهبة جزافاً كما صب في كأس دهاق  
وله من قصيدة :

مضى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك اطواقاً من الزرد  
واعلم بان عليك المار تلبسه من عضة الكلب لا من عضة الاسد  
وله في صناعة التاريخ الشعري اليد الطولى والتفنن الغريب ولم يحدث حادث هام  
في أواسط القرن الماضي يستحق حفظ تاريخ حدوثه الا نظم الشيخ اليازجي اياتاً  
في تاريخه . ومن أشهر ما نظمه في هـ - ذا الباب بيتان قالهما في فتح عكا يتضمنان ٢٨  
تاريخاً وبيتان آخران نظمهما في السلطان عبد العزيز . وله من هذا القبيل قصيدة هنا  
بها ابراهيم باشا المصري بفتح عكا ضمن كل بيت منها تاريخين لسنة ١٢٤٨ هـ يقول  
في مطلعها

الزهر تبسم نوراً عن اقاحيها اذا بكى من سحب الفجر باكيها  
ومع التزامه التاريخ فيها لا ترى تكلماً في تركيبها مطلقاً  
ومن مديحها قوله

كل البلايا من الدنيا متى نزلت بنا فنيران ابراهيم تطفئها  
نار ونور متى قال النزال له والوجود هات يداً لم يلق ثانيها  
وله قصيدة من هذا النوع في مدح السلطان عبد العزيز وقد أمر له بالانفاق على  
طبع بعض كتبه من الخزينة الخاصة مطامها :

قف بالمطايا على انجاد ذي سلم      وقل سلام على من دام في الحميم  
ومن مخترعاته في فن النظم عاقل العاقل وهو أن تكون احرف الكلمة خالية  
من النقط واذا تهجأت اسم الحروف كان هجاؤه أيضاً خالياً من النقط وهذه الاحرف  
ثمانية فقط وهي الحاء والذال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو وقد نظم من  
هذا الجناس أربعة ابيات في مقاماته بجمع البحرين وهي هذه

حول در حلّ ورد      هل له لاجر ورد  
لحضور حلو وصل      ورده للصحو طرد  
وله حول وطول      وله صد ورد  
دهره حر صدور      هل له لله حد

وقد نظم من جناس ما لا يستحيل بالانعكاس أربعة عشر بيتاً وهي أيضاً في مقاماته  
ولم يسمع بهذا المقدار لشاعر قبله . ونظم ييتين طردهما مديح وعكسهما هجاء وهذا  
من مبتكراتهما في المقامات أيضاً وله فيها غير ذلك من الفنون مما نستغني عن  
مردده لشهرتها

( مؤلفاته ) وأما مؤلفانه سوى ما تقدم ذكره من دواوينه ومقاماته فمعظمها  
من الكتب المدرسية لتلقي العلوم الادبية . وقد سلك فيها ولا سيما في الصرف والنحو  
مسلكاً تدريجياً يناسب حالة الطالب في كل سن فمنها المختصر الذي لا اختصار بعده  
كالرسالة المسماة بالجوهر الفرد وقد جمع فيها الصرف والنحو في ست صفحات ومنها  
المطول الذي أنى فيه على أشهر اقوال المصنفين في هذين العلمين مع الاضافة بجميع  
قواعدها وتمايل احكامها كالارجوزتين اللتين سمى احدهما الجملة في علم الصرف  
والاخرى جوف الفرا في علم النحو وتشتملان على ما يزيد عن ألف وخمسمائة بيت كل  
واحدة منهما مشروحة بقلمه شرحاً مستوفياً وله بين ذلك تأليف اخر منها بالثر وهي  
فصل الخطاب في الصرف والنحو أيضاً وهو جامع لاصول هذين العلمين وقد وقع  
اجماع المدرسين على انه افضل متن وضع فيها وقد جمع فيه بين الاضافة والاختصار  
حتى لا يمكن ان يحذف منه كلمة ولا يزداد عليه كلمة . وفي طبخته وعلى أسلوبه عقد الجمان  
في علم البيان ونقطة الدائرة في العروض والقوافي وقطب الصناعة في المنطق وهذه  
الكتب الاربعة مشروحة بقلمه . ومن ذلك ارجوزتان مختصرتان في الصرف والنحو  
مشروحتان بقلمه ايضاً سمى الاولى لمحة الطرف في اصول الصرف والثانية الباب في  
اصول الاعراب . ومختصر آخر في النحو سماه طوق الحمامة وهو نثر . وله في البيان  
ارجوزة مختصرة سماها الطراز المعلم وارجوزة أخرى في النطق سماها التذكرة وشرح

كلاً منهما شرحاً موجزاً . وله أرجوزة مطولة في فن العروض والقافية وهذه شرحها ولده المرحوم الشيخ حبيب وهذه التأليف كلها مطبوعة

ومن مؤلفاته التي لم تطبع رسالة في التوجيهات النحوية سماها عمود الصبح انتهى فيها الى المفعول فيه ولم يفسح له في الاجل لاتمامها . وأرجوزة مختصرة في الطب القديم سماها الحجر الكريم وشرحها بقلمه . ومعجم في اعضاء الانسان والصفات التي على افعال سماه بجمع الشتات في الاسماء والصفات . وشرح ابدعيته سماه القطوف الدانية استوفى فيه جميع الجناسات والانواع البديعية

وكان قد شرع في وضع شرح لديوان المتنبي . وكان يعاق عليه الحين بعد الحين ما يمن له من التفاسير ولا سيما للآيات العارضة قائمه من بعده ولده الشيخ ابراهيم وسماه العرف الطيب في ديوان ابي الطيب وقد طبع هذا التشرح سنة ١٨٨٢



## رفاعة بك رافع الطهطاوي

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ

هو السيد رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع ويلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء

وُلد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر ويؤخذ مما كتبه عن نفسه في رحلته التي سيأتي ذكرها أن أجداده كانوا من ذوي اليسار واخني الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه في بني الزمان . فلما ولد المترجم كانت عائلته في عصر فسار به والده الى منشأة النيدة بالقرب من مدينة جرجا وأقام بين قوم كرام يقال لهم بيت أبي قطنة من أهل اليسار والمجد . فاقاما هناك مدة ثم نزحا الى قما ولبثا بها حتى ترعرع الغلام فاخذ يقرأ القرآن ثم نقل الى فرشوط وأخيراً عاد الى طهطا . وكان قد حفظ القرآن وقرأ كثيراً من المتون المتداولة على احواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبد الصمد الانصاري والشيخ ابي الحسن الانصاري والشيخ فراج الانصاري وغيرهم ثم توفي والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٢٣ هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهاداً حسناً حتى نال من العلم شيئاً كثيراً ولم تمض عليه بضعة سنين حتى صار من طبقة العلماء الانلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول . وكان في جملة من تلقى العلم عندهم من العلماء الشيخ حسن المطار المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فاحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتفرب منه لما آنس فيه من الذكاء والاجتهاد فكان يتردد الى منزل الشيخ يأخذ عنه بعض العلوم أو يستشير به في أمر او ما شاكل ذلك

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثمانى سنوات وكان كما قدمنا في عمر وكانت والدته تتفق عليه مما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها . فلما أتم دروسه عين سنة ١٢٤٠ هـ اماماً في بعض آليات الجند براتب يساعده على القيام باود حياته

وكان ذلك العصر زاهياً بالمغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الكريمة وكان رحمة الله آخذاً في مشروعاته تميزاً لشأن هذا القطر السعيد وفي جملتها نشر العلوم . فاحب ارسال جماعة من شبان هذا القطر الى أوربا لتلقي العلوم الحديثة ليكونوا له أعواناً في فتح المدارس وبت تلك العلوم في ابنا البلاد فامر بتعيين صاحب الترجمة



اماماً لهم للوعظ والصلاة . فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ وهي أول ارسالية مصرية الى فرنسا . فتاقت نفس المترجم الى علوم المغرب فعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه ورغبة منه في تحصيل العلوم بها أو نقله منها الى العربية لعله يتخلص من مهنة الامامة . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فهماً جيداً وأخذ يطالع العلوم الحديثة فتقن التاريخ والجغرافيا وعلوم أخرى وكان ميالاً الى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتاباً سماه « قلائد الفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ المنفور له محمد علي باشا ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسر به سروراً عظيماً واستبشر بطلامه



ش ٣ : رفاعة بك رافع الطهطاوي

وفي سنة ١٢٤٧ هـ عاد رحمه الله الى الديار المصرية بعد ان نال الشهادات الناطقة بدرجة من العلم والفضل فولاه محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان انشأها سنة ١٢٤٢ في قرية ابي : قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير . وكان متولياً رئاسة الترجمة بها قبله المرحوم بو حنا غنحوري من أبناء سوريا وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق قولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد لاسيما وان عارفي اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع . ومما يعد له فضلاً جزيلاً انه أول من باشر انشاء جريدة عربية في سائر المشرق وهي الوقائع المصرية

فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ ولا تزال الى الآن وهي الجريدة الرسمية المصرية

وفي سنة ١٢٤٩ انتقل من مدرسة ابي زعبل الى مدرسة الطوبجية في طرا الترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية . وفي سنة ١٢٥١ افتتح المغفور له عزيز مصر مدرسة للالسن الاجنبية وعهد بإدارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رقاعة اذ ذاك حق القيام بإدارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة من مدارس الارياف بسائر جهات القطر فبلغ عدد تلامذتها في أول الامر خمسين تلميذاً ثم زاد حتى صار ٢٥٠ وكان في ابي زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية فعهدت ادارتها اليه فضلاً عن مدرسة الالسن ومدارس اخرى فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة واخرى للمحاسبة واخرى للإدارة والاحكام الافرنجية

وفي سنة ١٢٥٨ تشكل قلم الترجمة من أول فرقة خرجت من مدرسة الالسن وبعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريباً في أوقات متتابة وفي سنة ١٢٦٢ نال رتبة اميرالاي فصار يدعى رقاعة بك بدلاً من الشيخ رقاعة

وما زال رقاعة بك ناظراً لمدرسة الالسن حتى انفصلت على عهد المغفور له عباس باشا الاول فامر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هناك حتى توفي عباس باشا المشار اليه سنة ١٢٧٠ هـ وتولى المرحوم سعيد باشا فعاد يشكر الله على نجاحه من تلك الاقطار . فثقل بين يدي سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٨١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليية تحت رئاسة المرحوم سليمان باشا الفرنسي وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلمة فاحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعارجية وعند ذلك نال الرتبة المتمايزة

وفي سنة ١٢٧٧ الغيت كل هذه المدارس فبقي رقاعة بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فاعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضواً من قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مثارته على التأليف . وما زال قائماً بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ بداء النزلة المئانية وله من العمر ٧٥ سنة . وقد ملا الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه وقد اطلعنا على كتاب خطي اسمه « حلية الزمن بمناب خدام الوطن » تأليف صالح بك مجدي عدد فيه مناقب صاحب الترجمة وعنه أخذنا معظم ما ذكرناه هنا . وقد ذكر

فيه أيضاً عدداً كبيراً من الذين أخذوا العلم عنه ونبغوا واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم وأعمالهم مما لا محل لذكره هنا

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء أسمر اللون حازماً مقدماً على ذكاء وحدة . وهذا ما نهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى أصبح ممن يشار اليهم بالبنان ويقتدي بأعمالهم بنو الانسان وكان في أوائل حياته الى أن عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربي الخاص من الحية والمامة والقفطان كما ترى رسمه في صدر هذه المقالة ثم بدله باللباس الافرنجي المشهور

نختم ترجمة حاله بذكر مؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الامكان (١) خلاصة الابريز والديوان النفيس . وهو رحلته الى فرنسا ذكر فيه ما شاهده من العادات والاخلاق والازياء وآثار النمدن الحديث وكل ما يتعلق بذلك وقد حازت من القبول لدى المغفور له محمد علي باشا حتى أمر ان تنقل في قصوره ثم أمر بطبعها وتفريقها في الدواوين وبين الوجهاء والاعيان

(٢) التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . وهو مجلد ضخيم ترجمه من الفرنسية الى العربية لتدريس الجغرافية في المدارس المصرية . وقد طبع غير مرة في مجلد كبير

(٣) جغرافية ملطبرون . وهو كتاب مؤلف من عدة مجلدات كبيرة يبحث في الجغرافية بحثاً تاريخياً مطولاً ترجم منه المؤلف أربعة مجلدات كبيرة طبعت في مطبعة بولاق . ويظهر من مطالعتها انه ترجمها على عجل والواقع يؤيد ذلك لاتناعلنا انه ترجم مجلداً منها في ستين يوماً سنة ١٢٦٥

(٤) كتاب قلائد المفاسر في غريب عوائد الاوائل والاواخر . ترجمه في باريس وقد تقدم ذكره

(٥) كتاب المرشد الامين في تربية البنات والبنين . وهو مجلد واحد الفه للتعليم في مدرسة البنات

(٦) كتاب التحفة المكتبية في النحو . الفه لتعليم قواعد النحو في المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر

(٧) مواقع الافلاك في اخبار تليماك . وهو تعريب وقائع تليماك الفرنسية ترجمه يوم كان في الخرطوم مع بعض التصرف . وهو مطبوع في بيروت

- (٨) مباحج الالباب المصرية في مناهج الالباب المصرية . وهو بحث عن آداب العصر وسياسته وصنائه وعلومه وفنونه ومطبوع بمطبعة بولاق الاميرية
- (٩) مختصر معاهد التنقيص . وهو اختصار المبادئ مع بعض الزيادات الى الاصل ولم يطبع
- (١٠) المذاهب الاربعة . وهو بحث في المذاهب الاربعة ألفه أثناء رئاسته لمدرسة اللسن :
- (١١) شرح لامية العرب
- (١٢) القانون المدني الافرنحي . مطبوع
- (١٣) كتاب توفيق الجليل وتوثيق بني اسماعيل وهو تاريخ لمصر طبع ونشر
- (١٤) كتاب هندسة ساسير . ترجمه من الفرنسية الى العربية وقد طبع بيولاق
- (١٥) رسالة في الطب لم (طبع)
- (١٦) جمال الاجرومية وهو منظومة سهلة في الاجرومية ( مطبوعة )
- (١٧) نهاية الابجاز في سيرة ساكن الحجاز . وهو آخر مؤلفاته طبع في روضة المدارس بمطبعة المدارس الملكية
- وله رحمه الله غير ما تقدم ذكره من المآثر العلمية بين منظومات ورسائل ومقالات شيء كثير لم يطبع . وقد وقفنا على بعضه وأما خدماته في التعليم والتهديب فغنية عن البيان . ويقال بالاجمال ان رفاعة بك رافع خدم خدمة كبرى في نشر العلوم الحديثة بنقلها الى اللغة العربية وتسهيل تناول اللغات الاجنبية بمدرسة اللسن بقلم الترجمة وغيرها

## بطرس البستاني

ولد سنة ١٨١٩ هـ وتوفي سنة ١٨٨٣ هـ

في إقليم الحروب من قضاء الشوف في جبل لبنان قرية صغيرة على مسافة ثلاث ساعات من دير القمر وثلاث ساعات ونصف من صيدا وسبع ساعات من بيروت يقال لها الدبية عدد سكانها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة وقليل من البروسانت نشأ فيها غير واحد من مشاهير اللبنانيين جميعهم من آل البستاني أشهرهم المرحوم المطران عبد الله البستاني والمطران بطرس البستاني والمعلم بطرس البستاني صاحب الترجمة وقد اقتطفنا ترجمة حياته مما كتبه جرائد الشام على أثر وفاته وانبثته دائرة المعارف في جزئها السابع ومما عرفناه بنفسنا من آثار اجتهاده وفضله

( تاريخ حياته ) هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني من أعيان الطائفة المارونية . ولد في الدبية عام ١٨١٩ في عهد اماره الامير بشير الشهابي الكبير في جبل لبنان وظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره فآخذ في تلقي مبادئ العربية والسريانية على المرحوم الحوري مخايل البستاني . وكان المرحوم المطران عبد الله البستاني اذ ذاك مطرانا على صور وصيدا وكان يقيم في بيت الدين فمضى اليه ان هذا الغلام وغلاماً آخر يدعي شبلي ابن الحوري يوسف البستاني ( المطران بطرس البستاني بعدئذ ) قد تفردا بالذكاء والفطنة والاجتهاد بين اقرانها فاستقدمها اليه ثم بعث بهما الى مدرسة عين ورقة بـلبنان فقضيا فيها عشر سنوات حتى آتقنا آداب اللغة العربية مما تيسر الحصول عليه اذ ذاك كقواعد اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وتناولوا اللغات السريانية واللاتينية والايطالية وتلقيا الفلسفة واللاهوت الادبي والنظري ومبادئ الحق القانوني

وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين من سنه فاراد غبطة بطريرك الطائفة المارونية اذ ذاك ارساله مع رفيقه الى رومية للتبحر في العلوم الدينية وكان والده قد توفي فعارضت والدته في ابعاده فتعين مدرسا في مدرسة عين ورقة مشمولا بانظار البطريرك وكان البطريرك يعهد اليه قضاء بعض المصالح الى سنة ١٨٤٠ وكانت حال الجبل في اضطراب لما كان في نفس الدولة العلية على الامير بشير وابراهيم باشا . وكانت الدول الافرنجية قد بعثت مراكبها الى سواحل سوريا تمين الباب العالي على اخراج ابراهيم باشا منها . وكان صاحب الترجمة قد درس اللغة الانكليزية في بيروت اثناء اقامته

بمدرسة عين ورفة وبعدها فاستخدمه الانكليز للترجمة . وكان دعاة المذهب الانجيلي من الاميركان قد اخذوا في الاقامة ببيروت للتعليم ونشر مذهبهم فتعرف الى بعضهم وجعل يختلف اليهم يعلمهم اللغة العربية ويعرّب لهم بعض الكتب حتى تمكنت علائق المودة بينه وبينهم ووافقهم على مذهبهم

وفي سنة ١٨٤٦ عزم استاذنا الخطير المرحوم الدكتور فانديك على انشاء مدرسة عية فاستعان بصاحب الترجمة في انشاؤها فتولى التعليم فيها عامين الف في اثناهما



( ش ٤ ) بطرس البستاني

كتاباً مطولاً في علم الحساب سماه كشف الحجاب طبع مراراً عديدة وذاع استعماله في سائر مدارس سوريا

ثم قدم بيروت وتولى منصب الترجمة في قنصلية اميركا مع مباشرة التأليف والترجمة والوعظ والخطابة ودرس في اثناء ذلك أو قبيله اللغتين العبرانية واليونانية . وكان المرحوم الدكتور عالي سميت الاميركاني قد باشر ترجمة التوراة الى العربية فاستعان بصاحب الترجمة على ترجمتها . ولكن الاجل عاجل الدكتور سميت فاتم

الترجمة المرحوم قان ديك وهي الترجمة الاميركائية المشهورة . أما المعلم بطرس فانه شرع في تأليف قاموسه محيط المحيط

وفي سنة ١٨٦٠ نشر نشرة سماها نقيير سوريا وهي أول نشرة عربية ظهرت في سوريا واذا جاز لنا ان نسميها جريدة فالبيستاني أول من انشأ جريدة عربية غير رسمية بين قراء اللغة العربية

وفي عام ١٨٦٣ انشأ في بيروت مدرسة عالية سماها « المدرسة الوطنية » أسسها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية العثمانية فتقاطر اليها الطلبة من سائر أنحاء الشام ومصر والاسنانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها فزاع صيتها في الآفاق وظهر فضاهما على رؤوس الاشهاد فأنعمت عليه الحضرة السلطانية بنيشان عال تنشيطاً له ومكافأة لخدمته وقد تولى ولده المرحوم سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة وكان متضلماً في العلوم الحديثة فكان يدرس التاريخ والطبيعات والصف الاول في اللغة الانكليزية وكان والده رحمه الله يلقي على التلامذة الخطب والمواظم مرتين في الاسبوع

وفي سنة ١٨٦٩ فرغ من تأليف قاموسه محيط المحيط وقد أخذه عن أشهر متون اللغة ولا سيما الفيروز ابادي وصحاح الجوهري ولكنه يمتاز عنها كلها بما يأتي (١) انه رتبها على حروف المعجم باعتبار الحرف الاول من الثلاثي المجرد (٢) جمع فيه كثيراً من الالفاظ العامية وفسرها بالالفاظ الفصحى (٣) انه اوضح كثيراً من أصول الاعجمية كان أصلها مجهولاً أو مهملاً (٤) انه أدخل فيه كثيراً من المصطلحات التي حدثت في اللغة بحدوث العلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الاعجمية فضلاً عن بسط عبارته وسهولتها . فجاء كتاباً وافياً بغرض طلاب اللغة العربية تفهمه العامة وترضى به الخاصة طبعه في مجلدين كبيرين واستخرج منه مختصراً سماه قطر المحيط اصغر منه حجماً خصصه لتلامذة المدارس . فشاع استعمال الكتابين في سائر أنحاء سوريا وغيرها . فلما تم طبعهما رفع نسخة من محيط المحيط الى الحضرة الشاهانية ونسخة الى الصدارة العظمى وأخرى الى نظارة المعارف بالاستانة فوقع عمله هذا موقع الاستحسان فجازته الحضرة السلطانية بالجائزة الاولى التي ينالها المؤلفون وهي مائتان وخمسون ليرة عثمانية وأنعمت عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الثالثة وترى في الصفحة المقابلة رسم البستاني والنيشان المشار اليه معلق في أعلى صدره

وفي أول عام سنة ١٨٧٠ انشأ مجلة علمية أدبية سياسية سماها الجنان وعهد بإدارتها وانشائها في بادية الامر الى نجله المرحوم سليم البستاني . وفي أواسط ذلك العام استعان

ابنه سليماً في انشاء صحيفة سياسية سميها اللجنة . فهي من أقدم الجرائد السياسية العربية ببلاد الشام . ثم أصدر جريدة الجنيانة وتولى تحريرها ابن عمه سليمان افندي البستاني ناظم الاياداة . والجرائد الثلاث المشار اليها لا تصدر الان

ووعده في آخر قاموسه بتأليف قاموس للاعلام أي مشاهير الناس ولكنه رأى بعدئذ أن يتوسع في مشروعه هذا فعمل على تأليف قاموس شامل لسائر العلوم على اختلاف مواضعها وازمانها فشرع فيه عام ١٨٧٥ بغاونه به ولده سليم وبعض الكتاب وصماه « دائرة المعارف » وهو كتاب فريد لم يذسج على منواله في اللغة العربية . فصدر منه رحمه الله ستة مجلدات وتوفي وهو في بدء السابع قائم السابع واثمان ابنه المرحوم سليم ولكنه توفي قبل الشروع في التاسع فصدر ابناؤه الباقون الجزء التاسع بمعاوضة ابن عمهم سليمان افندي البستاني . ثم حالت موانع ادت الى ايقاف العمل في بيروت ومضت على ذلك بضع سنوات الى ان قدم القاهرة سليمان افندي المشار اليه وأخذ في اتمام الدائرة مع ابني عمه نجيب افندي ونسيب افندي البستاني . فصدر الجزء العاشر ثم الحادي عشر

وكانت وفاته في أول ايار ( مايو ) سنة ١٨٨٣ فجأة بعلة في القاب فطار خبر منعه في البلاد فاهتزت له انحاء سوريا لان بفقده فقد الوطن السوري ركناً من أقوى اركانه في نهضته الاخيرة . فبكاه الامل والاصدقاء وابنه الخطباء والعلماء وورثاه الكتاب والشعراء

( مآثره وأعماله ) نبغ البستاني في سوريا والعلم لا يزال طفلاً في مهده فاخذ في التعليم والتهديب علماً وعملاً فالف الكتب وانشأ المدارس والجرائد فهو أول من انشأ مجلة علمية وجريدة سياسية ومدرسة وطنية وأول من أقدم على المشروعات الادبية بعزم ثابت فالف الكتب وسهل طبعها ونشرها وأشهر مؤلفاته دائرة المعارف ومحيط المحيط وقطر المحيط وكشف الحجاب ومسك الدفائر ومفتاح المصباح في الصرف والنحو وكتب اخرى ورسائل عديدة للتنقيف والتهديب فضلاً عن ترجمة الكتب الدينية والادبية . وانشأ ثلاث جرائد الجنان واللجنة والجنيانة . ومن مشروعاته المدرسة الوطنية وقد رأس مدرسة الاحد في بيروت خمس عشرة سنة وترجم لها عدة رسائل دينية دعا فيها الى تربية الاولاد والامساك عن المسكرات . وسن قانوناً للمدرسة الداودية التي انشأها داود باشا . وكان كثير الحث على تعليم النساء وهو أول من خطب في هذا الموضوع بالشرق وله خطب كثيرة تلاها على منابر بيروت وفي جمعياتها ومقالات جمة نشرها في جرائده كلها فوائده . وقد وصفنا كتبه في اثناء ترجمة حياته



(صفاته واخلاقه) كان ربة ممتلىء الجسم سميناً قوي البنية ولولا ذلك ما استطاع القيام بما عني به من المشروعات العقلية والادارية . وكان حازماً نشيطاً لا يفتر عن التفكير في مشروع يشرع فيه او عمل يعمل لخدمته ووطنه . فاذا بدأ بعمل أكب عليه بكلية مواصلاً العمل للقيام به وكانوا اذا افتقدوه ليلاً او نهراً عثروا عليه في مكتبه بين كتبه وأوراقه . وكان ثابت الجنان قادراً على الاعمال لا يأخذه ملل ولا ضجر مع ما يسترض المشروعات العلمية والادبية في بلادنا من العقبات مما يثبط العزيمة ويضعف العزم وخصوصاً في ايامه . فقد نبغ في عصر لم تتوفر فيه معدات الطبع والنشر ولا اعتاد فيه الناس مطالعة الجرائد والاقبال على المؤلفات . ومع ذلك فانه عمل أعمالاً يقصر عن القيام بها عدة من الرجال الاقوياء فكان يؤلف ويعلم ويترجم ويدير أعماله ويكتب عماله وأصدقائه ويضبط حساباته ويدير مدرسته علماً وعملاً ناهيك بما كان يقوم به من المساعدات الادبية لمن يقصده من المستشيرين والمستعينين فيقضي حاجاتهم ويحضر اجتماعات الجمعيات ويقدم الخطب والمواظ . وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجه باش فلا يرجع أحدهم من بين يديه الا شاكرآ حامداً معجباً بلطفه وغيته

وكان مخلص الطوية دمث الاخلاق لين العريكة صادق النية محباً لوطنه ودولته كريم الخلق بعيداً عن التعصب كارهاً للتملق والرياء . وكان سخياً على المشروعات الادبية بسيط المشر حسن المحاضرة يسترضي جليسه شاباً كان او شيخاً ويخاطب كلاً بما يناسب ذوقه وأخلاقه وكان يعتقد ان المصالح العامة أساس كل تقدم فيبذل جهده في تأييدها متخذاً الصدق شعاراً والنشاط عماداً

وكان مع ذلك رفيح الجنب وقوراً محترماً لم يجالس أحد الا خرج وفي نفسه انعطاف اليه وفي قلبه احترام له فكان حينما ذكر اسمه قرن بالمدح والثناء والتجلة والوقار فنال مقاماً رفيعاً في نفوس ذوي الواجهة والمقامات الرفيعة وأهل الفضل على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم . وكان من أشدهم صداقة له استاذنا الخطير المرحوم الدكتور كريليوس فان ديك فقد ساكنه وآكله وشاربه زمناً طويلاً كانا معاً اخوين متصافين ونعم الاخوان . فلما توفي صاحب الترجمة رثاه الاستاذ بلسان الصديق وبكاء بدموع الاخ الشقيق ومما قاله وقد وقف لتأييده في الكنيسة :

« ان لم يكن لك في نقد الرجال يد انظر الى الموت كيف الموت ينتقد

يدور في الارض حول الناس ملتصقاً كريم قوم ولا يرضى الذي يمجد

« اني لمظلوم بوقوفى هنا اليوم خطيباً لان المقام الذي يليق بي وارغب فيه انما

هو ان اقوم في وسطكم با كياً نائماً على أخي وحيبي الذي خطف من بيتنا خطفاً بل هو معلمي واستاذي ورفيقي فكم احيينا من الليالي ممأ في الدرس والمطالعة والتأليف وحلاوة المعاشر الصادرة عن اتحاد المقاصد والاغراض فكيف اقف فوق جثته خطيباً ولا اركع بجانبه حزينا كئيباً »

ومما يدل على منزلته الرفيعة بين أهل الادب والفضل انه لما وقع القضاء ومات البستاني تسابق الخطباء والعلماء الى تأييده وراثته فملأت الجرائد اعمدتها رثاء وسودت صفحاتها حزناً ووقف الخطباء على ضريحه يرددون ذكراه ويذكرون مآثره وآثاره. وهالك ما قاله في تأييده المرحوم اديب اسحاق اذ وقف على قبره والناس وقوف خشوع وكنا في جملة السامعين فاتصّب الاديب رحمه الله وقد امتقع لونه وابتل عيناه وأخذ يقول :

« كذا فليجل الخطاب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر »  
 « ان هذا المصاب مصاب جسيم . ان هذا الخطب خطب عميم . انها المصيبة وطنية يقل في مثلها بذل الدموع انها لثابتة عمومية لا يكثر في نظيرها تمزيق الضلوع . أجل ان المصيبة فيك مصيبة الوطن يا من انقفت العمر في خدمته مقدماً مجتهداً صابراً متجلداً متعقفاً مستقيماً . فلا بدع ان تبكيك العيون . ولا غرو ان تنفطر لفقدك القلوب . أو لم تكن فينا مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة والادب . وعنوان التجلد والثبات في خدمة العلم . بذلت في هذه الخدمة شبابك ووقفت على هذا السبيل اتبابك . وجعلت العلم غايتك القصوى من دنياك . فكان لروحك روحاً وكنت لذاته قواماً »

« فاي أثر ادبي رأيناه ولم تكن انت البادى به والداعي اليه . وأي مشروع مفيد شهدناه ولم تكن انت الشارع فيه أو المعين عليه . أو لست اول من خط على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان « حب الوطن من الايمان » وأول من أقدم على المشروعات الجسيمة العلمية بهمة لا تخاف المصاعب والعقاب ولا تألف الا صدق العزيمة والثبات »

« باي آثارك لا تذكر . وبأيها اذا ذكرت لا تشكر . واي عين ترى أعمال يديك . ولا تفيض دمعاً بل دماً حزناً عليك . وما الذي نذكره من آثار اجتهادك في استمرار اريادك . لا نجده عنايا . أو اظبتك على خدمة العلم والادب اربعين عاماً أو تزيد . ام تأليفك وتصايفك النية بشهرتها عن الوصف . أمحيط محيطك ام قطر محيطك . ام مدرستك الوطنية التي ملأت بها الوطن انواراً . ورفعت فيها للادب الصحيح مناراً .

ام جنانك التي غرست فيها أغصاناً من العرقان من كل فاكهة زه جان . ام جنتك الزاهرة الدانية القطوف . ام دائرة المعارف التي ... كدنا نخاف ان تدور الدائرة عليها لولا الامل فيمن ابتيت لها خلفاً كريماً . يحقق رجاء المحبين ويتم الامنية ويحقق الرجاء فيكون به للوطن عزاء . في الاثر المأثور يا سادتي « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فمن منا لم يعلمه هذا الفقيد حروفاً . من منا لم يستفد منه فوائد صنوفاً . من تصانيفه في كل فن . من مدرسته الوطنية . من جرائده الزاهرة . من آثار معارفه في كل موضوع . ومن منا لم يدفع الملل في اوقات الفراغ . ويغلب الضجر في ساعات الراحة . وينزه الفكر بعد تعب الاشغال . بتلاوة ما كان فقيدنا يحبي لانشائه الليلي الطوال . فكيف لا نرثيه وكيف لا نبكيه . وكيف لا نستعظم المصيبة فيه « أي هذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان . لقد عشت سعيداً مفيداً . وقضيت حميداً فقيداً . وان كان عموم الاسف وشمول الحزن مما يبرد ثرى ويحلب غفراناً فقد جادتك سحب الرضوان والغفران مسوقة الى ثراك من كل مكان مستمطرة على ضريحك بكل لسان

نم سعيداً يا من قضيت فقيداً      بجميل قدمت بين يديك  
انت أحسنت في الحياة الينا      أحسن الله في المات اليك «  
« انتهى »



علي باشا مبارك<sup>(١)</sup>

ولد سنة ١٢٣٩ هـ وتوفي سنة ١٣١١ هـ

وُلد في قرية برنبال الجديدة من مديرية الدقهلية سنة ١٢٣٩ هـ واسم والده الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجي . وابتدأ في تعلم القراءة والكتابة على رجل من أهل القرية أعمى ثم زححت العائلة الى ناحية الحمادين فلم يطب لهم المقام فيها فارتحلوا الى عرب السباعنة بالشرقية ولم يكن عندهم فقهاء فانزلوا والد صاحب الترجمة منزل الاكرام وصار مرجعهم اليه في الامور الدينية لانه كان صالحاً تقياً متفهماً . فاعتنى بتربية ولده بنفسه ثم عهد تعليمه الى معلم اسمه الشيخ أبو خضر في مكان قرب برنبال لا يذهب الى والده الا كل يوم جمعة نختم القرآن بسنتين ولكنه ترك معلمه لكثرة ضربه له وجمل يقرأ على والده . على ان كثرة أشغال الشيخ مبارك حملت صاحب الترجمة على اللهو واللعب حتى نسي ما كان قد تعلمه . فاشفق والده عليه لئلا يعيش بغير تعلم فاراد اجباره على العود الى معلمه فأبى خوف ضربه فتوسط له اشقاؤه لدى والده فسأله عما يريد تعلمه ففضل العدول عن الفقه ورغب في الكتابة لما كان يرى من حسن ذي الكتاب وهيبتهم . وكان لوالده صديق يتعاطى الكتابة في القسم بناحية الاخوة فعهد اليه تعليمه فأنس علي به وألفه حتى اختلط بعائلته فرأى حاله الداخلية غير ما كان يراه منه في الظاهر واتفق انه سأله مرة كم يجمع الواحد والواحد فاجابه « اثنين » فضربه بمقالة البن فشج رأسه وكان ذلك في محضر من الناس فشق ذلك على علي فغادره وسار الى والده يشكوه اليه فنقم عليه والده ففر من البيت الى المطرية جهة منزله منتجئاً الى خالة له هناك

وافترق انتشار الوباء ( الكوليرا ) اذ ذاك فاصيب به في الطريق فحمله بعضهم الى بيته في قرية سان الحجر وعالجه حتى شفي وادعى انه يتيم الاب والام ولكن والده واخاه كانا ساعين في التفتيش عنه . فلما رأها في تلك القرية طلب الفرار ولكنها أمسكاه بعد ذلك وحملاه على العود الى التعليم فسلمه والده الى كاتب آخر فلم يلبث معه الا قليلاً ثم عاد الى القراءة على والده فجعله مساعداً لاحد الكتاب في القسم ولم يكن يدفع اليه الراتب المعين له وقدره خمسون قرشاً . فاتفق انه أرسل يوماً لقبض حاصل بعض القرى فقبضه وأبقى معه من المقبوض استحقاقه من الراتب وأرسل الباقي فغضب

(١) هذه الترجمة ملخصة عما كتبه عن نفسه في الحواشي التوفيقية الجزء التاسع صفحة ٢٧

عليه الكاتب حتى اذا اتفق جمع أنظار العسكرية وشئ به الى المنوط به جمعهم فامسكوه والقوه في السجن فتوسط له والده امام عزيز مصر اذ ذاك محمد علي باشا فاطلقوا مسراحه ثم سعى له بعضهم في ان يكون كاتباً لدى مأمور زراعة القطن في ابي كبير فحضر بين يدي المأمور واسمه عنبر افندي فاذا هو حبشي اللون لكنه سمح الوجه ورأى المشايخ والحكام وقوفاً بين يديه فتأخر حتى انصرفوا . ثم دخل عليه وقبل يده



( ش ٦ ) علي باشا مبارك

نخاطبه بكلام رقيق عربي فصيح والبس خدمته عنده على ان يدفع اليه ٧٥ قرشاً شهرياً مع كفاءته من العيش فسر علي لذلك ولكنه عجب لحال هذا المأمور الخالفة لسواد وجهه لاعتقاده ان الحكام لا يكونون الا من الاتراك . وما زال يحرق الاسباب التي جعلت ذلك العبد حاكماً حتى علم اخيراً انه معلماً في مدرسة عصر العبي وان تلك المدرسة تعلم الخط والحساب واللغة التركية . فسأل اذا كان يجوز للفلاحين الانتظام فيها فقيل له انما يدخلها من ساعدته الوسائط . فاتفقت في قلبه نار الغيرة ومال بكلبته الى

الدخول في تلك المدرسة على بعدها عن مقره وقلة وسائله فاستأذن رئيسه يوماً مدعياً الذهاب الى بيت أبيه فاذن له فغادر البلدة والتقى في قرية بني عياض بطريقه بتلامذة مدرسة الحانقاه فاراد ان يدخلها لعله أن تلامذة قصر العيني انما ينتخبونهم من هذه المدرسة . فاجبره والده ان لا يفعل واختطفه قهراً وحمله الى بيته وعهد اليه رعاية المانية ولكن ذلك لم يحوله عن عزمه ففرت ذات ليلة حتى جاء المدرسة ودخلها ولم يخرج منها ليلاً ولا نهراً خوفاً من ان يلقاه والده فيختطفه ويرجع به الى البيت . ولم يكن والده يكره تعليمه ولكنه يود بقاءه قريباً منه . ثم جاء بعد ذلك ناظر تلك المدرسة لانتخاب انجب التلامذة وادخلهم في مدرسة قصر العيني ولم تكن فيها دراسة الطب بعد . فكان علي من المنتخبين لذلك فدخل تلك المدرسة سنة ١٢٥١ وسنه ١٢ سنة فقط

وكانت معاملة التلامذة هناك سيئة ومهينة جداً والطعام تافهاً قبيحاً فوقع صاحب الترجمة في مرض الجرب واشتد عليه فلم والده بذلك فاراد استخراجه من المدرسة بالحيلة لانهم لم يؤذنوا له باخراجه فلم يرض علي بل فضل البقاء في المدرسة رغبة في اتمام علمه فقباه والده وودعه وهما ما كان

وفي السنة التالية سنة ١٢٥٢ تفرغ من مرضه وعاد الى دروسه ولكن محمد علي باشا أمر بان تجعل مدرسة قصر العيني لتعليم صناعة الطب فنقل تلامذة العلم منها الى مدرسة ابي زعبل . وكانت العلوم الرياضية لديه الى ذلك الحين كاطلاسم لا يفهم لها معنى لتعقدها وسوء طرق تدريسها فاعتنى ناظر تلك المدرسة المرحوم ابراهيم بك رافت بالقاء تلك الدروس بنفسه يشرحها للتلامذة ببسط عبارة - قال صاحب الترجمة « وكانت طريقته هذه باب الفتوح علي »

وأخذ علي من ذلك الحين يذوق لذة العلم على أنواعه ثم انتخب فيمن انتخب لمدرسة المهندسخانة فدرس فيها خمس سنوات

وفي سنة ١٢٦٠ هـ عزم المغفور له محمد علي باشا على ارسال انجاله الى فرنسا للتعلم فانتخب علي في جملة تلك الارسالية فاقاموا في باريس سنتين ثم أرسل بعضهم وفي جماعتهم هو الى متس وقد تغلغل كل منهم رتبة الملازم فقاوا في هذه أيضاً سنتين درسوا فيها فن الحرب وما يتعلق به

ثم لما توفي المغفور له محمد علي باشا وتولى عباس باشا استقدم الارسالية الى مصر وانتم على صاحب الترجمة ورفاقه برتبة يوزباشي وألحق هو بالجيش المصري وقائده اذ ذاك سليمان باشا الفرنساوي الشهير . ثم ابتد به المغفور له عباس باشا الاول

ليكون في لجنة الامتحان التي عينها لامتحان مهندسي الارياض فقام بذلك المهمة حق القيام

وفي سنة ١٢٦٦ هـ أوعز اليه عباس باشا ان ينظم أسلوباً للمدارس مع الاقتصاد بالنفقة فنظمه وقدمه اليه فاعجبه وأنعم عليه بمقابل ذلك برتبة أميرالاي . ولكنه طلب اليه ان يتولى نظارة تلك المدارس بنفسه فاهتم بذلك اشد الاهتمام ولم يكتف بالادارة ولكنه كان يؤلف بعض الكتب اللازمة للتدريس وآتى الى المدرسة بمطبعة حجر لطبع الكتب وكان يراقب سير المدارس جيداً من النظافة والترتيب وطرق التعليم والى في العماره كتاب للتعليم ( لم يطبع )

وما زالت الحال كذلك حتى تولى المغفور له سعيد باشا فوشي اليه به ففصله من نظارة المدارس وبعث به في الحملة التي سارت لمحاربة روسيا مع الدولة العلية سنة ١٢٧٠ فسافر فقامى احوالا كثيرة وعاد سالماً وعند عودته كان في جملة من اخلي سبيلهم من العسكرية فعاد الى مسكن حقير أوى اليه لا يملك شيئاً ولم يلتفت اليه أحد ممن كانوا له اصدقاء وقت الرخاء . مكث سنين في هذه الحال حتى انتفى المناصب والرتب والى العزلة والسكنى بعيداً عن الناس وعزم على الود الى بلده . وفيما هو في ذلك صدر الامر بفرز ضباط الجهادية لانتقاء الصالحين منهم للخدمة فكان هو من المختارين فتقدم منصب معاون في نظارة الجهادية ثم تعين وكيلا لمجلس التجار ثم مفتشاً لنصف الوجه القبلي . ثم اقبل من هذه المناصب وتبرع بتعليم الضباط والصف ضباط القراءة والكتابة والهندسة . وفي أثناء ذلك ألف كتاباً في الهندسة سماه « تقريب الهندسة » وكتاباً آخر في الاستحكامات وآخر سماه تذكرة المهندسين . ثم رقت فضاقت ذات يده حتى عزم على معاطاة التجارة فاشترى جانباً من الكتب كانت الحكومة عرضتها للبيع بأثمان بخسة فاشتراها وباعها فرح منها ربحاً حسناً ولكنه ما زال قانطاً مما كانت تطمح اليه انظاره من المناصب بسبب تغير سعيد باشا عليه بما وشى به اليه كما قدمنا . فلما توفي سعيد باشا سنة ١٢٧٩ وخلفه الخديوي الاسبق اسماعيل باشا تجددت آماله وألحقه اسماعيل باشا بمعيته ثم عينه في نظارة القناطر الخيرية وكانت لا تزال في حاجة الى المهندسين فاحرى فيها عدة اجراءات . وفي سنة ١٢٨٢ بعث به للنيابة عن الحكومة الخديوية في المجلس الذي تشكل لتقدير الاراضي التي هي حق شركة خليج السويس على مقتضى القرار المحكوم به من امبراطور فرنسا فقام بذلك المأمورية حق القيام فاحسن اليه برتبة المتمايز وأنعمت عليه الدولة الفرنسية اثناء ذلك برتبة ( أوفيسيه ايجيون دونور )

وفي سنة ١٢٨٤ هـ عهدت اليه وكالة ديوان المدارس . ثم انتدبه الخديوي للسفر

الى باريس في مهمة مالية فاستفاد من سفره هذا فوائد جمة واجتلى أهم المتاحف والآثار والمدارس . وبعد عودته بقليل انعم عليه برتبة ميرميران واحيات الى عهده ادارة السكك الحديدية المصرية وادارة ديوان المدارس وديوان الاشغال العمومية ونظارة الاوقاف مع بقائه على نظارة القناطر الخيرية . ولا يخفى ما يقتضي للقيام بكل هذه الاعمال من الهمة والنشاط والقدرة فكان يعمل ليله ونهاره حتى لا تفوته فائتة . وفي اثناء ذلك سعى في نقل المدارس من العباسية الى درب الجمائيز في القاهرة حيث لا تزال الى اليوم وأسس دار الكتب المصرية وانشأ كثيراً من المدارس الاميرية المنظمة في البنادر الكبيرة بالوجهين القبلي والبحري . وانشأ مدرسة دارالعلوم يتخرج فيها المعلمون ويتعلمون طرق التعليم والعلوم العالية . ومعرضاً للآلات الطبيعية وغيرها من أدوات العلوم الرياضية لكي يتمرن عليها التلامذة فتكون معارفهم مبنية على المشاهدة والاختبار . ووجه التفاته الى الاوقاف فاصحح كثيراً فيها ودبر أملاكها ورتب حساباتها

وأما أعماله مما يتعلق بديوان الاشغال فكثيرة منها تنظم شوارع القاهرة وتوسيعها كما هي عليه الآن . ومن الشوارع التي فتحت على يده شارع محمد علي وميدانه وشوارع الازمكية وميدانها وما يحيط بمابدن من الشوارع ونحوها وباب اللوق وكانت جهات الفجالة والاسماعيلية تلالاً وآكاماً قدرة قائم بها الخديوي الاسبق على الناس فهدوها وبنوا فيها القصور والحدائق حتى صارت كما زراها الآن . وفي عهده بني كبري قصر النيل الباذخ المتين وتنظمت الجزيرة وانشئت فيها الشوارع المحفوفة بالاشجار . وجلبت المياه الى القاهرة بواسطة الشركة وانشى كثير من الجسور والترع في جهات القطر كترعة الابراهيمية والاسماعيلية . وفي عهد توليه الاشغال ايضاً تم فتح قنال السويس رسمياً ودعي الملوك لحضور الاحتفال بذلك فكانت الاعمال اللازمة للقيام بمعدات ذلك الاحتفال منوطة به فأهدى اليه بعد الاحتفال نشان غران كوردون من النمسا ونيشان كوماندور من فرنسا والغران كوردون من روسيا

وبقيت عهده تلك الادارة بيده الى سنة ١٢٨٨ هـ ثم فصل عنها لخلاف حدث بينه وبين ناظر المالية اذ ذاك وتعين ناظراً للمكاتب الاهلية . ثم استقل ديوان الاشغال فتعين وكيلاً له ثم تعين في مناصب أخرى حتى سنة ١٨٧٧ م عندما ترتب مجلس النظار وصارت ادارة أعمال الحكومة منوطة به فتألف المجلس تحت رئاسة نوبار باشا وتعين صاحب الترجمة ناظراً على المعارف والاوقاف فبذل جهده في توسيع نطاق المعارف فانشأ مدارس كثيرة في الوجه البحري . حتى كانت حادثة تدمير الجهادية ثم



سقوط الوزارة النوبارية وتألف وزارة أخرى لم تدم طويلاً لانفصال الحديوي السابق وتولي المرحوم الحديوي السابق وفي مدته هذه أيضاً أجرى إصلاحات كثيرة وخصوصاً في الريّ

وعقب تولي المغفور له الحديوي السابق الحادثة العراية وكان فيها صاحب الترجمة من المحافظين على ولاء الجناح الحديوي وطالما حث الناس على الرضوخ والاذعان ولم تنجح مساعيه . فلما انقضت تلك الازمة بالاحتلال الانكليزي سنة ١٨٨٢ وعاد الى اهتمامه في الري وما يتعلق به من بناء الجسور والحيطان وحفر الترع وتوزيع الماء . وفي أواخر تلك السنة سقطت تلك الوزارة الرياضية فعهدت فيها نظارة المعارف الى صاحب الترجمة فاجرى في المعارف هذه المرة أيضاً إصلاحات جمة ثم اعزل الاعمال وما زال حتى توفاه الله

( مؤلفاته ) لصاحب الترجمة مؤلفات مفيدة تقدم ذكر بعضها وأشهر ما بقي منها كتاب « الخطط التوفيقية » طبع بمصر في عشرين جزءاً وهو تكملة لخطط المقريري ومؤلف على مثاله . ومنها كتاب علم الدين وهو عبارة عن رواية أدبية عمرانية في عدة أجزاء



## الدكتور كريليوس فان ديك

ولد سنة ١٨١٨ هـ وتوفي سنة ١٨٩٥ م

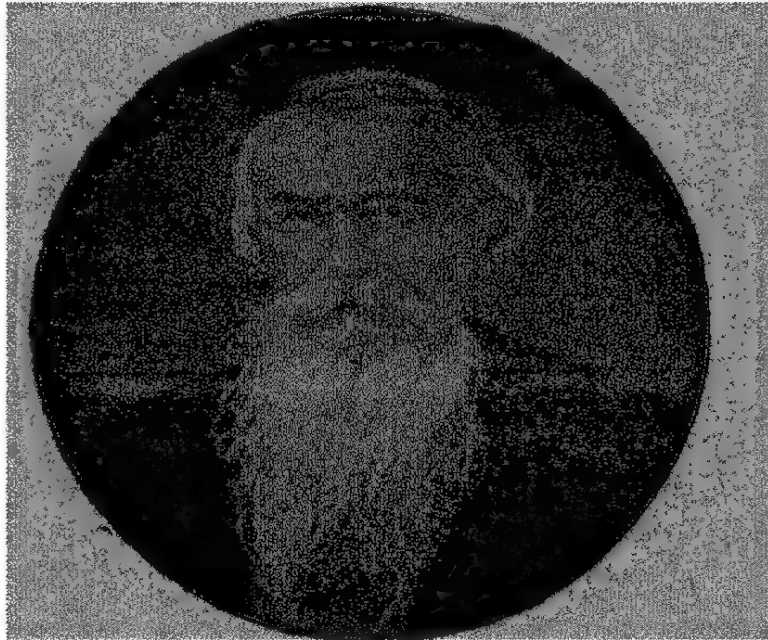
( ترجمة حياته ) ولد الدكتور فان ديك في قرية كندر هوك من أعمال ولاية نيويورك باميركا في ١٣ أغسطس ( آب ) سنة ١٨١٨ ووالداه هولانديا الاصل من عائلة هاجرت الى اميركا منذ مئتي سنة . وولد لهما سبعة بنين هو اصغرهم وسمياه كريليوس فتلقى مبادئ العلم في مولده فظهرت عليه مخائيل النجابة والذكاء واتقن اللغتين اليونانية واللاتينية فضلا عن اللغتين الانكليزية والهولندية اللتين رضعهما مع الابن . وحاز قصب السبق على رفاقه وكاهم اكبر منه سناً وكان والده يتعاطى مهنة الطب في تلك القرية وله فيها صيدلية ( اجزاخانة ) فكان كريليوس يعمل ساعات الفراغ في صيدلية والده وهو مع ذلك مفرغ بالعلم عامل على اكتسابه بكليته حتى جمع من تلقاء نفسه منبئة فيها كل النباتات البرية التي تنمو في تلك النواحي وتعلم تحفيفها وتقسيمها وترتيبها بنفسه على نظام لينوس رسماها باسمائها وهو صبي صغير فكان ذلك دليل على ميله الفطري الى العلم

ثم اخنى الدهر على والده فنكب بمحاذنة اذهبت كل ماله — ذلك انه كفل صديقاً له على مال خان زمن الدفع فقدر الصديق قاضطره الى دفع المال فاستغرق كل ما كان يملكه من متاع وعقار فاصبح صفر اليدين ولم يعد في وسعه تعليم اولاده في المدارس العالية . أما صاحب الترجمة فكان لشدة ميله الى العلم لا يفتر لحظة عن تدبير الوسائل للحصول على الكتب وهو في البيت اما بالاستعارة أو بالاستئجار بدريهمات يجمعها بشق النفس أو ان يحفظ مضمونها بالسمع . وكثيراً ما كان يتزلف الى بعض اصحاب الكتب التماساً لمطالعة كتبهم . وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق في داره مكتبة فلما آنس في الغلام ذلك الاجتهاد أخذته الحمية فدعاه اليه واباح له مطالعة كل ما يريده من الكتب فاكب على المطالعة يفترق العلم اغتراف الظمان للماء الزلال وكان في تلك المكتبة كتاب في علم الحيوان للعالم كيفيه الشهير فدرسه حتى تفهمه جيداً ثم درس بنفسه كل ما تيسر له الوصول اليه من حيوان بلاده

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى باع من العلم مبلغاً حسناً وصار يلقي خطباً في فن الكيمياء على صف البنات . ولا يستغرب بلوغ مثله هذا المقدار من العلم ولكن الغريب انه ناله بالرغم عن ضيق ذات يده وقلة وسائل التعليم ثم عكف على دراسة

الطب على والده وكان قد اتقن فن الصيدلة علماً وعملاً فرأى بعض ذوي قربه ما خصه الله به من المواهب الثمينة تخافوا ان يحول الفقر بينه وبين خدماته لبني الانسان فادخلوه مدرسة سبرنكفيلد ثم مدرسة فيلادلفيا وهناك نال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور وكانت مساعدة هؤلاء له أساساً لافضال هذا الرجل العظيم على بلادنا جزاهم الله خيراً

ثم اختاره مجمع المرسلين الامريكانيين مرسلاً وطبيباً للديار السورية ففارق الاهل والوطن وهو في الحادية والعشرين من عمره وجاء مدينة بيروت فوصلها في ٢ افريل نيسان سنة ١٨٤٠ وكان في بيروت عند وصوله حجير محي على واردات اوربا

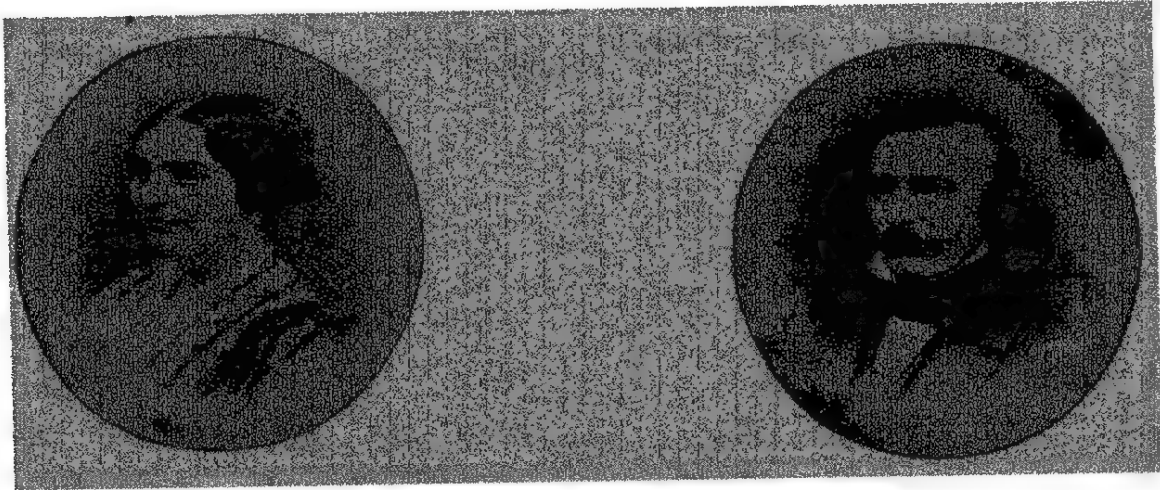


( ش ٧ ) الدكتور كرنيليوس فان ديك

فاقام في الحجير ( السكرتينا ) اربعين يوماً حفظ في اثنائها مئتي كلمة من اللغة العربية . ولم تطل مدة اقامته في بيروت فأوعز اليه ان يسير الى القدس لتطبيب عائلات بعض المرسلين . ثم عاد الى بيروت وشرع في تعلم اللغة العربية فتعرف بالمرحوم المعلم بطرس البستاني وكانا عزيين فأقاما معاً في غرفة واحدة واثتلف قلباها وتمكنت بينهما ربط المودة وما برحت الصداقة بينهما متينة يتحدث بها أهل الشام حتى الآن . ونذكر انا شهدنا الصلاة على المرحوم البستاني يوم وفاته وقد طلب من الدكتور فان ديك تأييده فوقف وقد تلعثم لسانه وارتعشت شفته وخنقته العبرات ولم يقو على الكلام ما خلا قوله « يا صديقي ورفيق صباي » كررها مراراً بصوت ممتزج بالبكاء فابكى كل من حضر

فتناول مبادئ القراءة العربية أولاً من لياس فوار البيروتي ثم قرأ على أبي بشاره طنوس الحداد الكفرشيمي وأخذ شيئاً عن صديقه البستاني ثم اتقن الفنون العربية على الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير فبرع فيها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ أشعارها وامثالها وشواهدا ومفرداتها وكل علومها واتقن التلغظ بها اتقاناً لم يسبقه إليه أحد قبله من جالية الأفرنج على اختلاف أصولهم ولغاتهم فإذا نطق لا تميز نطقه عن نطق أهل الشام مطلقاً فضلاً عما وعاه في حافظته من الامثال الفصيحة والعامية حتى صار يضرب المثل بضربه الامثال واتقن أيضاً اللغة العبرانية والسريانية

وفي خريف سنة ١٨٤٢ انتقل الى عيتات بلبنان واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت المستر بطرس آبت فنصل انكلترا في بيروت المشهورة بلطفها وحسن اخلاقها . وهاك رسماها بعيد الزفاف سنة ١٨٥٢



(ش ٩) : قربته

(ش ٨) الدكتور فان ديك سنة ١٨٥٢

وكان اقترانه هذا عوناً كبيراً له على اتقان اللغة العامية وحفظ أمثالها فقد كان لقرينته خادمة تدعى اسماء كانت نابغة في حفظ الامثال العامية أشبه بقاموس حي لها فكان الدكتور يأخذ عنها الامثال والالفاظ العامية ويحفظها حتى تمكن منها كما تقدم وما حكاها لنا أعرف الناس بأحواله انه لم يكن في منزله عند زفافه الا ستة كرامسي قش وثلاث حلل ومائدتان من خشب غير مدهون وكانون من طين غير ان ذلك كله لم يحط من منزلته ولا قلل شيئاً من قدر خدماته

ثم انتقل من عيتات الى قرية عيبه وهناك انشأ مدرسة عيبه الشهيرة بمساعدة صديقه البستاني وكانت اللغة العربية قليلة الكتب التعليمية في الفنون الحديثة فأخذ في تأليف الكتب اللازمة للتدريس فآلف كتاباً في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة

وآخر في الهندسة وآخر في اللوغرثمات والمثلثات البسيطة والكروية وسلك البحار والطبيعات ومعظم هذه الكتب مطبوع

وبعد أن قضى في عيبة أربع سنوات بالتدريس والتأليف دعاه مجمع المرسلين الى صيدا وعهد بمدرسة عييه الى المرحوم سحمان كلهوت المشهور بالفضل والاستقامة والتقوى وبقي الدكتور فان ديك مع صديقه الدكتور طمسن في صيدا وتوابعها معلماً واعظاً ومبشراً جائلاً من مكان الى مكان حتى توفي المرحوم عالي سميث سنة ١٨٥٧ فأتدب الدكتور فان ديك لترجمة التوراة والانجيل مكانه

وعالي سميث المذكور من أفاضل المرسلين الاميركانيين. وكان قد باشر ترجمة الكتاب المقدس من اللغتين الاصيلتين بمعاونة المعلم بطرس البستاني واتم ترجمة سفر التكوين وسفر الخروج الا الاصحاح الاخير منه وراجعها ومصححها وترجم أسفاراً أخرى لم يراجعها. فلما اتدب الدكتور فان ديك مكانه أبقى السقرين الاولين على حالهما وترجم وراجع ما بقي وعانى في غضون الترجمة أماباً جزيلة في التفتيش عن أصل كل لفظة باللغات الاصلية وتطبيقها على العربية ما جعل الترجمة الاميركانية كما وصفناها في كلامنا على ترجمات التوراة في السنة الثانية من الهلال. وتولى مع الترجمة ادارة المطبعة الاميركانية المشهورة وحسن فيها وزاد الحركات على الحروف حتى صارت من أحسن مطابع المشرق وأشهرها واتم الترجمة سنة ١٨٦٤ وبينه مجمع المرسلين الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ ليتولى أمر طبعها وتصفيح صحائفها بالكهربائية هناك فاقام في الولايات المتحدة سنتين حتى اتم هذا العمل وعاد الى سورية سنة ١٨٦٧

وكان أثناء اقامته في اميركا هذه المرة يدرس العبرانية في مدرسة يونيون اللاهوتية وكثيراً ما كانت الطلبة يعافون درس هذه اللغة ويأبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها وعدم مناسبة أسلوب القائماً. اما هو فنير أسلوب التدريس وجعل يعلمهم اياها كلفة حية فصار الطالب يجد في درسها معنى ولذة ويرغب في تحصيلها فتقاطر الطلبة الى صفه وتكاثر عددهم. فلما رأت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليه ان يبقى استاذاً للعبرانية فيها وعينت له راتباً كبيراً فاعتذر عن قبوله قائلاً « قد تركت قاي في سورية فلا لذة لي الا بالعودة اليها » وتم في ذلك الاثناء انشاء المدرسة الكلية السورية في بيروت على نفقة جماعة من أهل البر في الولايات المتحدة باميركا فعرضت عليه عمدة تلك المدرسة الكبرى في اميركا ان يكون استاذاً فيها فاجابها الى ذلك ثم طلبت اليه ان يعين راتبه السنوي بنفسه فكتب ٨٠٠ ريال مع ان راتب أصغر اساتذتها لا يقل عن ١٥٠٠ ريال وانما فعل ذلك حباً بخير البلاد وتفع أهلها

ولما وصل بيروت باشر تأسيس المدرسة السكّلية الطّبية مع صديقه الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعها وحدهما نظاماً لدروسها وشرعاً في التعليم لا يحاسبان على انعاب ولا ينظران الى مكافأة أو مدح . ولما رأى الدكتور فان ديك ان المدرسة تفتقر الى استاذ يدرس الكيمياء فيها اقبل من فوره على تدريسها وهو انما عين استاذاً لعلم الباثولوجيا لا لغيره . ولم يكن في المدرسة حينئذ من أدوات الكيمياء الا قضيب من زجاج وقنينة عتيقة فانفق مئتي ليرة انكليزية من ماله لاستحضار ما يلزم من الادوات . والف كتابه المشهور في مبادئ الكيمياء لتدريس التلامذة وطبعه على نفقته وهو يعلم انه لا يسترجع نفقات طبعه قبل مماته . وما زال يدرس هذا الفن ست سنوات متوالية ينفق على لوازم التدريس من جيبه . وعينت عمدة المدرسة استاذاً للكيمياء فجاء وبقي سنتين يتعلم العربية ويقبض اجرتة والدكتور فان ديك يدرس مكانه مجاناً حباً بمصلحة المدرسة وخير ابناء البلاد . ولما تولى استاذ الكيمياء اشغاله ترك الدكتور فان ديك للمدرسة كل ما انفق عليه ولم يأخذ مقابله الا مئة ليرة انكليزية



(ش ١٠) الدكتور فان ديك بابا الشرق

ولم يقتصر الاستاذ على ذلك ولكنه تولى منصباً ثالثاً لتعليم علم الفلك لان المدرسة لم يكن في وسعها القيام بتفقة تدريسه فتبرع هو بتدريس هذا الفن مجاناً والف له كتاباً وطبعه على نفقته ايضاً كما طبع كتاب الانساب والمثالثات والمساحة والقطوع الجروية وسلك البعير . ولم يكن في المدرسة آلات فلسكية يعتد بها فلما لبثت ان شرعت في بناء مرصدها حتى اتباع له آلات بقيمة سبعمائة ليرة انكليزية من ماله الخاص . وأثنه وفرش فيه على نفقته واشهر ذلك المرصد باسمه في المشارق والمغارب . ولما خلقه معاونه في

تدريس علم الفلك الوصفي ألف كتاباً في الفلك العملي وجعل يعلم به الطلبة على الآلات وكان مع تدريسه الباثولوجيا والكيمياء والفلك يتولى ادارة المطبعة الاميركانية فنتقد ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف النشرة الاسبوعية ويطلب في المستشفى البروسياني وكانت المرضى يتقاطرون عليه افواجا حتى بلغ عددهم الالوف في السنة فضلاً عن تأليف الكتب العلمية والطبية والدرس والمطالعة والامتحانات العلمية وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض مما يعجز جماعة من الرجال عن القيام به

وفيما هو لاه باشمال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلمية عما سواها من مطاعم البشر نكبت المدرسة الكلية بحادث شوه تاريخها ولا تريد ذكره لان فيه اثارة الاحقاد وتكدير المواطنين . ولكننا نول بالاجمال ان الدكتور فان ديك اظهر في ذلك الحيات شهامة وغيرة وشرفاً ومروءة تذكر له مدى الدهر لانه فحى مصاحته الخصوصية انتصاراً للحق والعدل فاعزل عن المدرسة محتالاً آلام فراوها وملام ذوي الاغراض مخالفة على مبادئه . فعوضته المدرسة عما ترك في مرجدها خمسمائة ايرة انكليزية دفعتها له اقساطاً . وما زال يطلب في المستشفى البروسياني على جاري عادته حتى سعى البهض في صد فؤاده عن بني الوطن فترك المستشفى على غير رضى منه . لكنه انما تركه ليحيى في الوجود مستشفى مار حرجس لطائفة اروم الارثودكسين فكان له في تأسيسه وانشائه ايات تذكر . وما زال يطلب المرضى فيه ويبذل ما في وسعه في تنشيطه ادياً ومادياً الى اواخر ايامه والطائفة الارثودكسية لا تنسى فضله في ذلك

وفي ٢ افريل سنة ١٨٩٠ احتفل أهل سوريا بمرور خمسين عاماً على اقامته بينهم فاقاموا له يوبيلاً شاركهم فيه افاضل المشاركة في مصر والعراق وغيرهما بالا ككتاب وتقاطرت عليه الرسائل والقصائد وكتب النهضة من وجهاء سوريا وامرائها وجمعياتها وبطاركتها واساقفتها ومجامعها على اختلاف المذاهب والتحل وملأت جرائد القطرين السوري والمصري اعمدتها بذكر مآثره وافضاله وأعماله ولولا ضيق المقام لجاء بهض ما قيل فيه ولكن ذلك مجموع في كتاب مطبوع على حدة بمطبعة الايركان ببيروت فن أراد التفصيل فليطالع

(اليوبيل الخمسيني) لما دنى اليوم الثاني من افريل سنة ١٨٩٠ وهو الذي وطئت به قدم الدكتور ارض الشام منذ خمسين عاماً اجتمعت فئة من وجوه بيروت على اختلاف مذاهبهم والقوا لجنة تجمع ما تيسر من المال لتبذله في تقديم هدية لحضرته

دليلاً على اقرارهم بفضله واعترافهم بمقدار خدماته  
وقبل مباشرة العمل سارت اللجنة الى دولة الوالي اذ ذاك (عزيز باشا)  
واستأذنته فذشطها كثيراً ومما قاله لها «يسرني ان أرى السوريين يعترفون بالجليل  
ويقدرون خدم الرجال حق قدرها وهو دليل على تمدنهم ورقة عواطفهم ولا ريب ان  
سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم يشترك مع رعيته الامينة في مكافأة الرجل الذي خدم  
الانسانية في بلاد جلالته خمسين عاماً»

فمادت اللجنة وقد اشتد عزمها وبشرت العمل بالا ككتاب قانست من السوريين  
وغيرهم رغبة شديدة في تنشيط مشروعاتها وانعم جلالته السلطان الاعظم في أثناء ذلك  
على الدكتور بالنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة مشاركة لرعيته في اكرامه . وما زالت  
اللجنة تكاتب الجهات وتنشر اعمالها في الجرائد والمجلات حتى جاء يوم اليويل فاذا في  
صندوقها خمسمائة ايرة فتفاوضت في ماذا تعمل بها واستشارت دولة الوالي فاجمع الرأي  
على ان تقدم اليه تقدماً على شريطة ان لا يبذلها في سبيل الخير كعادته بل يبقها في يده  
بالوجه الذي يحناره علامة دائمة لا عند اهل الوطن من الشكر والمحبة له

ولما كان صبح الاربعاء ٢ افريل (نيسان) سنة ١٢٩٠ سار اعضاء اللجنة الى  
دار الاستاذ لالقيام بفروض التهئة وتقديم الهدية فاذا بتلك الدار قد غصت بالوفود من  
المهنيين على اختلاف الاديان والنحل والدكتور وقرينته جالسان في صدر القاعة  
يقابلان المهنيين بما جبالا عليه من الالحاف والانس فدخل اعضاء اللجنة وقدموا له  
عريضه مكتوبة على رق غزال تتضمن احساسات السوريين نحوه واقرارهم بفضله  
وتلاها الرئيس وهاك نصها :

« ايها السيد الجليل الفاضل

« روت عنك اخبار المعالي محاسناً كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد »

« لا علم السوريين بلوغكم نهاية السنة الحسنة منذ حضوركم الى سورية وعرفوا  
انكم شغلتموها بخدمة الوطن وأواماً توجبه خدمة الانسانية اشعاركم بما في افئدتهم  
من عواطف الشكر على ما اسكنكم من الايدي البيضاء عندهم في كل هاتيك السفين ولم  
يفقههم انكم منذ وطئتم ارضهم نهجتم المنهج السوري حتى صرتم كاحد ابناء سورية  
وشرتم حبها ورغبتهم في نفعها وجعلتم غاية حياتكم افادة سكانها . قالتم كثيراً من  
مفيدات الكتب على اختلاف صنوفها من أدبية وعلمية وطبية وسعيتم في تشييد  
صروح العلم ونوادي الخير وعلمتم الفقراء والمرضى فنشأ من مساعيتكم واتعابكم عظيم  
الفوائد لشبان هذا القطر وقد صار كثيرون من تلامذتكم فيه كمولا وشارككم بعضهم



في الشيخوخة . وهم جميعاً موقنون انه ما حملكم على ذلك سوى حب الانسانية بخلاص  
اثبتته شواهد السنين . وعلى ما ذكر اختاروا لجنة تتوب عنهم في التهنئة لكم بادراككم  
هذا اليوم الموافق ليوم دخولكم سورية في سنة ١٨٤٠ . وفي التصريح باطيب التند  
عليكم لما سبق بيانه من منافبكم وما آركم وفي سؤال المتيب الكريم ان يطيل بقاءكم  
ويجعل سائر ايامكم زمن راحة وسلام . وتقديم هدية منهم على اختلاف الملل والمذاهب  
وهي وان تكن أمراً يسيراً لا تقصر عن ان تكون آية ما في قلوبهم من خالص الشكر  
لجنايبكم . وفي الختام نسأله تعالى ان لا يضيع لكم اجراً وان يحجزكم خير الجزاء .  
آمين »

فاجابهم الدكتور والدموع تتلأأ في عينيه من الفرح قائلاً :

« ليس لديّ الفاظ تترب عما في قلبي فلاجدرني قبول اكرامكم بالسكوت الا بكم  
وهو شاهد لا تحتاج شهادته الى تزكية ومن أقوى حاسياتي اليوم اني لم افعل شيئاً يستحق  
من حضراتكم كل هذا الالتفات وادا كان الله سبحانه وتعالى قد فسخ في أجلي حتى  
انضي في هذه الديار . ٥٠ سنة فاست أرى ان ادعي نفسي جيلاً . على اني اصرح قدام  
الله والانس اني ائت بين اهل الشرق بكل نية صافية ولم أقصد غير نفع جيلي وترقيته  
وتخفيف الائمةا على قدر الاستطاعة وهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء » الى أن قال  
« فاقدم لحضراتكم الشكر الجزيل من صميم القلب وارجر ان تتوبوا عني في ابلاغ  
شكري وامتناني لكل من شارككم في هذا الاكرام ولا سيما أصحاب الجرائد الذين  
سعوا في المعونة على ما اجرتموه أي . من الجرائد المصرية الاهرام والمقطنف والشفاء  
واللطائف والمقطم . أما الجرائد السورية أعني لسان الحال وبيروت والثمرات  
والصفاء والمصباح والتقدم فلا اتجاسر ان اتفوه من جهة لان ( الفاق في الجوزة )  
جزاكم واياهم الله عني كل خير في الدنيا والآخرة وادام لنا مليكاً رتينا تحت ظله  
بالامن والسلام »

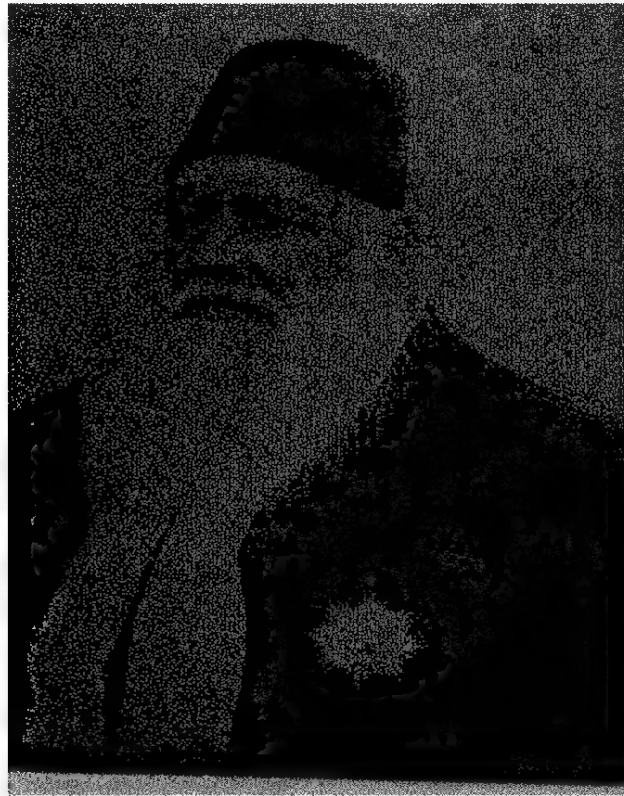
ثم نهض جماعة من العلماء والشعراء وأرباب المناصب العالية وغيرهم من وجهاء  
البلاد وتلو القصائد والخطب في تهنئة حضرته وتقديم الهدايا ومن جملة ما قدم اليه  
منها صورته الفوتوغرافية مرسومة كبيرة على صفيحة من البلور يحيط بها برواز شرقي  
جميل . ومكتبة ثمينة مصنوعة من خشب الجوز وفيها تأليفه مجلدة تجليداً متقناً قدمها  
اليه المرسلون الاميركان في سورية . وطاقتهم قهوة فضي قدمته عمدة مستشفى ماري  
جرجس للروم الارثوذكس . وكتاب فوتوغرافي ( البوم ) من عمدة المستشفى  
البروسياني وغير ذلك

( أعماله ومؤلفاته ) قضى الاستاذ الملامه رحمه الله نيافاً وخمساً وخمسين عاماً في سوريا وهو ( كما وصفته جمعية الروم الارثوذكس ) لا تنفتح في الصباح عيناه الا عن لائذ بجنابه ولا تسير في النهار قدماه الا الى معونة اعدائه وأصحابه . ولا يخلق في المساء بابه الا على منصرف مرتض واقف في بابه . ولا يأوي في ليلته غرفة الا لينكب على مكتوباته وكتاباته --- حياة امتلات بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة . وهي في كل أدوارها ذكاء وفطنة ودرس ومعرفة وعلم وعمل واستفادة وافادة وعبادة لله وحب للقريب وخدمة للانسانية

وزد على ذلك قيامه بتنشيط المشروعات العلمية والادبية فلم تقم جمعية علمية أو ادبية الا كان هو المنشط في انشائها ولا انشأت مدرسة الا كانت له يد بيضاء فيها وهكذا قل عن المستشفيات والكنائس . ولا يقتصر في مساعدته على التنشيط الادبي ولكنه يجود بالبذل والعطاء والخدمة الشخصية علماً وعملاً لا ينظر في كل ذلك الى مذهب دين آخر أو طائفة دون أخرى فهذا مستشفى القديس جاورحيوس للطائفة الارثوذكسية بيروت فان الدكتور أول من فتح حبيه لتنشيطه وقضى بضمة عشر عاماً يطلب مرضاه ويخفف آلامهم ويألف احزانهم رقة وائناً وهذه الجمعية السورية لا يذرا اسمها الا مغروباً باسمه فلها أول جمعية تأسست في بلاد الشام وهو الواضع لاساسها . اسأل جمعية شمس البر والمجمع العلمي الشرقي اسأل الخواص الدينية الانجيلية . ماهيك بما افاده بعظاته وخطبه ومراسلاته بل ما قولك بما اثره بقدرته فان من يجاوره أو يعاشره لا تلبث ان تراه قد اكتسب شيئاً من اخلاقه وهو لا يدري فيعكف على اكتساب العلم وخدمة الوطن . ومما نذكره له ونعده خدمة كبرى ايعازه الى أحد منشئي المقتطف ان ينقل كتاب سر السجاح الى الانسان العربي فان نشر هذا الكتاب النفيس بين قرائه أثر تأثيراً كبيراً في بعثه العلم والعمل . انهم لانه كتاب لم يكتب علماء الاخلاق والاعمال على مثاله . ولا ريب عندما انه قد سيلاً كبيراً في انهاض الذين قرأوه وخصوصاً الشبان فان مطالعة ما فيه من سير الرجال العلم والعمل تثير في انفس الاحرار رغبة في الاقتداء بهم والدسج على منوالهم . على ان في سيرة استاذنا رحمه الله ما ينبغي عن مطالعة ذلك الكتاب

ومن أعماله انه كان اكبر . ساعد في تأسيس المدرسة الكلية السورية والمرصد الفلكي والمطبعات . كان له عناية بالرسائل الاميركانيين في سوريا . ومن اقوى اثره في نشر تعليمهم وبث روح العلم والعمل بغير أن يحس كرامة طائفة من الطوائف

لند ولم يبق قارىء من قرائهم لا يعرف اسم السيد احمد خان فهو من هذا القبيل  
 ييه باستاذنا الدكتور فان ديك في سوريا . واليك ترجمة حاله  
 ( ترجمة حياته ) يتصل نسب السيد احمد خان بارومة عريقة في الشرف .  
 كان اجداده الاولون من اهل المناصب الرفيعة في بلاط امبراطوري المغول . اولهم  
 سيد هادي أصله من هرات ثم نزع الى هندستان وأقام فيها وحفيده جد صاحب  
 ترجمة نال من دولة الهند على عهد الامبراطور الابجير لقب جواد علي خان وجواد  
 -ولة . واما جده لامه فهو خوجه فريد الدين احمد وكان رجلا قاضلا تقلد منصباً



( ش ١٣ ) السيد أحمد خان

بمياسيا كبيراً وانفذ سفيراً الى شاه الفرس انقذه اللورد ولسلي ( غير ولسلي مصر ) .  
 فناما والد السيد احمد خان فهو السيد محمد تقي وكان تقياً ورعاً اعتزل الدنيا وانقطع الى  
 لاصلاة والعبادة . ولما غاب الانكليز على المنود وآلت حال امبراطور المغول ( اكبر  
 الثاني ) الى الضعف انحصر في دهلي وبعث الى السيد محمد تقي ان يتولى الوزارة فأجابته  
 بمعتذراً شاكراً وأوصى اليه ان يوليها حماء خوجه فريد الدين لانه اهل لها وكان مقبلاً  
 في كل سكتة فاطاعه واستقدم خوجه فريد الدين وقلده منصب الوزارة ولقبه بمدير الدولة

وامين الملك خانبهادر . وبالجمله فان صاحب الترجمة شريف الاصلين ورث الهمة والذكاء من الجدین

(نشأته الاولى) وُلد السيد احمد خان في دهلي من أعمال الهند سنة ١٨١٧ ورَبِي في كنف والده معززاً مكرماً لما علمت من منصب جده خوجه فريد الدين ومقام والده السيد محمد تقي والسكنه كان في حدائنه خجولا جباناً — ويغلب في مزاجه يكونون كذلك في طفولتهم ان يشبوا على النعقل والدراية كان قواهم العقلية تنمو بنمو اجسادهم وتبلغ ببلوغها فيعملان معاً بقوة متعادلة . وكان الذين تظهروا فيهم حد الذهن في صغرهم تنمو القوى العاقلة فيهم قبل سائر الجسد فلا يبلغ الجسد أشده حتى تكون القوى العقلية قد مالت الى التفهيم فلا تستطيع العمل معه . وأما الاخلاق فيغلب ان تظهر في المرء واضحة منذ نعومة اظفاره — فالصادق يتبين صدقه من ابسط المسائل واحقرها وكذلك سائر الاخلاق كالاخلاص والرياء والبخل والكرم والحق والحلم وغيرها . وعلى هذا المبدأ يقال في السيد احمد خان لانه كان حر الضمير منذ حدائنه . ومما يروى عنه ان قيم البلاط الامبراطوري نادى السيد احمد وكان جملة احداث آخرين اجتمعوا هناك لغرض فلم يجب وكان والده واقفاً بجانب الامبراطور فذكر له الامبراطور ذلك فاجاب والده ان الغلام حاضر هناك فاستقدمه فوقف بين يدي الامبراطور فسأله لماذا لم يجب عند ذكر اسمه فقال « اني كنت غارقاً في النوم » فمجب ارباب المجلس لجسارته واوعزوا اليه ان يتجمل في الجواب ويعتذر عن نفسه فاجاب انه انما يقول الصدق وايس عنده عذر آخر يقوله . فضحك الامبراطور وأنعم عليه بعقد من الاولو يضعونه اكليلاً على الرأس

تلقى مبادئ العلم منذ الثانية عشرة وكانت والدته تستعيده كل ليلة ما تعلمه في النهار حتى ينبغ بين اقرانه — ما اجل هذه العناية من الوالدات

وفي سنة ١٨٣٦ توفي والده فانهم عليه الامبراطور بهادر شاه آخر ملوك دهلي برتب والده ونعوته مع لقب « عريف بونج » اي « استاذ حرب » وفي سنة ١٨٣٧ انتظم في خدمة الحكومة بادارة الانكليز بالرغم عن اقاربه . وفي السنة التالية تولى منصباً فضائياً في دهلي وفي السنة الخامسة والعشرين من عمره تقلد منصب « منصف » في قضاء فتح پور وبعد سنوات اخر انتقل الى دهلي وبعد عودته أكتب على المطامعة وذاق لذته لم يألّف كتاباً في « آثار دهلي » فانخبته الجمعية الاسيوية الملوكية عضواً فيها وفي سنة ١٨٥٧ كانت ثورة اهل الهند في دهلي وغيرها ففتكوا بالانكليز فتكاً ذريعاً وكان السيد احمد خان يومئذ في منصب نائب قاضي في بجنور فرأى تلك الثورة

في غير أوانها وتحقق أنها آيلة الى الضرر بوطنه فتصح لبعض زعمائها فلم يصنوا اليه بل تهددوه بالاذى اذا ساعد الانكليز فلم يطق ان يرى النساء والاولاد تقتل بلا ذنب فجمع رجاله حول مكان ضم فيه كل انكليز تلك المقاطعة واحاطهم برجاله وبالغ في المدافة عنهم حتى عرض نفسه للخطر وكاد العصاة يقتلونه مرة لو لم يلجأ الى غابة شائكة هناك . فلما انتفضت الثورة وفاز الانكليز اكرموه براتب مستديم مقداره ٢٠٠ روية في الشهر برثه بكره من بعده فضلاً عن هدايا كثيرة قدموها له

وفي اثناء ذلك كتب كتاباً في اللغة الاوردية ( الهندستانية ) في « اسباب الثورة الهندية » ترجم الى الانكليزية سنة ١٨٧٣ انتقد فيه كثيراً من اعمال الانكليز وكشف النطاء عن بعض مقاصدهم وبين الاسباب التي حملت الهنود على الثورة على كيفية اثبتت فيها وطنيته ولم تهره هدايا الانكليز ولا رواتبهم . على انه لم يفعل ذكر الخطأ الذي ارتكبه الهنود في تلك الثورة فبنى اقواله كلها على جهل الشعب الهندي احتياجه الى العلم قبل كل شيء وبناء على ذلك عاهد نفسه على الانقطاع الى هذه الخدمة . وجعل دأبه السعي في تعليم الشعب الهندي من المسلمين بأي وسيلة كانت . وهو مع ذلك مستخدم في مصالح الحكومة فكان فضلاً عن قيامه بواجبات مصلحته لا تفوته فرصة للسعي في هذا السبيل وكتب في اثناء ذلك شرحاً للتوراة في ثلاثة مجلدات وهو اول مسلم الف مثل هذا الكتاب فكان له وقع حسن لدى الهنود والانكليز معاً

( خدمته في العلم ) نظر هذا الرجل العاقل بنير بصيرته في ما يرجو منه النفع لترقية شؤون ابناء وطنه فلم يرَ خيراً من نزع التعصب الاعمى من بين ظهرانيهم واقتناعهم ان الانكليز وغيرهم من الامم الافرنجية بشرٌ مثلهم وان العلوم الحديثة كالطبيعات ونحوها لا تخالف الحقائق الدينية في شيء فضلاً عن نفعها الجزيل فالشأ في بادىء الرأي « جمعية للترجمة » ( وصارت الآن الجمعية العمومية في علي كده ) جعل موضوعها تقريب علوم الغربيين وآدابهم من اذهان الشرقيين . فأنست تلك الجمعية تذهيلاً من الحكومة فجعلها دوق اركيل تحت حمايته فتمكنت من نقل كثير من مؤلفات الانكليزية الى اللسان الهندي ونشرها بين العامة فنال السيد احمد خان من الحكومة الانكليزية سنة ١٨٦٦ وساماً ذهبياً ونسخة من مؤلفات ماكولي المؤرخ لانكليزي المشهور مكافأة له على تلك الخدمة

وفي سنة ١٨٦٧ انتقل الى بنارس من اعمل الهند وكان ابنه السيد محمود قد بلغ أشده فمول على ارساله الى بلاد الانكليز لتلقي العلم في مدرسة كمبريدج الشهيرة وسار

هو معه لعله يرى هناك اسباباً يستطيع الاستعانة بها في خدمة بلاده فلاقى ترحاباً عظيماً وتعرف بجماعة كبيرة من اهل العلم والسياسة فأجلوه واكرموه وكان دوق اركيل حينئذ وزيراً للهند فمنحه عضوية كوكب الهند وانتخبه عضو شرف في نادي الاثنيوم وكانت سفرته هذه بما شاهده في بلاد الانكليز من اسباب التمدن ووسائل التعليم كأنه نور انبثق لديه بغتة فكشف له عن حقيقة حال الشعب الهندي وما يحتاج اليه واتضح لديه جيداً ان التمسك بالقديم من عادات الآباء وتقاليد الاجداد والنفور من العلوم الحديثة وتجنب الامم الاخرى انما هو السبب الاكبر في استيلاء الجهل على ابناء جلدته . فعاد في اواخر سنة ١٨٧٠ الى بنارس وتولى مهام وظيفته وفي نفسه انشاء مدرسة في بلاد الهند على مثال مدرسة كمبريدج ولكنه أدرك خشونة ذلك المركب فلبث متربصاً ينتظر الفرص

فبدأ في تمهيد السبيل لذلك المشروع قائماً جريدة سماها " مصلح الهيئة الاجتماعية الاسلامية " نشر فيها مقالات ضافية بين فيها خطأ الذين يطعنون في العلوم الحديثة احرمون من يقتبسها وأورد لهم الادلة الدينية والشواهد الشرعية المؤيدة لاقواله وقضى في هذا الجهاد تسع سنوات متوالية . قال الكولونيل غراهم وقد كتب ترجمته الرجل « ان كتابته هذه اثرت في الهيئة الاجتماعية الاسلامية الهندية تأثيراً غريباً وكانت خير وسيلة لتقريب الهنود من حكاهم » ولكنه بلي بغضب كثيرين من المسلمين فجاءه التهديد والوعيد من البيت الحرام واتهمه بعضهم بالضلال . ولكنه ما انفك يجادلهم بالحسنى حتى اقنعهم بصدق اسلامه وفي جملة ما مكن اقتناعهم رد شديد اللاهجة دافع فيه عن المسلمين ضد كتاب ألفه السير وليم هنتر وموضوعه « مسلمونا بالهند وهم يتمقدون وجوب نبذ طاعة المملكة »

على ان ما لاقاه من امثال هذه العقبات لم يثن عزمه عن الغرض الذي اوقف بنية حياته لاتمامه وهو انشاء مدرسة كلية اسلامية فألف أولاً لجنة سماها « لجنة رأس مال المدرسة الهندية الانكليزية الاسلامية » على ان تكون تلك المدرسة في بنارس ثم اقروا على ان تكون في مدينة علي كده لانها في وسط العالم الاسلامي هناك فيسهل قدوم الطلاب اليها من البنجاب والاوود والهار وراجبوتانا وغيرها

ولكن تأسيس تلك المدرسة لم يكن بالامر الهين لان في سبيلها فضلاً عن النفقار الطائلة عقبه وعرة هي عقبة التعصب فقام لمصادرة المشروع جماعة يرون بقاء القديم على قدمه ويعدون الخروج عنه بدعة . ولكن صاحب الترجمة تصرف بالحكمة والدراية وعدل في بروغرام المدرسة وقوانينها تمديلاً اقنع الجميع ان الغرض منها تعليم المسلمين

وتثقيفهم على ما توجبه ديانتهم وان التعليم فيها يكون باللغات الشرقية والعلوم الشرقية . وساعده في هذا الجهاد جماعة من رجال الانكليز المشهورين فآخذوا في جمع الاكتاب من مسلي الهند فلاقوا مشقة كبرى فمضت مدة ولم يجتمع من المال ما يقوم بالنفقة اللازمة . اما السيد احمد ولجنته فلم ينتظروا اجتماع المال كله مخافة ان تطول المدة فتفتر لهم مع ما يتخلل ذلك من ضعف ائتمنة فتناولوا ما اجتمع لديهم من النقود وانشأوا به مدرسة صغيرة في علي كده سنة ١٨٧٥ وكان انشاؤها داعياً الى وثوق الناس في تلك اللجنة ومشروعها فاقدموا عليه ولم تمض سنتان اخريان حتى انهالت عليهم الهبات والمساعدات فأنشأوا المدرسة الكبرى وهي المدرسة الكلية في علي كده . وظلت لمدرسة برآسة بعض رجال الانكليز حتى انتقل هو الى علي كده فصارت اليه فامتقال من منصبه في القضاء وانقطع اليها منذ عام ١٨٨٠ وعكف على التعليم والتأليف والخطابة حتى توفاه الله في مارس سنة ١٨٩٨ وله من العمر ٨١ عاماً وقد جملته الشيب فزاده وقاراً ونال كثيراً من علامات الشرف مع لقب مير وألقاب اخرى

« صفاته الشخصية » كان رحمه الله عظيماً في كل شيء جسماً وعقلاً وخلقاً كان عظيم الرأس واضح الملامح كبير العينين كبير اللحية غليظ الشعر كما يتضح ذلك من النظر الى رسمه في هذه الترجمة وكان عظيم الهيبة مع رقة ووداعة عالي الهمة حازماً مقداماً كثير الصبر على المشروعات الوطنية وما برح الى آخر نسمة من حياته . استهلكاً في خدمة وطنه ساعياً في تأييد جامعة الاسلام ورفع شأن المسلمين . ومما ذكره لنا بعض معارفه انه لما عزم على انشاء كلية علي كده المتقدم ذكرها واحتاج الى جمع المال طاف البلاد بنفسه متنقلاً من مدينة الى اخرى ومن بلد الى آخر وكانت شهرته قد طارت في الآفاق فكان اذا نزل مدينة هم أهلها باعداد الاحتفالات وايلام الولايم احتفاء به فكان يقول لهم « لم آت لآكل ولا لاشرب وانما جئت استحقكم على مشروع وطني فما تتوون انفاقه على الاحتفال ادفموه اليّ نقداً لان المدرسة أحوج اليه » فبلغ مقدار ما جمعه في هذا السبيل ٤٠٠ ٠٠٠ روبية (نحو ٧٠٠ ٠٠٠ فرنك) فقها كلها على المدرسة وقضى نحو عشرين سنة في خدمتها ليلاً ونهاراً لا يلتبس أجراً لا شكوراً . وانما كان ينفق على نفسه من راتب استحققه من خدمته في القضاء ، قدره ٤٠٠ روبية في الشهر وابنه السيد محمود الآن قاضي قضاة المسلمين في مدينة الله آباد

(كلية علي كده) هي أعظم مدرسة كلية اسلامية في الهند تعلم فيها اللغات الهندية . الفارسية والعربية والانكليزية . عدد أساتذتها نحو خمسة عشر استاذاً كان في جملتهم

صديقنا شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني استاذ العربية فيها وهو من كبار العلماء المحققين . وعدد تلامذتها نحو ٥٠٠ تلميذ يفدون اليها من انحاء الهند بسيدتها وقريبها وهي المدرسة الوحيدة الكبرى التي أنشئت على نفقة الوطنيين واقتدى بها أهل لاهور منذ بضعة عشر عاماً فأنشأوا مدرسة سموها « مدرسة لجنة حماية الاسلام » وفي كلية علي كدة مكتبة نفيسة وجامع ومطبعة تصدر منها جريدة أسبوعية في اللغتين الاوردية والانكليزية اسمها ( اليكار انستيتوت غازت ) أي جريدة كلية علي كدة . ويقدرون نفقات تلك المدرسة بستة آلاف روبية في الشهر

فالسيد أحمد خان قد مات ولكن فضله لم يمض وهيات ان يغيب ذكره عن أذهان أهل الهند . وبالحقيقة انهم قدروه حق قدره فألفوا بعد وفاته جمعية سموها « جمعية احياء ذكر السيد احمد خان » فقررت ان افضل عمل يحيا به ذكره انشا مدرسة جامعة مثل مدرسته الاولى تسمى باسمه وتجمع لها الاموال من المسلمين في أقطار الهند وقدروا ما يقتضيها من ذلك فبلغ نحو نصف مليون جنيه وفق الله مسعاها



# اركان النهضة العلمية

الدكتور كلوت بك

مؤسس الاصلاحات الطبية في الديار المصرية

ولد سنة ١٧٩٣م وتوفي سنة ١٨٦٨ م

( الطب القديم ) كانت مصر الى آخر القرن الثامن عشر في حوزة الامراء المماليك ولا ينحى عليك ما كان من امرهم في دولتهم وامانة العلم والصناعة واستنزاف اموال الناس حتى لقد كان القطر يئن من شدة عتوهم . فلم يكن للعلم باب يدخل فيه أو تربة تنمو فيها وخصوصاً علم الطب فانه كان من جملة العلوم الدائرة . وكان الاطباء في الغالب من جالية بلاد المغرب يطبيون بالحجامة والسكي والفصد وغير ذلك مما لا يزال جارياً في اماكن كثيرة من هذه الديار وغيرها من بلاد المشرق

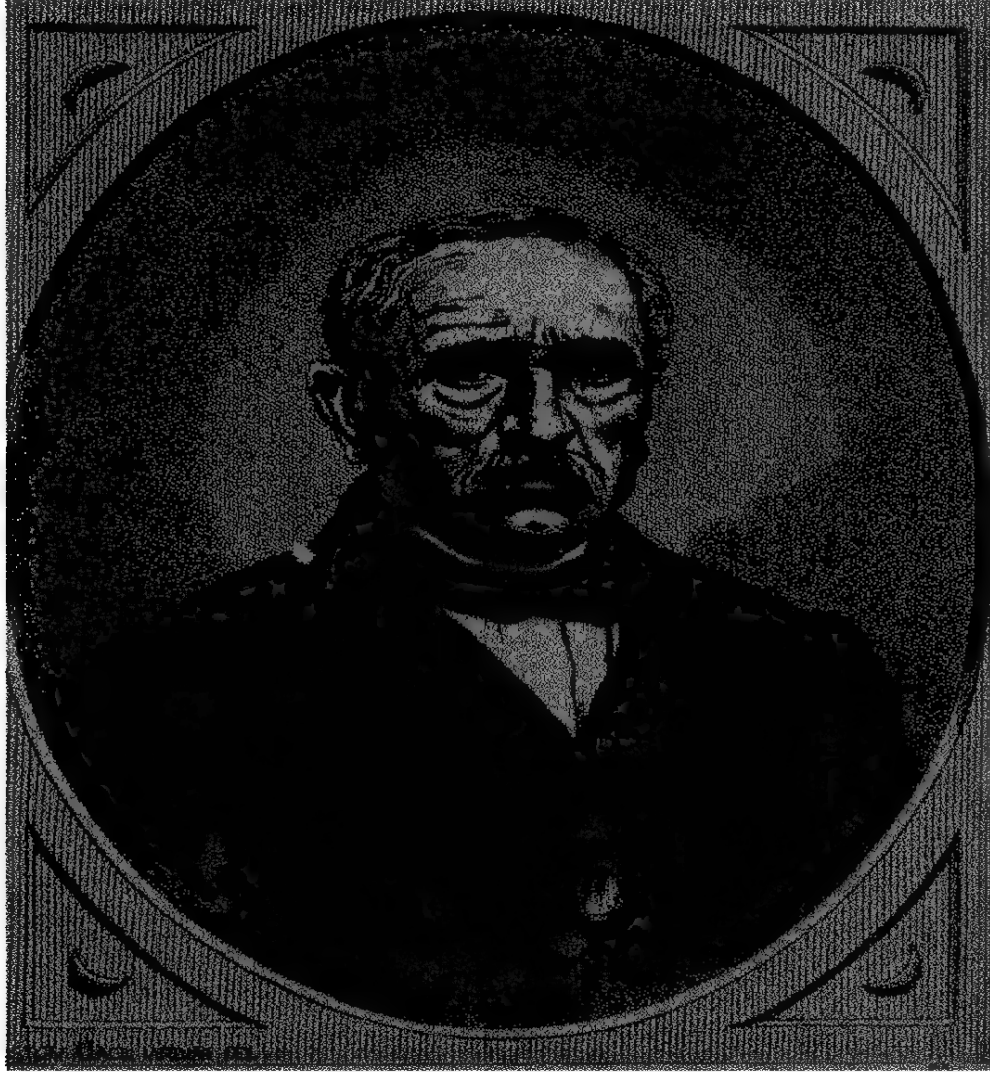
أما المدارس الطبية فلم يكن لها صورة في أذهان أولئك الحكام أو رعاياهم على ان بعض هؤلاء الاطباء المغاربة كانوا يلقون دروساً من تلقاء انفسهم على من يرغب في تلك الصناعة من أهل البلاد أو غيرهم . وكان الغالب في القائما في البيمارستان المنصوري بالنحاسين أو في أروقة الجامع الازهر أو في بيوت اولئك الاطباء . واما كتب التعليم فكانت مما كتب في العصر الاسلامي القديمة كمصر العباسيين أو الفاطميين أو غيرهما . ولذلك كان طب القرن الثامن عشر طب القرون الاولى في صدر الاسلام أو هو طب قدماء اليونان والرومان كإبقراط وجالينوس لان المسلمين اخذوا الطب عنهم

وما زالت حال الطب في هذه الديار على ما تقدم الى زمن الحملة الفرنسية التي أغار بها نابليون بونابرت على هذا القطر السعيد سنة ١٧٩٨ م فدخلت الجنود الفرنسية مصر واوغلوا في مدنها . وكان في جملة تلك الحملة جماعة من العلماء الذين اشتهروا في العلم ولا تزال اسماؤهم مشهورة في سائر انحاء العالم جاء بهم بونابرت اتاماً لمعدات الاستعمار ظناً منه بطول مكثه واستعمار هذه الديار المصرية . وقد بحثت هذه الجمعية في الآثار المصرية وتربة البلاد وحللوها ودرسوا طبائع الحيوان والنبات فيها وكان في عزمهم ان ينشروا لواء العلم بين اهليها لو لم تفاجئهم طوارئ الحداث بالانسحاب الى ديارهم بعد ثلاث سنوات من احتلالهم ( سنة ١٨٠١ م ) ولم يتجوا شيئاً مما كانوا شرعوا فيه في

(علومه) كان واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً الفلسفة وفلسفة تاريخ الاسلام والتقدم الاسلامي وسائر أحوال الاسلام . وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفراساوية جيداً مع الملم باللغتين الانكليزية والروسية . وكان كثير المصاحبة لم يفته كتاب كتب في آداب الامم وفلسفة اخلاقهم الا طالعه . واكثر مطالعته في اللغتين العربية والفارسية

(آماله وأعماله) يؤخذ من مجمل أحواله ان الغرض الذي كان يصبو نحوه . عماله والمحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في سائر افطار العالم في حوزة ديرة واحدة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى . وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا تمس كسباً ولكنه مع ذلك لم يتوقف الى ما اراده ففنى ولم يدون من بنات أفكاره الا رسالة في نفي مذهب الدهريين ورسائل متفرقة في مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث في نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركتهم وحدثت أفعالهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع بأعمالهم

الادارة أو العلم أو الصناعة ولكنهم تركوا آثاراً من التمدن الحديث كانت بمنزلة جرائم ضعيفة لو طال الامد عليها كأمّة لعفت آثارها وبادت . ولكن الله قيض لهارجل الاصلاح والحزم المغفور له محمد علي باشا فبعد أن قبض على أزمة الادارة والسياسة ودانت له الرقاب اخذ في تنظيم الاحوال واحياء المعالم المصرية — أراد بذلك أن ينشئ دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة.



ش ١ : الدكتور كلوت بك

اما حسن الادارة فكان هو الكافل لها مع من كان حوله من ذوي شواره من المصريين وغيرهم . واما العلم فعلم انه لا مندوحة له عن استخراجهم من معدنه فبعث الوفود الى اوروبا يستقدمون رجال العلم والصناعة وارسل جماعة من اذكاء شبان هذا القطر الى اوروبا يتلقون العلوم عن اهلها حتى يعودوا ويبثوها بين أبناء جلدتهم وكان ذلك أول الارشادات العلمية

يحب الدعوات الى الافراح ولا يأنس باللهو والطرب  
ومنها النفور من الدّين فهو يكره الدّين كرهاً شديداً وقد بالغ في ذلك حتى كان  
لا يلبس لباساً قبل ان يدفع عنه . وقد سمعناه مرة يلوم خياطة لانه أرسل الثوب  
اليه ولم يرسل من يقبض عنه ثائلاً « الملك تريد ان لا البس هذه البدلة » ومن أمثاله  
« الخلاقة بالفاس ولا جيل الناس »

ومنها حبه للامثال العامة والفصحى فلا رد في حديثه معنى الا أيده بمثل عامي  
ولا تسأله عن لفظ فصيح الا أورد عليه شعراً فسئل كيف حفظ ذلك فقال انه اقتبس  
من المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي

ومن أهم أوصافه تخلقه باخلاق المشاركة والتزني بزهم واكتساب عوائدهم في  
الطعام والشراب واللباس . وكان اثناء اقامته في عبيه يلبس اللباس السوري الخاص  
بالامراء في ذلك العهد وهو الميراويل من البفتا البيضاء (المنبركس) والمنطقة الحريرية  
الطرابلية وكبران من الجوخ الازرق عليه تطريز بالقبضات الاسود وعلى رأسه  
طربوش مغربي ذو زر طويل (شرابة) . فكان اذا مشى أو ركب تحسبه من الامراء  
ولكنه اضطر الى العدول عنه الى اللباس الافرنجي كرهاً . وسبب ذلك انه دعي  
مرة لتطبيب أحد وجهاء عبيه فركب وسار بركابه خادم ذلك الوجه فاتفق في أثناء  
عودته الشروع في الثورة التي حصلت قبل حادثة سنة ١٨٦٠ بين النصاري والدروز  
فراه بعض الدروز بذلك اللباس فظنوه من امراء بني شهاب فهاجموا بقتله ولم ينج من  
بين أيديهم الا بعد الجهد وعول من ذلك الحين على اللباس الافرنجي . على انه ما انفك  
ميالاً الى لباس المشاركة فيلبس في منزله طربوشاً من الخمل الاسود أو الازرق مطرزاً  
بالقصب تتدلى منه شرابة من القصب ويلتف بعباءة واسعة كما تراه في الشكل العاشر  
وهو مدخل النابجلاء في منزله أمام غرفة المطالعة . وقد تخلق باخلاق المشاركة وأحب  
السرور والسوريون على اختلاف طوائفهم ومشاربهم يعتبرونه أباً لهم . أما هو  
فمدّ برهن على حبه لهم ببذل عمره وصحته في خدمتهم وما كسبه من أغنيائهم انفقته على  
فقرائهم فخدم الفتيين جسداً ونفساً وعقلاً

وكان تقياً حسن المقيدة عن روية وحسن نظر لا عن تسامٍ وسذاجة . ومن  
أتمن ما نطق به وصيته لتجلبه المستر ادوار اثناء زيارته له في أواخر أيامه وهي « احذر  
أن يخذلك أحد فيسلبك اعتقادك في مبادئ الديانة المسيحية فانها الركن الوحيد الذي  
يمكننا الاعتماد عليه في مصائبنا وامراضنا وشيخوختنا أما ما وراء تلك المبادئ مما هو  
موضوع اختلاف اللاهوتيين فكله إيهام وظلمة »

## السيد أحمد خان

ركن النهضة العلمية الاخيرة في بلاد الهند

ولد سنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٩٨

« النهضة العلمية الاخيرة في الشرق » من يطالع تاريخ المشرق في القرن التاسع عشر وهو عصر النهضة العلمية الحديثة يرى تشابهاً بين سائر أعقابه . فقد دخل هذا القرن والشرق من اقصائه الى اقصائه في ظلمات من الجهل تغشاه جنود التعصب وقبعيت به عوامل الشقاق — كذلك كانت الهند والعراق والشام ومصر . وكان الغرب قد بزغت فيه شمس العلم فاستنار أهله بالاختراع والاكتشاف ثم اقتضت مصالحه ارتياد بلاد المشرق اما فاتحين او معادين او مبشرين أو مكشفيين أو تجاراً أو صناعاً أو نحو ذلك . فانبهر المشارقة في بادىء الرأي لما رأوه من مستجدات التمدن ثم لما لبثوا ان اخذوا يقلدونهم على قدر ما بلغ اليه امكانهم فأنشأوا المدارس والجرائد والمطابع وغيرها . على ان كل امة منهم سارت في خطة اقتضتها احوالها . فالصربون نهضوا نهضتهم الاخيرة بمساعدة حكومتهم فهي التي انشأت لهم المدارس لتعليم اللغات والعلوم وهي اول من انشأ جريدة عربية وهي التي نشرت ترجمة الكتب وتأليفها وغير ذلك . واما اهل الشام والعراق والفضل في ما ادركوه من العلم انما هو عائد الى اهل الفضل من النزالة الاميركانية والفرنساوية والانكليزية وغيرهم من المبشرين او الرهبان كالأباء اليسوعيين والفرير والعزيزيين والفرنسيسكيين

واما اهل الهند فان الفضل في نهضتهم راجع معظمه الى رجل منهم خصه الله بهمة واقدام وغيره يندر اجتماعها في رجل واحد مع اخلاص وحسن نظر . نعتي به احمد خان صاحب الترجمة فقد نشأ في عصر تقم فيه الهنود على الانكليز وهم في او عهد الفتح — ولا تلام امة كرهت قوماً فتجوا بلادها وغلبوها على ما في ايديها فما زال الهنود الى واسط القرن الماضي يكرهون الانكليز كرهاً شديداً لا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يعاشرهم ولا يقرأون كتبهم ولا يتعلمون لغتهم ولا يعسون شيئاً من اشياهم بل كانوا لا تفوتهم فرصة في شق عصا الطاعة جهاداً في سبيل الاستقلال . فادرك السيد احمد خان انهم انما يحاولون عبثاً طالما كان علمهم جهالاً . فأخذ على طاقه ترقية شؤونهم وتهذيب انبائهم بالعلم فأنشأ المدارس واستحث الناس على اقتباس العلم ففضى في ذلك خمسين عاماً لا يألو جهداً في هذا السبيل حتى ذاع صيته في اقطار

( ١٨٣٩ م ) ويتصل نسبه بالسيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى الامام الحسين بن علي بن أبي طالب . وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم في خطة كزر ولها منزلة عليا في قلوب الافغانين لحرمه نسبها . وكانت تملك جزءاً من أرض الافغان حتى سلب الملك منها دوست محمد خان جد الامير عبد الرحمن وامر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لا يزال في الثامنة من عمره . فمني والده في تربيته وثقافته ف تلقى مبادئ العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من



( ش ١١ ) السيد جمال الدين الحسيني الافغانى

بتفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهيمة والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ونظريات الطب والتشريح . وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة اظفاره . فاتم هذا كله وهو في الثامنة عشرة من عمره ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فاقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة . وقدم بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء

## السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

ولد سنة ١٢٥٤ هـ وتوفي سنة ١٣١٤ هـ

قد تمرُّ القرون وتتوالى الاجيال والناس على ما ساقهم اليه الحاجة من شؤون معائشهم لا يفقهون غنها من سمينها ولا يدركون مبدأها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة قتلة من أبنائها أفراداً يمحطون عن أسرارها اللثام فيرى الناس من وراءه شرائع ونوايس كانوا عنها غافلين - أوائمك هم أقطاب العلم وأنوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فهدوا سبل الاختراع والاكتشاف . ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وبينوا ما أودعه الخالق في خبايقته من القواعد العقلية والروابط الادبية ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من أوائمك الافراد الا كل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته أجيالاً حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عابهم بأخر ينفت فيهم روحاً حية فيهبون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتيهم ناث

هكذا كان شأن العالم من بدء عمرانه . ومن أوائمك الفلاسفة سقراط وافلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان والفرس والعرب وغيرهم من علماء المذلول والذليل لا يزال نستحي بنبراسهم

والكن لله في خلقه حكمة لا تدركها العقول فقد ينبغ في بعض الاحيال أفراد توفرت فيهم قوى الفلاسفة ومواهب رجال الاعمال فتحيط بهم يديات لا تصلح لئاء ما يغرسون فيذهب سعيهم هباء منثوراً

ولما كان الانسان لا يقدر العمل الا بنسبة ما يترتب عليه من الفائدة كان نصيب كثيرين من عظماء الارض جهل الناس حق قدرهم وأنتميل التاريخ في كاهلهم شأنا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله بخصه الله بهمة قطبياً من أقطاب الفلسفة وعاش ركماً من أركان السياسة ولكنه مات ولم يتم العمل ولا ألف كتاباً . على ان ذلك لا يحط من مقامه وقد رأينا أعظم فلاسفة اليونان (سقراط) مات ولم يدون شيئاً من كلامه ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها فتوارثها الاحيال خلفاً عن سلف . فحسب أن لا يحرم من مريدي الاستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك

(ترجمة خاله) هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفيرو ولد في بيت شرف بعلم بقرية أسعد اباد من قرى كندر من أعمال كابل ببلاد افغان سنة ١٢٥٤ هـ

قريضة الحج فتضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) فوقف على كثير من عادات الامم التي مر بها في سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان المتقدم ذكره ولما زحف هذا الامير الى هراة ليفتحها وبملكها علي سلطان أحمد شاه صهره ولبن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى أن توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً . وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته ويعتقلهم فان لم يفعل سموا بالناس الى الفتنة والبهوم للفساد طائفاً للاستبداد بالامارة . وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد امين فاتصر السيد جمال الدين لمحمد اعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير امرعوا الى الفرار وتفرقوا في الولايات فذهب كل منهم الى ولايته التي كان يلها من قبل ابيه وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية . وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه أميراً على أفغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان بليجاً لرأيه في المظالم وما دونها وكادت تخاص حكومة الافغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته مما حمله على تفويض مهمات الاعمال الى أبنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الخنكة فساق الطيش أحدهم وكان حاكماً في قندهار على منازلة شير علي في هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ايبا حظوة ويرفعه على سائر اخوته . فلما تلاقى مع جيش عمر دفعته الجراة على الا عن جيشه في ماتي جندي اخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكما ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك اللام متقطعاً عن جبر فكر عليه وأخذ أسيراً فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي وبذلوا له قناطير من الذهب فنرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور



أما السيد جمال الدين فبقي في كابل لم يمسه الأمير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي . إلا أنه لم يصرف عن الاحتياال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن ينارق بلاد الأفغان فاستأذن في الحج فاذن له على شرط أن لا يمر ببلاد إيران كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم وكان لم يمض بعد فارتحل عن طريق الهند سنة ١٢٨٥ هـ ( ١٨٦٩ م ) بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر . فلما وصل الى الترخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال الا انها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها ولا أذنت للعلماء في الاجتماع عايه الانحت مرافقة رجالها فلم يقيم هناك الا شهراً ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مرابها الى السويس فجاء مصر وأقام بها نحو اربعين يوماً تردد على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه أن يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعمجل بالسفر الى الاستانة

وبعد أيام من وصوله الاستانة قابل الصدر الاعظم عالي باشا فنزل منه منزلة السكراة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني من الفباء والكساء والعمامة المعجزة وحوّمت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتنافلوا الثناء على علمه وأدبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم ولم تمض ستة أشهر حتى سمي عضواً في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آراهه ولاكنه أشار الى طرق اتمم المعارف لم يوافقها رفاقوه وبينها ما ساء شيخ الاسلام د ذلك لانها كانت خمس شيئاً من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ ( ١٨٧١ م ) فرغب اليه مدير دار الفنون ان يلتقي فيها خطاباً للبحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على نخبة من اصحاب المناصب العالية فاستحسنوه

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جمير من رجال الحكومة وأعيان اهل العلم وأرباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء فصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والتقى ما كان أعده ببلاغة سحرته عقول السامعين . فأسکر مشايخ العلم شيئاً من آرائه واتصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً عليه كما دامت فالتبس من الدولة ابعاده عن الاستانة فصدر له الامر بالجللاء عنها بضعة أشهر حتى تسكن الحواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء ففارقها وحمله بعض من كان معه الى التحول الى مصر فجاء اليها في أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ ( ٢٢ مارس ١٨٧١ م )

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الإقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره الف قرش مصري كل شهر نزلاً أكرمه به لا في مقابلة عمل . واهتدى اليه بعد الإقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى واستفاضوا بحره قفاض دراً وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول العقيدة الاسلامي . وكانت مدرسته بيته فعظم أمره في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائده الأخذ عنه وأعجبوا بعلمه وأب به وانطلقت الاسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية . ثم وجه عنايته لمريق حجب الاوهام عن انوار العقول فنشطت لذلك أبواب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكومية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين

فتبخر من تلامذته في القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغابهم أحداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به . هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها فتمكنوا من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة . غير ان هذا كله لم يؤثر في مفسر من نفوس العارفين بحاله

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالا الى السياسة فنظر في حال مصر وما آلت اليه من التداخل الاجنبي فعلم ان لا بد من تغير احوالها وكان قد انتظم في سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء فانشأ محفلاً وطنياً تابعاً لشرق الفرنسيين دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عدداً وكان شديداً السكرة للدولة الانكليزية كما تقدم من حاله معها في الهند وما كان من اعتدائهم على أبناء أبيه فحمر بذلك غير مرة ونشر فصولاً ناطقة به ترجوها الى جرائد انكلترا واهتموا بها كثيراً حتى تولى المستر غلادستون نفسه أمر الجدل في موضوعها . فلما عظم أمر محفله داخل الخوف فتصل انكلترا فوشى به الى الحكومة وبث الرقيب في المحفل فسمعوا فيه فساداً . وفي خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فصرح

بأمور قوت حجة الساعين، وكان تولى مصر المرحوم الخديوي السابق توفيق باشا فأصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ ( ١٨٧٩ م ) وأقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب رسالته في « نفي مذهب الدهريين »

ولما كانت الحوادث العراقية بمصر دعي من حيدر آباد الى كلكتة والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصر وفشأت الحرب الانكليزية ثم أبيع له بالذهاب الى أي بلد فاختر الشخوص الى أوربا . وأول مدينة نزها مدينة لوندرا أقام بها أياماً قلائل ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ محمد عبده المصري . وكانت في مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى فكلعته على بعد الدار ان ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة الاسلامية فأنشأ « العروة الوثقى » وكان صديقه المشار اليه بتحريرها وكان لها وقع حسن في العالم الاسلامي فنشر منها ١٨ عدداً ثم قامت لموانع دون استمرارها حيث أقفلت أبواب الهند عنها وشددت الحكومة الانكليزية في اساءة من يقرأها

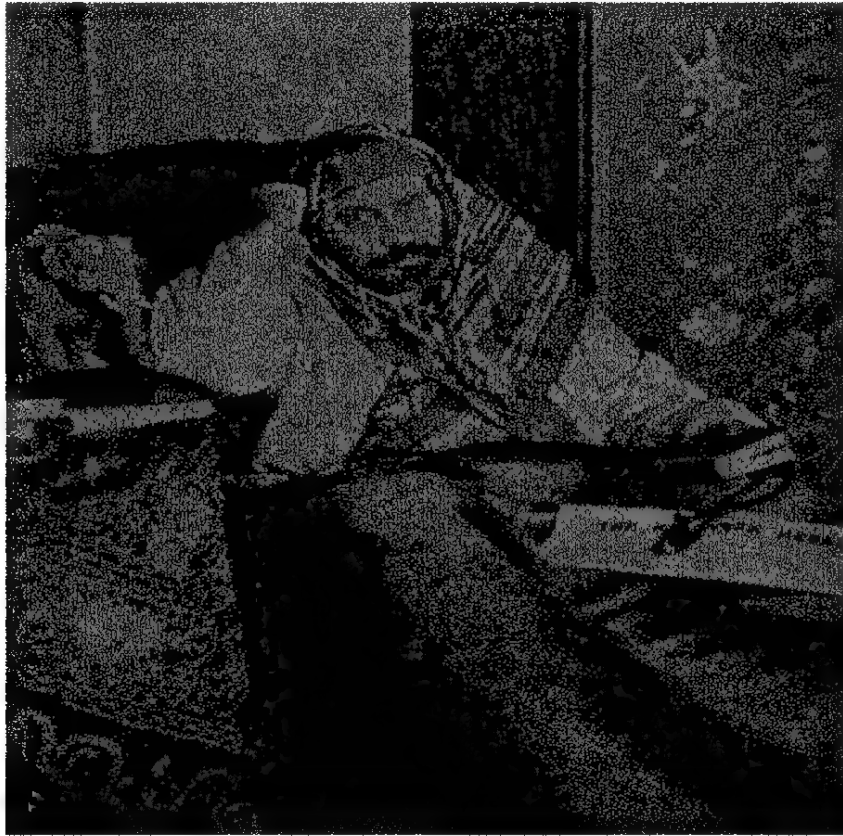
وقضى جمال الدين في باريس ثلاث سنوات نشر في أثنائها مقالات في جرائدها بحث في سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ومصر ترجمت جرائد انكلترا كثيراً منها وجرت له ابحات فلسفية مع الفيلسوف الفرنسي رينان في « العلم والاسلام » شهد له هذا بسعة العلم وقوة الحججة ثم شخض الى لندرا بايعاز اللورد شيرشل واللورد السبري ليسألاه عن رأيه في المهدي وظهوره اذ ذاك ثم عاد الى فرنسا وتعرف كثيرين من علماءها وفلاسفتها فاحلوه مكاناً علياً

ثم عزم على نجه فاستقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على ان البرق ايراء فسار قاصداً طهران فالتقى في اصفهان بالامير ظل السلطان فلانئ منه ك اما حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه احسن استقبال واكثر من الثناء عليه فيما ذكره حتى في بلاطه وبين اهله واولاده وولاه نظارة الحرية على ان يرقيه بعد " ، منصب الصدارة

وكان جمال الدين قد درس اخلاق الامم وعرف تواريخ الدول وتدبر احوال مياسة على اختلاف الامكنة والازمنة مع الاغته وقوة رهانه . فقال لدى امراء من وعلمائها منزلة قل أن يناها غير في مثل حاله فاصبح منزله حلقة علم يؤمها سراة دد ووجهاءها يتسابقون الى سماع حديثه فخامر الشاه ريب من امره مخافة أن

مكرماً وجيهاً محترماً حتى دأبهم السرطان في فكه أواخر سنة ١٨٩٦ وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ واحتفل بجنائزه ودفنه في مدفن «شيخلر مزاراني» قرب نشان طاش

(صفاته الشخصية) كان اسمر اللون با يشبه اهل الحجاز ربعة ممتلىء البنية اسود العينين نافذ الالخط جذاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه ولكن لم يستخدم النظارات . وكان خفيف العارضين مسترسل الشعر بحجة



(ش ١٢) : السيد جمال الدين الافغاني في حال مرضه

سوداء تنطبق على السكاخين وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانة  
( كان قاتلاً قليل الطعام لا يتناول الا مرة في النهار ويمتاض عما يفوته  
يشربه من منقوع الشاي مراراً في اليوم . والمفة في الطعام لازمة لمن  
اعمالاً عقلية لان البطنة تذهب الفطنة . وكان يدخن نوعاً من السيكار الافرنجي  
ليدولشدة ولله بالتدخين وعنايته في انتقاء السيكار لم يكن يركن الى أحد من خدمه  
، ابتياعه قبيحة هو بنفسه

يكون وراء ذلك ما يخشى منه على سلطانه فابدى تغيره عليه فادرك جمال الدين ما في نفسه فاستأذنه في السفر لتبديل الهواء فاذن له فسار الى موسكو في روسيا فلاقاه اهلها بالنبجلة والاكرام لما سبق الى مساهمهم من شهرته . ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف بالماظم رجالها من العلماء والسياسيين ونشر في جرائدها مقالات ضافية في سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية والانكليزية كان لها دوي شديد في جو السياسة

وافق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ وشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه في مونسخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس فدعاه الساه الى مرافقته فاجاب الدعوة وسار في معيته الى فارس فلم يكن يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه والساه لا يرتاب من امره كان سياحته في اوربا تحت كثيراً من شكوكه . فكان يمر به منه ويوسطه في قضاء كثير من مهمات حكومته ويستشير به في سن الفوانين ونحوها فشق ذلك على اصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الاعظم فاسر الى الشاه ان هذه الفوانين وان تكن لا تحلو من النفع فهي لا توافق حال البلاد فضلاً عما ستأول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه . فآثر ذلك في الشاه حتى ظهر على وجهه فأحس جمال الدين بالامر فاستأذنه في المسير الى ابد شاه عبد العظيم على ٢٠ كيلو متراً من طهران فاذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء وكان يخطب فيهم ويستحثهم على اصلاح حكومتهم فلم تنض ثمانية أشهر حتى ذابت شهرته في اقاصي الاد الفرس وشاع عزمه على اصلاح ايران فخاف ناصر الدين بامية ذلك فالتفت الى شاه عبد العظيم خمسة قارس قبضوا على جمال الدين وكان مريئناً شجاعاً من فراشه وساموه يخفرون خمسون فارساً الى حدود المماكة العثمانية فمنام ذلك على مريديه في ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته —

اما جمال الدين فكث في البسرة ريثما عادت اليه صحته فشخص الى لندن وقر عرفوه الانكليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية وانديتهم العلمية ليرويه ويسمعوا حديثه وكان أكثر كلامه معهم في بيان حال الشاه وتصرفه في المملكة وما آلت اليه حالها في عهده مع حث الحكومة الانكليزية على السعي في خلعه . هو في ذلك ورد عليه كذاب مع المايين الهنوتى بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلية في لندن اذ ذاك ان يقدم الى الاستانة فاعتذر لانه في شغل وقتي لاصلاح بلاده فورد عاينه كتاب آخر وفيه ثناء وتحريض فاجاب الدعوة تاغرافياً على ان يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود . فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فطابت له فيها الإقامة فلاقاه من التفات الحصرة السلطانية والاكرام العلماء ورجال السياسة وما زال معزج

(مسكنه) كان يقيم في أواخر أيامه بقصر في نشان طاش بالاسنانة أم عليه به جلالة مولانا السلطان وفيه الاثاث والرياش وعربة من الاصطبل العامر يجرها جوادان وأجرى عليه رزقاً مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية في الشهر . فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار في منزله فاذا كان الاعيل ركب العربة لترويح النفس في منزله كاغدخانة بضواحي الاسنانة وكان كثير القيام لا ينام الا الفلوس الى الضحى

(مجلسه وخطابه) كان أديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخرج لوداعهم ولا يستكف من زيارة أصغرهم على امتناعه من زيارة أكبرهم اذا ظن في زيارته نزولاً . وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية . واذا آتس من سامعه التباساً بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان السامع عامياً تنازل الى مخاطبته بلغة المامة . وكان خطيباً مصفاً لم يقم في الشرق أخطب منه . وكان قليل المزاح رزناً كنوماً قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه فاذا خرج جليسه كان خروج آخر عهده بذاك الموضوع حتى يعود هو اليه بشأنه

(اخلاقه) كان حر الضمير صادق الالهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديع مع اتفة وعظمة ثابت الجأش قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر . وكان راغباً عن حطام الدنيا لا يذخر مالا ولا يخاف عوزاً . ومما رواه المرحوم أديب اسحق ان جمال الدين لما أبعد من مصر انزل في السويس خالي الجيب فأنابه له النقادي فنصل ايران في ذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقداراً من اذن على سبيل الهدية أو الفرض الحسن فردده وقال لهم « احفظوا المال فانتم اليه احواف ان اللبث لا يدم فريسة حينما ذهب » وكان مقداماً حائماً على الاقدام فلا يختر جليسه من بين يديه الا وقد قام في نفسه محرض على العلى مذشط على السعي . سبيلها . ولسكنه كان على فضله لا يخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

(عقله) كان ذكياً فطناً حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكمسه . الضمار ويهتلك السرار دقيق النظر في المسائل العقلية قوي الحججة ذا باشا سفير الدول جلسائه فلا يباحثه أحد في موضوع الا شعر بانه ياد الى برهانه وربما لا يسلح بلاده يحد ذاته مقنعاً . وكان مع ذلك قوي الذاكرة حتى قيل انه تعلم اللغة الفرنسية في بضها وصار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في أقل من شهر بلا استاذ الا من علمه حروف هجائها يومين

الاما قد سبق اليه سوقاً بما يعد من قبيل المناظرة أو المسابقة — وهذا هو سبب اجماع الناس على اختلاف طوائفهم على احترامه وحبه

اما مؤلفاته فتشمل أهم العلوم الحديثة وهو أول من نشر تلك العلوم بالعربية في سوريا فألف فيها واجاد فصلاً عما كانت ينشره من قبله في النشرة الاسبوعية ومما صححه او ترجمه من الكتب الدينية وخصوصاً التوراة وأما مؤلفاته المطلوبة فهي :

(١) الباثولوجية الداخلية الخاصة وتبحث في مبادئ الطب البشري النظري

والعملي في مجلد ضخيم

(٢) محيط الدائرة في العروض والقوافي

(٣) المرآة الوضعية في الكرة الارضية طبعت غير مرة

(٤) الروضة الزهرية في الاصول الجبرية

(٥) الاصول الهندسية

(٦) التشخيص الطبي

(٧) الانساب والمثلثات المستوية والكروية ومساحة السطوح والاجسام

والاراضي وسلك الابحر

(٨) أصول الكيمياء

(٩) رسالة الجدري لارازي مع ملحق بقلم الدكتور

(١٠) أصول الهيئة في علم الدلائل

(١١) محاسن القبة الزرقاء

(١٢) النقش في الحجر في تسعة مجلدات صغيرة كل منها يبحث في علم من العلوم

الحديثة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والجغرافية الطبيعية والنبات والدلائل والجيولوجيا وغيرها - يراد بها تعاليم هذه العلوم في المدارس العالية أو نشرها بين الذين شربوا رتماطوا التجارة او الصناعة ولم يدرسوا شيئاً منها

(١٣) النفائس لتلامذة المدارس

(١٤) قصة شونبرج وبركا . وهما دينيان

( صفاته واخلاقه ) كان ربيع القامة مع ميل الى القصر خفيف البصل سريع

الحركة وقد أوسى في أواخر أيامه شيخاً هرمأ طويل اللحية والشاربين أشبهما خفيف الشعر ولكنه ما انفك على شيخوخته طلق الحيا باشه وديعاً لطيف الحديث رقيق الجانب لطيف المشر او كما قيل فيه قد جمع الى حكمة الشيخوخة مقدرة الكهولة واقدام الشباب ومروءة الفتوة ونشاط الصبا وطاعة الحداثة

ومنها انه كان مغرمًا بامرین الاول اشغاله وتآليفه والثاني اهله وأولاده ولم يكن ومن اخلاقه حسن الطوية والاخلاص في عمله وهو السبب الرئيسي في ما ناله من الشهرة وملاكه من تلوّب السوريين . وفي اعتقادنا ان المرء لا يفوز في عمله ولا يجمع الناس على مدحه الا اذا اخلص الية في خدمتهم ولا يفلح المراءون

ومنها اقتداره على العمل وقد علمت مما تقدم انه عمل اعمالا لا يستطيعها جماعة من الرجال وكان ذلك من اكبر أسباب نجاح الارسالية الاميركانية في بلاد الشام فانها قامت باربعة من افاضلهم امتاز كل منهم بصفات لا بد منها في قيام مشروعاتهم وهم عالي سميت ووليم طمسن وسمعان كلهون والدكتور فان ديك فامناز الارل بالتأني والتدقيق والثاني بالسياسة والتدبير والثالث بالنقوى والورع وامناز استاذنا رحمه الله بالعلم والعمل وكان يحب كل العلوم وخصوصاً علم الفلك

ومنها حرية الضمير قولاً وعملاً فهو ابعد الناس عن المدالسة والمواربة لا يحتمل الحق ولا يطبق الاجحاف . ومن اقرب الادلة على ذلك انه ترك المدرسة الكلية واحتمل ضم فراقها وانكر ذاته وتنازل عن مصاحته الخصوصية اذعاناً لحرية ضميره فانه لم يستطع المشاركة في الحكم على شبان لم يطلبوا الا العدل والحق ومن هذا القبيل حدة طبعه في شيوبيته - وحر الضمير يغاب ان يكون حاد الطبع لعدم صبره على المدالسة والمماطلة . ومن قبيل ذلك ايضاً استنكافه من المدح وتحاشيه كل ما تشتم منه رائحة الفخر

ومنها الاقدام والانجاز فانك لا تكاد تلمس منه أمراً حتى تراه قد باشره حالا وهي خلة لا بد منها في قيام الاعمال ونجاح المشروعات . فالاستاذ رحمه الله كان مقصداً للطلاب وملاجئاً للسائلين والمستفيدين لا يخلو منزله من مستشير أو مستفيد أو ملتبس فضلاً عن مراسلات الادباء ومكاتبات تلامذته المتفرقين في اربعة افطار المسكونة . ومن أكره الامور لديه التأجيل فهو لا يؤجل الى الغد ما يستطيع عمله اليوم . ويكره في عمله فيستيقظ باكراً ويقضي طول نهاره عاملاً وقد قال انه اعتاد ذلك منذ صباه لان والدته غرست في ذهنه « ان من استيقظ باكراً ساق عمله أمامه ومن استيقظ متأخراً سافه عمله »

ومنها رباطة الجأش فهو لا يهاب الاهوال وقد ربي انجمله على ذلك فكان يرسل أولاده للصيد أو ركوب الخيل منفرداً وهو حوالي العاشرة من عمره وقد يبعث به الى بلد آخر ليلاً ولا يخاف عليه شراً فاذا لامته والدتهم على ذلك اجابها « أريدن ان يشب أولادك على الجبن والضعف » وكان في شيوبيته يحب الخيل ويقتني الجياد منها



## المنشؤون وكتاب الجرائد

أديب اسحق

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥

( ترجمته ) وُلد في دمشق في ٢١ يناير سنة ١٨٥٦ وتلقى مبادئ العلم في مدرسة الآباء العازريين فتناول شيئاً من العربية والفرنسية وكان على حدائنه ظاهر النباهة ممتازاً على أقرانه وكان استاذة في العربية يقول لاييه « ان ابنك سيكون فوّالاً » أي شاعراً . ونظم الشعر قبل أن يتجاوز العاشرة وهو لم يتعلم العروض . واتفق ان أمرته أصيبت بنكبة اضطر هو معها الى اعالها فزابل المدرسة في الحادية عشرة وتولى لمكتابة في الكمرك بمقي قرش في الشهر ودرس في أثناء ذلك مبادئ التركية فحصل على الكفاية منها في بضعة أشهر وأصبح قادراً على التعبير بها عما يحول بخاطرهم تكلماً وكتابة . ثم تمكن منها حتى ترجم قصيدة كمال باشا في قتل السلطان عبد العزيز ملتزماً فيها الروي والقافية والبحر واللفظ التركي بعينه وهالك مثالا من الاصل التركي :  
دين ودولت خائي برقاج ملاعين يزيد ايلمشر حضرة عبد العزيز خاني شهيد  
وتعريبه :

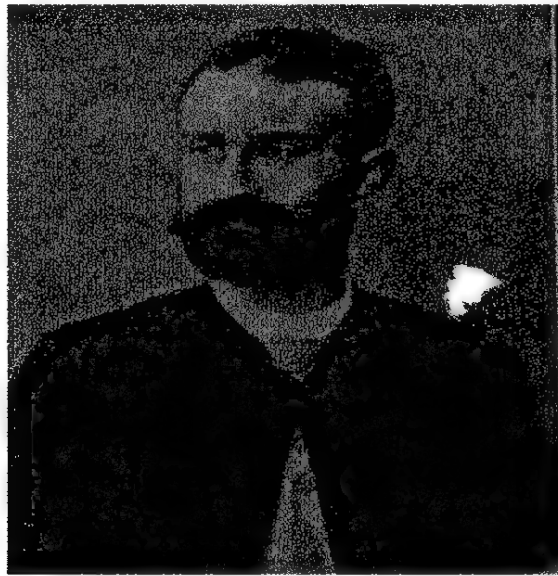
خانة للدين وللدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضي فهو شهيد  
ودعت نجابته في التركية ومهارته في الكتابة الى سرعة ترقيه ولم يكن ذلك ليشغله  
عن الادب والشعر فكانت يفتنهم ساعات الفراغ فينظم القصائد والموشحات ويطالع  
يكتب الانشاء في العربية . . . . .  
السنين الاله ل

جاء القاهرة وفيها يومئذ السيد جمال الدين الافغاني فلزم حلقة وأخذ عنه دروساً في الفلسفة الادبية والعقلية والمنطق فتأقت نفسه الى انشاء جريدة عربية فأنشأها في مصر وسماها « مصر » وأصدرها حالاً ولم يكن عنده من معداتها الا عشرون فرنكاً . ولكنها لم تكد تظهر حتى أعجب الناس بها وتسابقوا الى اقتنائها وكلهم معجبون بطلاوة انشائها وبلاغتها . فنقلها الى الاسكندرية واشترك في تحريرها مع المرحوم سليم نقاش فلقبت نجاحاً عظيماً وطارت شهرتها في الآفاق وكثر مريدوها وأصبح الناس يتحدثون بعبارة أديب ومزايها ويحفظون أقواله كما يحفظون الحكم والامثال لما حوته من بلاغة التركيب والتطبيق بين الاسلوب الافرنجي والعربي . فتنشطا وأنشأ جريدة أخرى يومياً سماها « التجارة » وظلت مصر أسبوعية وكاتماً من أعظم أركان النهضة الانشائية في الجرائد ونحداها الكتاب وأسجوا على منوالها من أساليب التحرير البسيط الحالي من التعقيد أو التقييد . فأحدث ذلك حركة في الافكار وحرية في الاقوال لم تكن معروفة من قبل فأصدرت الحكومة أمرها بالغاءها جميعاً

سندر صاحب الترجمة الاسكندرية الى باريس وأعاد فيها جريدة مصر لايبالي بما يهدده في سبيل ذلك من الخطر على حياته وسماها « القاهرة » وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة . وألف هناك أيضاً كتاباً في تراجم رجال مصر في هذا العصر سرق أيضاً في جملة ما سرق . وعرف في باريس عدة من رجال الافلام من الفرنساويين والأتراك واتي جماعة من رجال السياسة وحضر في مجالس النواب جلسات كثيرة فرادته خطب البلغاء اقداماً على الخطابة وطالع كثيراً من المخطوطات العربية في مكتبة باريس وكانت صحته قد تعرضت للمؤثرات لنحافة بدنه بالنظر الى سرعة نمائه بدناً وعقلاً مع اجهاد عقله في ما تتطلبه نفسه من المطالب العالية رغم ما كان في سبيله من العقبات — فلما نزل باريس كان بردها قارساً جداً في ذلك العام ولم يكن مهتماً بصحته فأصيب هناك بعلته الصدر وتألم منها مدة الشتاء وعاد الى بيروت مصدوراً فعهد اليه صاحب التقدم بتحرير جريدته فتولى تحريرها للمرة الثانية أقام على ذلك نحو سنة

فلما انقلمت الوزارة المصرية أواخر عام ١٨٨٩ عاد الى مصر فودعه أصدقائه أسفين على فراقه ثم جاء القاهرة فعين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بنظارة المعارف وأذنت له الحكومة في اصدار جريدة مصر فأصدرها في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول . وعين في الوقت نفسه سكرتيراً لمجلس النواب ونال في خلال ذلك الرتبة الثالثة ثم أحال امتياز الجريدة الى شقيقه ليتفرغ لمهام منصبه وظل مع ذلك يحرر القسم الاكبر منها

جريدة التقدم بعيد لسانها الاولى . ولم يرض عليه زمن وهو يكتب المقالات الرنانة حتى تحدث الناس بطلاوة عبارته ورشاقها وهو لم يتجاوز السابعة عشرة وترجم في أثناء ذلك قسماً من كتاب المعاصرين الفرنسيين لم يطبع وألف كتاباً سماه زهرة الاحداق طبعه وقدمه الى أحد وجهاء الثغر . وترجم لصاحب التقدم أيضاً كتاباً في الاخلاق والعادات وكتاباً صحياً طبعاً يومئذ وليس عليهما اسمه  
ثم دخل جمعية زهرة الآداب وقام فيها عضواً مهماً ثم تولى رئاستها وكان يلقى فيها الخطب البليغة والمباحثات وينظم القصائد



(ش ١٤) - ادب اسحق مع المرحوم سليم الخوري  
١٨٠ ذلك رواية  
جميعها  
اسم

ولما طرأت الحوادث العسكرية بمصر عاد أديب الى بيروت في من هاجر الى القطر السوري . وبعد احتلال الانكليز اسكندرية عاد اليها مرة أخرى في التماس شأنه الاول فلم يحصل عليه وابعد الى بيروت بمدان أوقف في السجن بضع ساعات تنظم في خلالها ابياتاً ذيل بها قصيدة في مدح سلطان باشا

وتولى في بيروت تحرير التقدم للمرة الثالثة وطبع في خلال ذلك رواية الباريسية الحسنة وكان قد عربها في ايام الصبا وهي مشهورة . ثم اشتدت عليه علة الصدر فأشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر للاستشفاء بهوائها فاستأذن من المغفور له الخديوي السابق فأذن له فأتاها واقام فيها اياماً ثم عاد الى الاسكندرية قضى بضعة ايام في الرمل فلم ير قائدة فعاد الى بيروت وانصرف توّاً الى مصيفه في الحدث بلبنان ولم يمس علي عودته ثلاثين يوماً حتى توفاه الله سنة ١٨٨٥ وله من العمر تسعة وعشرون عاماً

« صفاته واعماله » كان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قابل ايض اللون براق العينين عريض الجبهة بارزها جهوري الصوت طلق اللسان ثبت الجنان لطيف الحديث ذكياً نبياً جريئاً مقدماً حاد الذهن ابي النفس سليم القلب وقد ابته الخطباء فعددوا مناقبه ووصفوا قلمه ورناء الشعراء والكتاب وقد جمعت افواهم في مقدمة كتاب الدرر الذي جمعوا فيه منتخبات افواله

واشتهر رحمه الله خصوصاً في الخطابة والانشاء فاذا خطب تدفق تدفق السيل يهتز له المنبر وتنقاد اليه الكلمات آخذة بعضها برقاب بعض واذا كتب سحر الالهام بحسن البيان مع السلاسة والبلاغة . وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتاب ولو امد الله بعمره لخدم الاوطان خدمات قل ان يستطيع الناس مثلها

وكان مع ذلك شاعراً بليغاً نظم القصائد الرنانة في جملتها قصيدة طويلة :  
بعد حوادث مصر سنة ١٨٨٢ وصف فيها تلك الحوادث أحسن وصف وهي ط  
اليك مقتطفات منها :

عج بي على تلك الطلول وناد	أنى تحمل اهل هذا النادي
يا وارد الاسكندرية طامعاً	بمنافع الاصدار والاراد
أوصورها خفيت عن الانتظار ام	آثار تقصر في المفار بواد
ام تدمر قد دمرت وعمورة	ما عمرت ام دار ذي الاوتاد
قابادها جهل خفي ما بدا	مثل له من حاضر او باد
جهل الذي رام الاماني وهي في	قم الجبال وكان دون الوادي

شقيت بزلة الجموع وطالما  
وتلاه في سبل الغواية معشر  
فأنهم رعد المدافع مبرقاً  
يا هولها من ساعة مرت بما  
كم حامل خرجت به محمولة  
وهصونة نفساً تقول لصحبها  
ومبأياً يدميه لمس حريره  
وممر لم يبق في الدنيا له  
والبار موقدة سمرت من خلفهم  
والجند شردهم فقال عدوهم  
ونضوا على أهل السبيل بوأراً  
وبلادهم قد نالها من طارهم

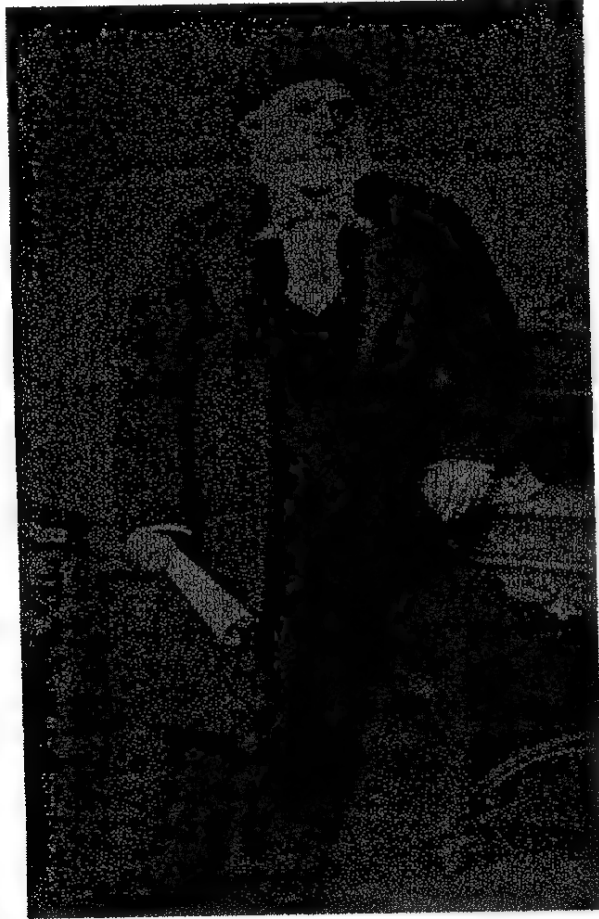
ومنها في التخاص

عيبت فلولا السابقون ومجدهم  
ومؤيد ملك أمير عادل  
وعصابة كانت قلائد فصاهم  
لم تلق في مصر ومصر عزيزة  
وله رسائل كثيرة تدل على حسن بيانه في مخاطبة الاصدقاء قد نشر بعضها في  
بله منتخباته في الدرر

وبقاء من ولدوا من الاجساد  
اربي بمفرده على الاعداد  
أبهى من الاطواق في الاجياد  
من قائل هذه البلاد بلادي

لم يكن يكتفم ما في نفسه من استصواب عمل أخيه فاصبح في خطر على حياته فخماه  
الاميركان ثم ارسلوه الى مصر كما قدمنا

ولبت في مصر بين تعليم وتعلم حتى أتمّ دروسه في العلوم العربية وغيرها وقد قرأ  
بعضها على الفاضلين نصر الله اقندي الطرابلسي الحلبي والشيخ محمد شهاب الدين  
وطالع كتاب فحاح الجوهرى وديوان المتنبي وغيرها من كتب اللغة والادب . وكان  
كثير الرغبة في قراءة الشروح التي تبين ما خذ الكلام من اللغة شديد الولع بالشعر



( ش ١٥ ) احمد قارس الشدياق

ونظمه نخاض عبابه حتى بلغ منه مبلغاً عظيماً ونظم شيئاً كثيراً بين غزل وحماسة ومدح  
وهجاء وتمكن من سائر علوم اللغة كالنحو والصرف والاشتقاق والمنطق . وتقرب من  
خيرة علماء المصريين ومعية عزيز مصر حتى تولى كتابة الوقائع المصرية وكانت في أول  
نشأتها تكتب باللغة التركية فقط فكتب فيها زمناً بالعربية

وتعرف في مصر بعائلة الصولي من وجهاء السوريين فصاهرهم وولدت له امرأته  
هذه ولدين هما قاز وسليم أما الاول فتوفي بعد ذلك في ضواحي لندرا أثناء اقامته فيها

## أحمد فارس الشدياق

ولد سنة ١٨٠١ وتوفي سنة ١٨٨٧ م

(ترجمة حياته) هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق من سلالة المقدم رعد بن المقدم خاطر الحصري الماروني الذي تولى جبل كدروان في سوريا سبعمائة وثلاثين سنة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي وُلد في عشقوت من أعمال لبنان سنة ١٨٠٤ م ثم انتقل والداه إلى الحدث بلبنان سنة ١٨٠٩ فربي فيها وقد ظهرت عليه مخاض النجابة منذ نعومة أظفاره فتعلم القراءة في مدرسة عين ورقة بلبنان وتناول شيئاً من اللغة والنحو على يد أخيه أسعد. وبدأ بنظم الشعر وهو في حدود العاشرة وكان فيه ميل غريزي لقراءة الكلام الفصيح والتبحر في معاني الالفاظ الغريبة التي يعثر عليها في ما يقرأه من الكتب التي في مكتبة والده لأن والده كان قد احرز كتباً عديدة في فنون مختلفة ثم توفي والده وهو صبي فاصبح يتيماً فعلم انه يجب عليه أن يعتمد على نفسه في التعيش فاتقن صناعة الخط وجعل ينسخ الكتب لنفسه أو لغيره بالاجرة ولكنه لم يرَ فيها فائدة تذكر وكانت نفسه تحذنه من ذلك الحين بالاسفار والجد في طلب العلم ولم يكن يرى في ما حوله ما ينشطه على ذلك وينهض به من حضيض الفقر لقلة الوسائل واستبداد القوي بالضعيف فلما انه تلقى بعض العلم عن أخيه أسعد وكان أخوه هذا نابغة عصره ذكاء وفطنة فاتفق انه خلع مذهب والديه وتمذهب بالمذهب الانجيلي فغضب عليه البطرك وما زال يهدده ويسومه العذاب ألواناً حتى يرجع عن رأيه فلم يزد الا تمسكاً واصراراً الى ان آل ذلك الى موته بدير قنوين في عنقوان شبابه شر موتة. ولا يزال أهل سوريا ولبنان يتحدثون بقصته الى هذه الغاية. وكان صاحب الترجمة شديد التعلق بأخيه هذا فعظم عليه أمره حتى كره الإقامة في بلاد الشام جملة فغادرها ناقماً عليها وعلى الذين كانوا سبباً في موت أخيه أسعد وطلب الاغتراب فجاء الديار المصرية في عهد المغفور له محمد علي باشا. وكان بجيشه اليها بصفة أستاذ للمرسلين الاميركان لتعليم اللغة العربية وقواعدها وأشياء أخرى. وقد أرسله لذلك المرسلون الاميركان ببيروت لانهم شعروا بأن موت أخيه أسعد إنما كان دفاعاً عن مذهبهم وكان أسعد مضطهداً من أكثر أعضاء طائفته الا جماعه منهم لم يكونوا يستطيعون المجاهرة في الدفاع عنه خوفاً من سطوة الحكام لانهم كانوا موافقين للاكليروس بما أتوه بشأن المرحوم أسعد. أما فارس فانه

كما سيجي. وبقي سليم وحيداً وهو سليم افندي فارس نزيل بلاد الانكليز  
وفي سنة ١٨٣٤ سافر الى جزيرة مالطة واقام فيها زهاء اربع عشرة سنة يدرس  
في مدارس المرسلين الاميركان وقد تولى تصحيح ما يطبع في مطبعهم هناك واخذ في  
التأليف والتصنيف ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع في مطبعة مالطة الا كان هو مؤلفه  
أو مترجه أو مصححه. ومن جملة ما ألفه كتاب للتدريس وآخر سماه « الواسطة في  
معرفة احوال مالطة » لم يغادر شيئاً عن تلك الجزيرة وسكانها الا ابانه وانتقده فيه  
وفي سنة ١٨٤٨ بعثت جمعية ترجمة التوراة في لندرا تطالبه من حاكم مالطة على يد  
وزير خارجيتها للمساعدة في ترجمة التوراة الى العربية. وكانت هذه الجمعية قد عهدت  
بترجمتها الى الدكتور لي فبعثت الى صاحب الترجمة لتتقيحها وضبطها فصار الى لندرا  
ومرّ في طريقه بمدن كثيرة من اوربا ثم عاد بعد انتهاء الترجمة الى باريس اقام فيها زمناً  
وقد كتب سياحته هذه في كتاب سماه « كشف الخبايا في احوال اوربا » وصف به  
تلك البلاد وصفاً دقيقاً ببارة رقيقة تأخذ بمجامع القلوب لا يمل القارئ. من قراءتها  
فضلاً عما يستفيدة منها عن احوال امم اوربا وخصوصاً لندرا واخلاق اهلها وعلومهم  
وآثارهم وكل ما يتعلق بهم. اما باريس فاوحز في وصفها اعتماداً على ما كان قد كتبه  
عنها العلامة المرحوم رفاعة بك الشهير. وقد طبع كشف الخبايا الطبعة الاولى في  
تونس والثانية في الاسكندرية سنة ١٢٩٩ هـ وهي مشهورة ومتداولة. والف اثناء سياحته  
هذه ايضاً كتاباً سماه « الساق على الساق فيها هو الفاريق » والفاريق لفظ مقتطع  
من اسمه ( فارس الشدياق ) وسيأتي وصف هذا الكتاب عند الكلام عن مؤلفاته  
قضى في سياحته هذه بضع عشرة سنة متجولاً في انحاء اوربا يتردد الى مالطة  
وهو لم يغير شيئاً من لباسه التركي ولا بدّل طربوشه على انه اتقن اثناء ذلك ايضاً اللغة  
الانكليزية وتعلم الفرنسية وتزوج سيدة انكليزية لم تلد له اولاداً ونال الحماية الانكليزية  
بعد سعي لانهم لم يكونوا يمنحونها الا لمن استحقها ولا تتوقف على مدة سني الإقامة  
فقالها وحلف اليمين المتعلقة بها وهاك نص بعضها  
« اما فلان اعد واقسم صادقاً بأنني اكون اميناً ومخلصاً في الطاعة لجلالة الملكة  
فكتوريا واحامي عنها بغاية جهدي وطاقتي ضد جميع من يتحالف عليها او يهين بسوء  
عليها سواء كان على شخصها او تاجها او شرفها وابذل غاية جهدي في ان اكشف  
لجلالتها ولورثتها ولمن يخلفها جميع الحياتات والخائنين والمتفاوين عليها او عليهم واعد  
بأمانة اني ابذل غاية استطاعتي في ان احفظ واسند واجير خلافة التاج المعبر عنه في  
الاحكام بحكم كذا » الخ



واتفق في غضون ذلك ان احمد باشا باي ولاية تونس اذ دأب زار مدينة باريس وفرق على فقراء مرسيليا وباريس وغيرهما اموالا طائلة ثم رجع الى مقامه فنظم قصيدة يمدحها بها ويحثها على يد من بلغها اليه فحازت حسن قبوله وفتن البايع بها حتى بعث اليه يستقدمه على سفينة حربية وقد عجب صاحب الترجمة لتلك الدعوة وذلك الاكرام وقال « لعمرى ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً يتفق فيها ولكن اذا اراد الله بعبد خيراً لم يعقه عنه الشعر ولا غيره » فجاء تونس واقام فيها مدة على الرحب والسعة وحرر في جريدة الرائد التونسي وهي جريدتهم الرسمية الى الآن وكان في اثناء اقامته بباريس قد تلام نصيدة اسدحها المعفور له السلطان عبد المجيد على اثر الحرب بين الدولة العلية والروسية وبعث بها على يد سفير الدولة العلية بباريس والقصيدة تزيد ابياتها على المئة والثلاثين نكتفي منها بما يأتي مثالا لما جاءت به قريحة المترجم من النظم

قال في مطلعها

الحق يعلو والصلاح يعمُرُ	والزور يمحى والفساد يدمرُ
ومنها	يامؤمنون هو الجهاد فبادروا
ومنها	في لن تزلوا البر حتى تنشقوا
	وتمسكوا بالعمرة الوثقى من الص
	يقضيكم التكبير والتهليل عن
ومنها	لو لم يكن منكم سوى نفرنا
ومنها	انتم عباد الله حفاً فاعبدوا
ومنها	ما ان بقاويكم من عسر
	قد قال في الذكر المفصل ربكم
ومنها	غاروا على حرم مخدرة الم
	الصبر محمود وان كن حين تذ
ومنها	والله قد وعد المجاهد منكم
	ويوتى الشهداء خير ميوء
	الحرب بينكم سجال فاثبتوا
ومنها	ولعل نسرهم المدوم واقع
ومنها	من كان من بين الورى سلط
ومنها	كفر المبايع غيره والمعتدي

ومنها من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدیر كيف شاء يصور  
ولاء أمر الدين والدنيا معاً فهو الامام الحاکم المتأمر  
ومنها وهو الذي بين اليباد محجب يستدفعون الضر فيهم باسمه  
ومنها ايه أمير المؤمنين ومن دعا سد بالمعالي قائماً كل الوری  
ومنها ليست فروق لغير عرشك وهي ما أنت الذي بدمج وصفك تنجلي  
وقال في ختامها

حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك في حماه تخفر  
وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زخرت كجودك البحر  
انشدت تاريخين هجريين في ختمي مديحك وهو حظي الاوفر  
عبد المجيد الله ازكى ضده سلطانتا خير بجد ينصر  
(١٢٧٠)

وكان لهذه القصيدة وقع حسن لدى الجلالة الشاهانية فورد عليه بسببها ايعاز بالقدوم الى الاستانة لمكاداته وكان قدّم بالمسير فخبب اليه بعض الصدور العظام الاقامة في تونس فسار اليها كما تقدم . ووجه اليه حضرة الباي احسن منصب لديه وهناك اعتنق الديانة الاسلامية على يد شيخ الاسلام وسمي احمد فصار اسمه احمد فارس الشدياق . وأخذ صيته ينتشر في سائر الانحاء الاسلامية وخصوصاً الاستانة العلية فطلبت له الصدارة العظمى من الباي فقدم الى الاستانة وتولى تصحيح الطباعة بضع سنوات

وفي سنة ١٢٧٧ هـ انشأ جريدة الجوائب الشهيرة في الاستانة وأجاد في انشائها وسبکها فولع الناس بمطالعتها وذاع صيتها في الآفاق الشرقية فبلغت الهند وقارس والعراق وسائر بلاد العرب ومصر والشام والمغرب وأجاد في اتقانها حتى لم يفادر أسلوباً من اساليب الكتابة لم يطرقه بين لغة وسياسة ومدح ورتاء وجد وهزل ولوم وعتاب وحزن وطرب وسائر فنون الادب فضلاً عن القصائد الرنانة والمقالات العديدة في العلم والاخلاق كما تراه محفوظاً في « متعجبات الجوائب »

ولم تنحصر منزلة الجوائب في المشرق ولكنها دخلت المغرب حتى كانت جرائد باريس ولندرا تأتي بذكرها وذكر محررها في الكلام عن سياسة الشرق مستشهدة

بأقواله وكانت تلقبه بالسياسي الشهير والاخباري الطائر الصيت . وقد خاطبه الملوك والامراء والعظماء في سائر اقطار العالم ووجدوا بين اوراقه بعد وفاته مئات من الكتب واردة عليه من عظماء العالم وملوكهم

وقد نال الالتفات الشاهاني بنوع خاص فانعم عليه بالرتب والنياشين ونال مثل ذلك ايضاً من الدول الاخرى

وما زال عاملاً على التأليف والتحرير الى اواخر ايامه فعهد بتحرير الجوائب الى ولده سليم افندي فارس فقام بذلك خير قيام الى ان قضت الحوادث بمطالتها سنة ١٨٨٤ على اثر الحوادث السودانية في الديار المصرية

وفي سنة ١٨٨٦ قدم صاحب الترجمة الى هذه الديار وقد شاخ وهرم وأتيح لنا مشاهدته وقد علاه الكبر واحدق بحدقيه قوس الاشباخ واحدودب ظهره ولكنه لم يفقد شيئاً من الانتباه أو الذكاء وكان الى آخر ايامه حلو الحديث طلي العبارة رقيق الجانب مع ميل الى المجون

وقد لاقى اثناء اقامته بمصر هذه المرة حسن الوفادة فزاره الوزراء والعظماء وتشرف بالتمول بين يدي الحديوي السابق فأكرمه ولاطفه وذكر خدمته للشرق ثم عاد الى الاستانة العلية واقام هناك حتى وافته المنية وقد شيع من الايام فتوفي في مصيفه بقاضي كوي وكان لوفاته في الاستانة رنة ودوي فرثاه الكبراء والعظماء وبعثت الحضرة السلطانية ساحتلو رشادتلو الشيخ محمد ظافر افندي لحضور الاحتفال ونقلت جثته الى سوريا عملاً بوصايته قبل وفاته ودفنت في سفح لبنان في محلة الحازمية قرب مدينة بيروت

وكان لتشييع جنازته في بيروت احتفال شائق مشى فيه كبار المأمورين واعيان البلاد وعلمائها وافاضلها الى ان واروه التراب واستمطروا عليه صيب الرحمة والرضوان

وترى في هذه المقالة رسمه منقولاً عن اصل فوتوغرافي دقيق الصنعته وهو آخر رسم نقل عنه على ما نعلم وترى فيه ظواهر الشيخوخة واضحة ولكنها كانت اوضح كثيراً عند قدومه القاهرة المرة الاخيرة . وكان رحمه الله ربع القامة كبير الاتف واسع العينين مع بروز وحدة . وكان طلي الحديث مع ميل الى المجون وترى هذه الصفة واضحة كل الوضوح في ما كتبه فان من يطالع كتبه يتحقق ذلك فيها

وقد رثته الجرائد على اختلاف لغاتها ونزعاتها وابنه العلماء والامراء ورثاه الشعراء

في سائر أنحاء المملكة العثمانية وخصوصاً في مصر وسوريا . وقد عني بجمع تلك المراثي من نظم ونثر حضرة يوسف افندي آف صاحب جريدة الحاكم وطبعها في مطبعة المحروسة في كتاب سماه « هو الباقي » وقد علمنا انه وردت كتابات اخرى في رثائه بعد ان تم طبع المجموعة وبالحقيقة ان الرثاء وان كثر قليل في جانب ما يليق بمقام هذا الفقيه

( مؤلفاته ) ويحتمل بنا قبل الشروع في وصف مؤلفاته ان نصف قلمه اي ان ننظر في مؤلفاته نظراً عاماً ونذكر ما اخص به من اوصاف الكتاب فنقول امتاز المترجم بانه في نظم والنثر والاجابة في كليهما فتراد اذا نظم أو نثر انما يفعل ذلك عن سمة وارتياح كأنه وسى العاقل الامة في صدره وأخذ عليها عهداً ان تأتيه صغرة حالما يحتاج اليها فإذا خطر له معنى سبك في قالب من اللفظ لائق به بغير ان يتكلف في ذلك مشقة او تردداً . نرى كتاباته طليقة طبيعية ليس فيها شيء من التكلف او التضرع على كونها بليغة فصيحجة والسبب في ذلك حدة ذهنه وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه وكثرة محفوظه مع حربة قلمه . وكان يطلق لقلمه العنان غير محاذر واطنه السبب فيما يراه يعض مؤلفاه من المجون الذي تنفر منه طباعنا وتمجه اذواقنا . على ان المجون اذا لم يتجاوز حدوداً كان مضاًحاً او هو بمثابة الملع لاطعام وذلك كثير في كتابات المترجم مما يرغب المطالع في المطلع فلا يزل منها وان طالت

ومن خصائص كتابه السبع أحمد فارس السلاسة وارتباط الممانى بعضها ببعض وانتساقها مع التوسع في التعبير وتنبع الموضوع الى جزئياته مع مراعاة الموضوع الاصيل والعود اليه . وترى ذلك واضحاً في كتابه كشف الخبايا فادار وصف عادة من عادات اهل باريس مثلاً فإنه ينطرق منها الى ما يماثلها من عادات العرب أو الأتراك فيذكر وجه الخطأ هنا أو هناك وما هو سبب هذه العادة وربما جاء بتاريخها ومن جاء بها حتى يخال لك انه خرج عن الموضوع ثم لا تشعر الا وقد عاد بك اليه بغير تكلف . وكل ذلك بغاية السلاسة والطلاوة مع البلاغة . وترى في مؤلفاته كثيراً من الانماط العربية جاء بها للتعبير عن ممان حديثة افريقية لم تكن عند العرب وهي في الغالب تدل على حسن اختياره

ومن الأدلة على اقتداره في التعبير انه مغال فاذا مدح بلغ ممدوحه عنان السماء واذا هجأ أنزل مهجوه دركات الجحيم . وترى كتاباته على بلاغتها وحسن سبكها تجلى فيها البساطة والسهولة كأن كاتبها كان يكتب كل ما يمر بذهنه على غير تكلف أو مراعاة لخطة الكتاب قبله وهو استقلال في الرأي واعتماد على النفس . فمن ذلك في بداية

فصل يصف به مصر في كتاب انفاريق قوله « قد قت حامداً لله شاكر آفاين القلم والدواة حتى أصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح الخ » وفي هذا الأسلوب من الطلاوة ما لا يخفى ولكل مقام مقال

فلنشرع إذاً في وصف مؤلفاته

(١) سر الليال في القلب والابدال : وهو كتاب لغوي تحليلي كتبه في الاستانة العلية لثلاثة مقاصد . أولاً لسرد الافعال والاسماء التي هي أكثر تداولاً وأشهر استعمالاً وتنسيقها بالنظر الى التناظر بها لايضاح تناسبها وابداء نجاحها وكشف اسرار معانيها وأصل مدلولاتها . ثانياً استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل او ايضاح عبارة او نسق مادة . والكتاب يشتمل على نحو ستمئة صفحة بقطع كبير طبع بالاستانة سنة ١٢٨٤ هـ

(٢) الساق على الساق في ما هو الفاريق : وقد تقدم ذكر هذا الكتاب في ترجمة حياته وهو كبير الحجم يشتمل على نحو ثمانئة صفحة كبيرة كتبه اثناء سياحته في اوربا . ويظهر لمن طالعه ان مؤلفه أراد به ثلاثة أمور . الاول وصف أسفاره وأحواله الخصوصية وما قاساه في اوائل حياته . والثاني التنديد بجماعة من الكليروس لم يذكر اسماءهم الا رمزاً وتقييح ما ارتكبوه في مقتل اخيه أسعد . وأما الامر الثالث وهو الاهم فهو اراد الالفاظ المترادفة في اللغة في مجموعات كل موضوع على حدة كأسماء الآلات والادوات وأصناف المأكول والمشروب والمشوم والمفروش والمركوب والحلي والجواهر وأوصاف الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يتيسر وجوده في كتاب واحد وعلى أسلوب لم نشاهد مثله في العربية

على اتنا لا نستطيع الانتقال من وصف كتاب الفاريق قبل الاشارة الى أمر وددنا لو كفانا رحمه الله مؤونة النظر فيه - وذلك انه أورد في ذلك الكتاب ألفاظاً وعبارات أراد بها المجون ولكنها تجاوزت حدوده حتى لا يتلوها أديب الا ودّ لو انها لم تمر في ذهن شيخنا ولا دونها في كتابه تنزيهاً لأقلام الكتاب عما يخجل من قراءته الشاب فضلاً عن العذراء . وقد طبع الفاريق في باريس سنة ١٢٧٠ هـ

(٣) الجاسوس على القاموس : ألفه في الاستانة ينتقد فيه معجم القاموس المحيط للفيروزابادي وهو يشتمل على مقدمة وأربعة وعشرين نقداً . أما المقدمة فهي ملاحظات كثيرة لغوية من جملتها ترتيب الافعال بحسب ما نسقه الكوفيون ثم ترجمة صاحب القاموس وصاحب الباب وصاحب الصحاح وصاحب الحكم وصاحب لسان العرب

وهم من فطاحل علماء اللغة . أما الاربعة والعشرون نقداً فهي انتقاده ما ورد في القاموس من عبارته وخطته ومعاني الفاظه واشتقاقها وما شا كل ذلك . وعدد صفحات الكتاب زهاء سبعمئة صفحة

(٤) كشف الخبا عن فنون اوربا : وهو سياحته في أوربا وصف فيه عوائد أهل اوربا وخصوصاً الانكليز والفرنساويين ومناخف اندرا وباريس وآثارها وقد قال انه اختصر في وصف باريس لان المرحوم رفاعة بك قد سبقه الى وصفها مطولا وقد طبع هذا الكتاب غير مرة

(٥) الواسطة في احوال مالطة : وفيه وصف جزيرة مالطة جغرافياً وتاريخياً ومدنياً وعوائد أهلها وأخلاقهم ولغاتهم وكل ما يتعلق بهم

(٦) اللقيف في كل معنى ظريف : جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً مأثورة وأمثالا أدبية وحكايات تهذيبية ونكائاً لغوية

(٧) غنية الطالب ومنية الراغب : وهو كتاب مدرسي في علم الصرف والنحو

(٨) الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية وتليها المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية : وهو كتاب مدرسي لتعليم اللغة الانكليزية

(٩) السند الراوي في الصرف الفرنسي : وهو كتاب لتعليم اللغة الفرنسية هذا عدا جريدة الجوائب التي حررها زهاء ثلاثين سنة وقد تقدم ذكرها في ترجمة حاله وجمع نجده سليم افندي فارس نجباً منها في كتب سماها منتخبات الجوائب وهناك كتب ألفها ولم تطبع منها كتاب النفائس في انشاء احمد فارس والتقنيع في علم البديع والروض الناضر في آيات ونوادر وتليه رسائل ومحركات أدبية . وديوان شعري من نظمه يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت

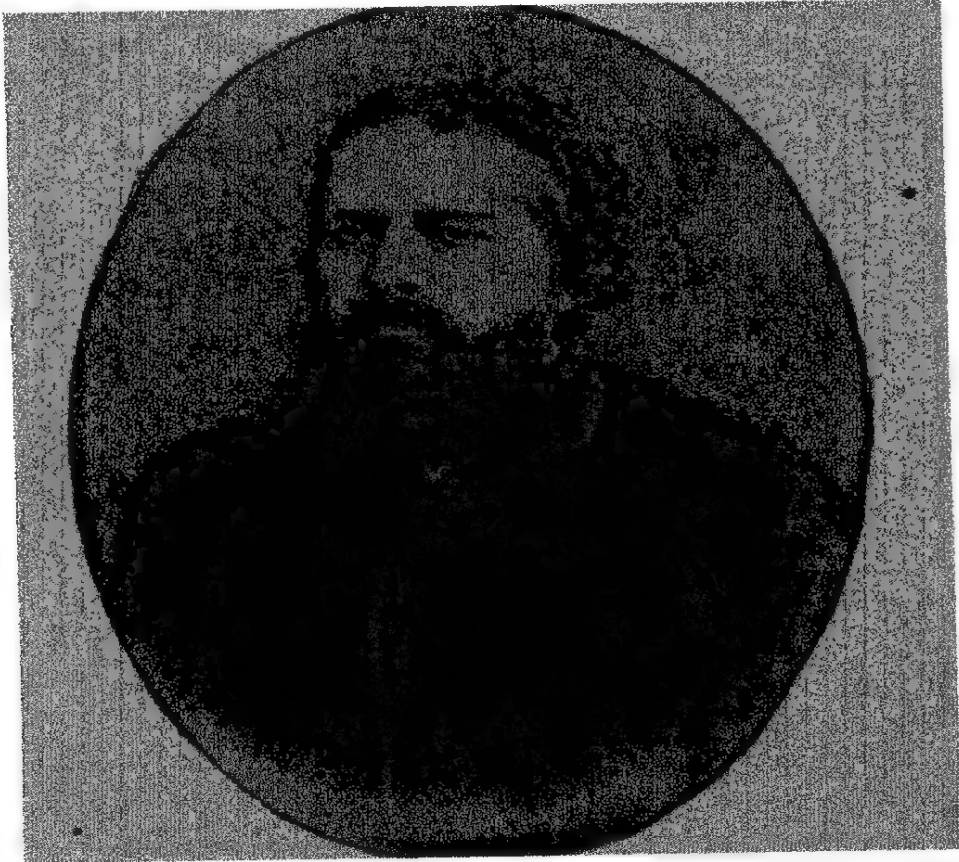
وقد ألف كتاباً مطولاً في اللغة سماه « منتهي العجب في خصائص لغة العرب » قضى في تأليفه سنين عديدة نحاً فيه نحواً حديثاً لم يسبقه اليه غيره على أسلوبه وقد أسهب فيه حتى بلغ مجلدات كثيرة وموضوعه البحث في خصائص الحروف الهجائية العربية مثال ذلك قوله ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط أي ان الالفاظ التي تنتهي بحرف الحاء يكون في معناها شيء من خصائص هذا الحرف نحو الابتاح والبندح والبراح والابطح والابلنداح والرحرح والمسفوح والمفرطح والمسطح وما شاكل . ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والفضاضة نحو البرخدة والتيد والثاد والحدود والرادة والرهادة والفرهد والاملود والقشدة والملد وغيرها . ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم وزم وجزم وجلم

وخشم وحطم وما جرى مجراها وقس عليها . ولو نظرنا في ما أورده من الامثال لرأينا منه تساهلاً في تطبيقها على ما أراده على اتنا لا ننكر ما كان يرجى منه من الفوائد الجزيلة لو طبع الكتاب ونشر ولـكنه فقد حرقاً على أثر حريق أصاب منزله في الاستانة فأسف هو لذلك أسفاً شديداً . وأخبرنا صديق انه رأى بين أوراق الشيخ احمد فارس تأليفاً في تراجم مشاهير المصر لم يطبع . وربما كان له مؤلفات أخرى لم تقف على خبرها

وما لا يليق بنا الاغضاء عنه ان مطبعة الجوائب طبعت كتباً عربية كثيرة كانت نادرة الوجود فأحييتها ونشرتها بين المتكلمين بالعربية وسهلت تناولها وهي مائة حسنة تضاف الى مائة الأخرى

ظهورانك كثرت برتونور خداوند تلوّن هيات اشياده تأثير ضيا دندر  
معناه « ان لاكثره ( ربما يريد الجماعة أو الاتحاد ) لوناً أو شكلاً حاصلًا من  
انعكاس نور الله كما أن ألوان الأشياء في الطبيعة ناتجة عن انعكاس نور الشمس »  
« وسار كمال بك في نسق شعره على خطوات الشاعرين التركيين المفلّحين » نفعي  
وفهم « فبلغ من ذلك شأواً عظيماً ونبغ بالأشعار الحماسية والفخرية ومن قوله  
في الفخر

بزا أول عالي بهم أرباب جد واجتهاد زكيم  
جهانگیرانه بر دولت جيقاردق برعشیرمدن



( ش ١٦ ) محمد نامق كمال بك

معناه « نحن الأولى نشأنا من أمة حقيرة وبجدنا واجتهادنا الشأنا دولة عظمى  
فتحت العالم »

« وفي سنة ١٢٧٧ هـ تولى تحرير جريدة « تصوير افكار » وكان مع ذلك يزاوّل  
الترجمة في الباب العالي ومن هذا التاريخ أخذت أفكاره وآراؤه في الظهور فلم يقادر  
موضوعاً أدبياً أو فلسفياً إلا طرّقه واجاد فيه فلقبوه « كمال » بدلا من « نامق »  
وكانت جريدة « تصوير افكار » هذه قائمة النهضة التركية الحديثة من حيث الانشاء



## محمد نامق كمال بك

أ كتب كتاب الأتراك وأشعر شعرائهم في القرن الماضي

ولد سنة ١٢٥٦ هـ وتوفي سنة ١٣٠٦ هـ

هذه الترجمة ملخصة من رسالة كتبها رفيق صباه صاحب السعادة أبو الضيا توفيق

بك الكاتب التركي

«وُلد كمال بك المشار اليه في قصبة (تكفور طانغى) سنة ١٢٥٦ هـ وكان جده (أبو أمه) محصلاً هناك والمحصل لقب لمنصب قديم في الدولة يقابله في فرنساوية (Percepteur) فارخ عارف أفندي أحد شعراء تلك الأيام مولده بهذا المصراع «إردى شرف بودهره محمد كمال إيله» ومعناه بالعربية «فقد تشرف هذا الدهر بمولد محمد كمال». وقد تسلسل كمال بك من بيت عريق في الحسب والنسب فوالده مصطفى حاصم بك وجده شمس الدين بك القرين الأول لجلالة السلطان سليم الثالث ووالد جده القبطان أحمد راتب باشا من نوابغ الشعراء ووالد هذا طوبال عثمان باشا الصدر الأعظم المشهور. ومن أقوال صاحب الترجمة في فضل النسب «إن مزايا الحسب والنسب من الأمور التي لا يستطيع القول أنها مما لا يرغب فيه أو يسعى إليه فإن من خالط الناس واختبر أخلاقهم تحقق أن المولود من نسب رفيع أفضل من المولود من أصل دنيء»

«على أن طيب ارومة هذا الرجل لا تزيد شيئاً في تعريف فضله ولو فرضنا أنه من أصل دنيء لكان كفوّاً لا كتساب الفخر والمجد بمجده واجتهاده وإبرائهما لأعقاب أعقاب»

«فلما زرع دخل في مدرسة ييازيد ففضى فيها بضع سنين ثم انتظم في سلك تلامذة مدرسة «الوالدة» لكنه لم يمكث فيها إلا بضعة أشهر فخرج منها سنة ١٢٦٨ هـ وهو في الثانية عشرة من عمره فقضت الأحوال أن يسير والده بمهمة إلى «قارصه» فلم يعد يستطيع مزاولة الدرس وذلك دليل على أن ما اشتهر به بعد ذلك من العلم والفضل إنما بلغ إليه بالجهد والاجتهاد من تلقاء نفسه لا بواسطة المدارس «وأول ما جال بخاطره وأخذ بمجامع قلبه في إبان شبابه الشعر فنظم القصائد الحسان وكان أهل الاستانة يتناقلون أقواله ويتمثلون بها ويتحدثون به وبذكائه وظفره حتى لقبوه «نامق» وأول شعر اشتهر به قصيدة نظمها وهو في السابعة عشرة من عمره قال في مطلعها

والادب فهي أول جريدة تركية خاضت في المناظرات الادبية التي استلقت انتباه أهل اللسان التركي وأهم تلك المناظرات ما قام بينها وبين جريدة « روزنامه جريدة حوادث » وكانت حداً فاصلاً بين الانشاء التركي القديم والانشاء الحديث ومن ذلك الحين أخذت الآداب الحديثة في الانتشار هناك وكثر أشياعها ومدعوها. واتفق اذ ذاك سفر العلامة شناسي مؤسس جريدة « تصوير افكار » الى باريس لدواع اقتضت ذلك فعهد بإدارة جريدته الى كمال بك ( سنة ١٢٨١ هـ ) وكان في ريعان الشباب فاعتزل العلم والشعر وانقطع الى السياسة بالرغم عنه ولا يخفى ما في ذلك من التكلف والمشقة مما لا يفلح فيه الا نوابغ الرجال القادرون على تكييف مواهبهم حتى تطابق وظائفهم. ولو اقتصر صاحب الترجمة على نظم الشعر لبلغ منه مبلغاً فاق به ( نقي ) الشاعر الشهير ولكنه لو فعل ذلك ما استطاع ما استطاعه من خدمة ملته ووطنه خدمة كان يسعى في سبيلها ليله ونهاره - لا نقول ذلك امتحاناً للشعر فالتأثير في ترقية شأن الاداب. ومن الشواهد على ذلك ( هيكو وتيرس ) العالمان الفرنسيان الشهيران فهيكو أشعر شعراء الفرنسيين في القرن التاسع عشر ولكنه لم ينفع أمته بنظمه كما افادها تيرس بأدبه وسياسته

« وجلة القول ان كمال بك اندفع بكليته الى السياسة وعلم الاخلاق وهما ركنا الادبيات فبث بين أبناء لغته روحاً عصرية نشطتهم وفتحت عيونهم وقلوبهم وبعد ان كنت لا ترى بين الاتراك عشرين كاتباً أصبح كتابهم يعدون بالملئات والالوف والفضل في ذلك لصاحب الترجمة فانه هو الذي احيا فيهم حب العلم وحب اليهم الادب بما كان ينشره بين ظهرانهم أو يشنف به آذانهم من المقالات الرنانة في « تصوير افكار » وغيرها مما قد البس اللغة التركية حلة عصرية جديدة

« وأول ما نشر من نقات افلامه رسالة « دوراستيلاء » طبعت سنة ١٢٨٣ هـ قال أبو الضياء « وقد أملى عليّ هذه الرسالة في الساعة الثالثة من الليل في اليوم الحادي عشر من رمضان المبارك سنة ١٢٨٢ هـ فخرت بها مقدرته على الانشاء فانه أوعز اليّ أن اتناول القلم والورق ثم أخذ يملئ عليّ فقال ( وقتنا كه مقدما ) فلم أملك عن التوقف مختاراً فقال ما بالك لا تكتب فقلت لا أعرف حتى الان عبارة تبتدىء بلفظ ( وقتنا كه ) وكنت أظن انك تخاطبني في شأن من الشؤون فتبسم وقال ( اكتب ما أقوله لك وستعلم ) . وما زال يملئ عليّ وهو يخطر ذهاباً واياباً تارة يقف وطوراً يطوف غرف المنزل حتى انتهت الرسالة في الساعة العاشرة فجاءت كما قيل « كالفاتحة مكتوبة على أرز » وما زال ذكرها متغلباً على كل ما كتبه بعد ذلك

« ومن مواهبه الخصوصية حدة اللسان وقوة الحجّة فانه لم يناظر كاتباً أو خطيباً الا ظهر عليه واحفمه . ومن آثار فضله انه أدخل الآداب التركية في دور جديد فقد كان كتاب الاتراك منذ ستمائة سنة سائرین على خطة واحدة في آرائهم وانشائهم فجاء كمال بك فنوع الانشاء تنويعاً هو أساس النسق التركي الحديث

« وما يذكر له انه لم يستخدم قلمه للهجو ولا أدخل في انشائه الفاظاً بذية أو معاني مخجلة . وكان اذا كتب في المواضيع الدينية مثل الحقيقة تمثيلاً واضحاً يفتن المطالع ولو كان من الممطلين . وكان يستخدم الفاظاً لغوية لم يألفها العامة لكنه كان يسبكها في قالب سهل عليهم فهمها

« وكان كثير المطالعة دقيق التنقيب والبحث حتى قيل انه لم يغادر كتاباً تركياً أو فارسياً مطبوعاً أو غير مطبوع من مؤلفات الاتراك أو ما ترجموه عن الالمانية والفرنساوية والانكليزية الا طالعه وتجر فيه وكان قوي الذاكرة الى حد يفوق التصديق حتى يكاد لا يذسى شيئاً نظره أو سمعه فقد يتلو عليك الوفاء من الاشعار الفارسية والتركية والعربية والافرنسية . وكان متمكناً من الفقه وعلم الكلام مدركاً لاكثر المسائل الغامضة المتعلقة بهما وقد طالع علم الحقوق على العلامة الفرنسي الشهير (أميل افولا) ودرس في الاقتصاد والسياسة . أما التاريخ فقد كان من اكبر علمائه . وهاك أشهر مؤلفاته وترجماته

( تراجم الاحوال ) ترجمة صلاح الدين الايوبي — والسلطان سليم — والفتح — وأمير نوروز

( حكايات وروايات ) وطن ( وهي رواية ترجمت الى اللغات الالمانية والروسية والفرنساوية ) وكل نهال — وعاكف بك — وزوالى جوجق — وانتباه — وجزمى

( رسائل ) دور استيلاء — وبارقه ظفر — وقانيزه — وحكمة الحقوق ومكتوب الى عرفان باشا — وبه برزون مؤاخذه سي — وتخریب — وتعقيب — ومقدمة جلال — وهاردانش — ومنتخبات تصوير افكار

( مقالات متنوعة ) تصوير افكار — ومخبر — وحریت — وعبرت وبصيرة — وحديقة — واتحاد — وصداقت — وغير ذلك من المقالات التي كان يكتبها الى أصدقائه وفيها الحكم الفلسفية والادبية

( ترجماته عن اللغات الافرنجية ) شرائط الاجتماع ( تأليف روسو ) وروح الشرائع ( تأليف مونتسكيو ) وبعض كتابات باكون وفولاني وغيرها — وقسم كبير

من كتابات كوندريسه تحت عنوان ( تاريخ ترفيات افكار بشر )  
 « وكان في أثناء اعماله هذه مشغلاً بتأليف التاريخ العثماني وهو تاريخ مطول بحث  
 فيه عن عظمة هذه الدولة وما مرت به من الادوار من اول عهدا الى الآن له مقدمة  
 يصح أن تسمى وحدها تاريخ الاسلام لانها حوت كل ما وقع من المسلمين من البعثة الى  
 ظهور السلطة العثمانية وكل ما رافق ذلك من الحوادث في آسيا وافريقيا وأوربا. والمقدمة  
 المشار اليها مكتوبة على نحو الف وخمسة طلحية من الورق ولكن من موجبات  
 الاسف ان مطالعنا منعت ثاني يوم ظهورها لوشاية بعض ذوي الاغراض خفياً لا ثار  
 هذا الفاضل نرجو ان يباد نشرها مع ما تم تأليفه من هذا التاريخ وهو اربعة أجزاء  
 تنتهي بوقائع السلطان سليمان القانوني  
 « وكانت وفاته بعملة الخناق الصدري فلم تمهله الا عشرة ايام فقضى بعد ظهر الثامن  
 من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ » اهـ

## سليم بك تقلا

مؤسس جريدة الاهرام

ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٨٩٢

في سفح لبنان مما يلي ساحل مدينة بيروت قرية حسنة الموقع جيدة الهواء والماء كثيرة البساتين والغياض اسمها كفرشيا نبغ فيها جماعة كبيرة من العلماء ملأت شهرتهم الاسماع منهم اللغوي المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي وسائر آل اليازجي والعلماء الافاضل آل شميل الكرام ومنهم المرحوم امين شميل وشقيقه المرحوم الدكتور شبلي شميل وغيرهم من الاطباء والشعراء والادباء . ومن هذه القرية نبغ صاحب الترجمة المرحوم سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام

وُلد رحمه الله في أواسط سنة ١٨٤٩ وربى في حجر والديه على الصلاح والتقوى وحسن السيرة وظهرت عليه مخاض النجابة منذ نعومة اظفاره فتلقى مبادئ العلوم في مدرسة تلك القرية ففاق أقرانه فلما رأى والده فيه ذلك سعى في ادخاله مدرسة عبيه بلبنان واسكن المدرسة لم تكن تقبل في صفوفها من كان دون الخامسة عشرة من عمره فاستنجد الدكتور فان ديك فأنجده وتوسط في ادخاله فقبلته المدرسة واغتفرت صغر سنه بما توسمته من توفد ذهنه واستعداده فاقام في المدرسة يتلقى علومها ومعارفها حتى أعجب اساتذتها بذكائه وتمقله على صغر سنه مع سهولة في خلقه ولين في طبعه وهمة في الدرس واجتهاد في مسابقة أقرانه

وما زال مكباً على كتابه وكتابه حتى كانت سنة ١٨٦٠ فانتشبت في ربوع الشام الثورة المملوكية فانصل لهيها بعبه وما جاورها فبرح المدرسة ونزل مدينة بيروت ودخل المدرسة الوطنية التي أنشأها الطيب الذكر المرحوم المعلم بطرس البستاني وعكف على الدرس والمطالعة مجداً ساهراً حتى أصبح مثلاً بين أقرانه التلامذة بالثبات والاجتهاد لانه كان يعمل ساعات الفراغ أعمالاً يستعين بها على نفقات التعليم شأن من يلمس العلى بمجده واجتهاده

فلما أتم دروسه تعين استاذاً في المدرسة البطريركية في بيروت يعلم بها ما اتقنه ويتقن ما فانه وخصوصاً الفنون العربية فانه كان يتلقاها على الشيخ ناصيف اليازجي وكان الشيخ رحمه الله معجباً بذكائه وحده ذهنه وكان يعتمد عليه أحياناً في شرح

بعض الدروس على طلبته دلالة على ثقته به وزكوة الى صحة مبادئه وسمو مداركه . ولم يرض عليه في المدرسة البطريركية مدة حتى صار رأس اساتذتها ووكيل أعمالها ومدير شؤونها والى في أثناء ذلك كتاباً في النحو والصرف على أسلوب مبتكر طبع ونشر . وكان الاعتماد عليه في تلقي هذين العلمين في المدرسة البطريركية

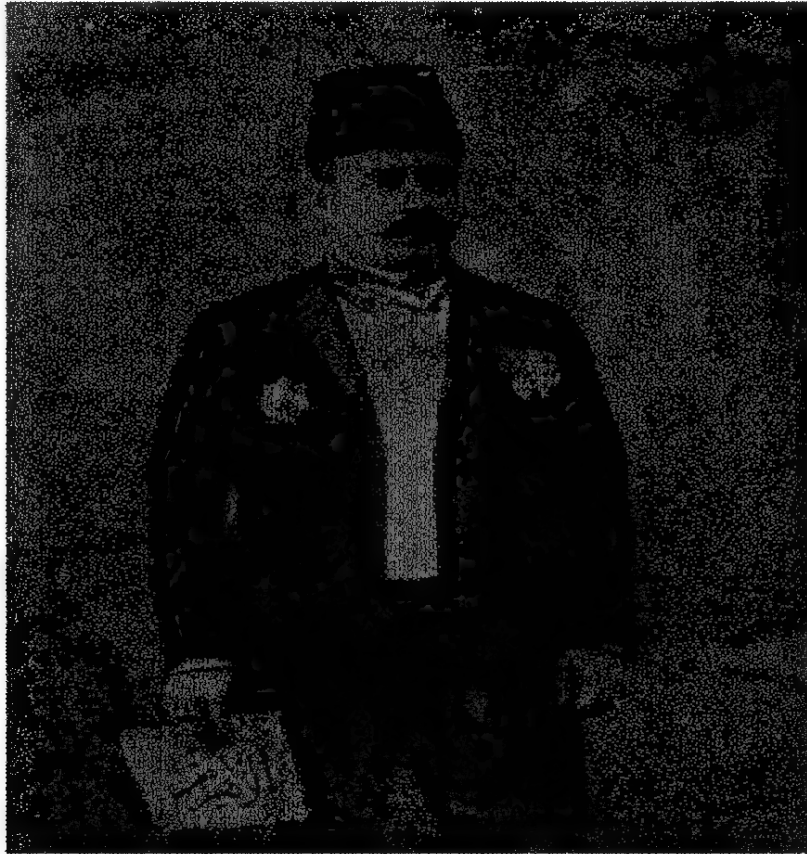
وكان رحمه الله مفطوراً على حب الرفعة والسعي في طلب العلى فلما رأى انه بلغ من مهنة التدريس أعلى درجاتها مال الى التماس مهنة تروي مطامعه فلاح له ان يقدم الى الديار المصرية وهي اذ ذاك في عصر المغفور له الخديوي الاسبق اسماعيل باشا الذي كان يحجب الى السوريين وغيرهم من جالية الافرنج الإقامة في مصر لما يبذله في صلاتهم



( ش ١٧٢ ) : سليم بك تنقلا

• تنشيط مشروعاتهم وخصوصاً المشروعات الادبية . فنظم قصيدة تاريخية رنانة في مدح  
١٠٠١ و غادر ربوع الشام قاصداً القطر المصري حتى جاء القاهرة فرفع  
الخديوي الاسبق وتعرف بجماعة من أهل الفضل وذوي المناصب  
نّى جريدة عربية والجرائد العربية لا تزال الى ذلك العهد  
جنينها والناس لا يعرفون من الجرائد الا اسمها مع تردد  
ها ففضى سنة يتردد بين مصر والاسكندرية يجاهد في الحصول  
ته الحكومة امتياز جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ قاصدها

بالاسكندرية وليس لديه من معدات التحرير والتجوير والنشر والطبع الا ما فطر عليه من الثبات وحسن التصرف والاستقامة وما اكتسبه من العلم والاختبار مع شيء يسير من المعدات المادية فقامى في سبيل نشر الاهرام مشقات جسيمة مع علمك باسمه جان الناس اذ ذاك للجرائد لحدائة عهدا مع قلة وسائل النشر لديه . ولكنه ذلل كل تلك الصعاب بثباته وحسن سياسته وبما قاله لنا مرة في سياق حديث دار بيتنا عن الجرائد العربية وتاريخ نشأتها قوله « انشأت الاهرام وانا عالم بما يحول دون نشرها



( ش ١٨ ) : بشاره باشا تقلا

من المصاعب . فكنت اقضي النهار والليل عاملا بدناً وعقلاً فكنت احرقها وادبرها .  
والأحظ عملها واكتب أسماء مشتركها واتولى معظم أعمالها بما لا يقوم به الآن عشرة  
من العمال »

وصدرت الاهرام أولا مرة في الاسبوع ولم يستطع نشرها يومية الا بعد زمن  
طويل — وذلك انه بعد اصدار الاهرام يوضع سنوات أصدر جريدة يومية مباحا  
صدى الاهرام والاهرام تصدر أسبوعية كالعادة فلاقى في اصدار الصدى فوق ما لاقاه

في اصدار الاهرام ومما يحكى من هذا القليل وفيه دليل على ثباته انه طبع من صدى الاهرام لعدده الاول أربعة آلاف نسخة وزعها على نخبة أهل القطر واعيانہ كجاري العادة في الجرائد عند أول صدورهما فرجعت اليه الا بضع عشرات منها . على ان ذلك لم يثن عزمه بل ما انفق مواظباً على اصداره حتى صدر أمر الحكومة بالغائه واقفال المطبعة لانه درج أمراً ساء الحديوي الاسبق فاستقر صاحب الترجمة من وجه الحكومة مدة وسجن أخوه المرحوم بشاره باشا ثم توسط بعض أهل النفوذ فافرج عن المطبعة وأصحابها فأصدر رحمه الله جريدة الوقت يومية ولكنها لم تش طويلاً فصدر الامر بانقلها ثم عادت فظهرت حالا واخيراً استبدلها بجريدة الاهرام فصارت من ذلك الحين يومية

وما زالت الاهرام آخذة في العمل لا تزداد الا انتشاراً ورفعة حتى كانت الحوادث العراقية سنة ١٨٨٢ فاضطر رحمه الله للمهاجرة الى سوريا كما فعل سائر نزالة هذا القطر غير المصريين . فلما احترقت الاسكندرية أصابت النيران مطبعة الاهرام فاحترقت شيئاً كثيراً من أعماله وكتاباتہ ومؤلفاته فلما انقشعت غياهب تلك الثورة عاد الى الاسكندرية واعاد اصدار الاهرام وعوض عما فات . وما زالت تصدر الى الآن

وفي سنة ١٨٨٦ سافر الى دمشق واقتن بسيدة من كرام الدمشقيين اشتهرت بالجمال واللطف ثم عاد الى الاسكندرية يمارس أعمال الجريدة ويعاني تحريرها وفي سنة ١٨٩١ سافر الى فرنسا فزار عاصمتها وكثيراً من مدنها وقراها وكان يكتب الاهرام منها وفي السنة التالية ( ١٨٩٢ ) أصيب بألم في القلب فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى سوريا لتبديل الهواء فسار ولكن القضاء المبرم كان في انتظاره هناك فقضى وطار نعيه في الآفاق ودفن بما لاق بمقامه من التجلة والاكرام ولم يخاف ذرية

وكان رحمه الله هماماً حازماً مخلصاً مسالماً سهل الاخلاق وديماً رقيق الجانب ما عاشره أحد او عامله الا اثني على رقة جانبه ودماثة أخلاقه وحبه للمسألة ورغبته في ارضاء الناس ولو تحمل منهم ضيماً أو تكبد خسارة . وقد كان ذلك من أهم الوسائل التي ساعدت على نشر الاهرام واقبال الناس على مطالعتها حتى بلغت ما بلغت من سعة الانتشار على اتنا لودققنا البحث في العوامل الاساسية التي ايدت الاهرام ونشرتها دأيناها ثلاثة (١) حسن سياسة صاحب الترجمة وميله الى المسألة (٢) نشاط شقيقه . بشاره باشا وكان مدير الاهرام اذ ذاك ثم قام بعده بكل شؤونها حتى توفاه

١٠ فصارت الاهرام الى نجله جبرائيل (٣) مساعدة بعض أرباب المناصب

مطونها الى درجة لا تكاد تقل عن حمل الناس على الاشتراك فيها فضلاً

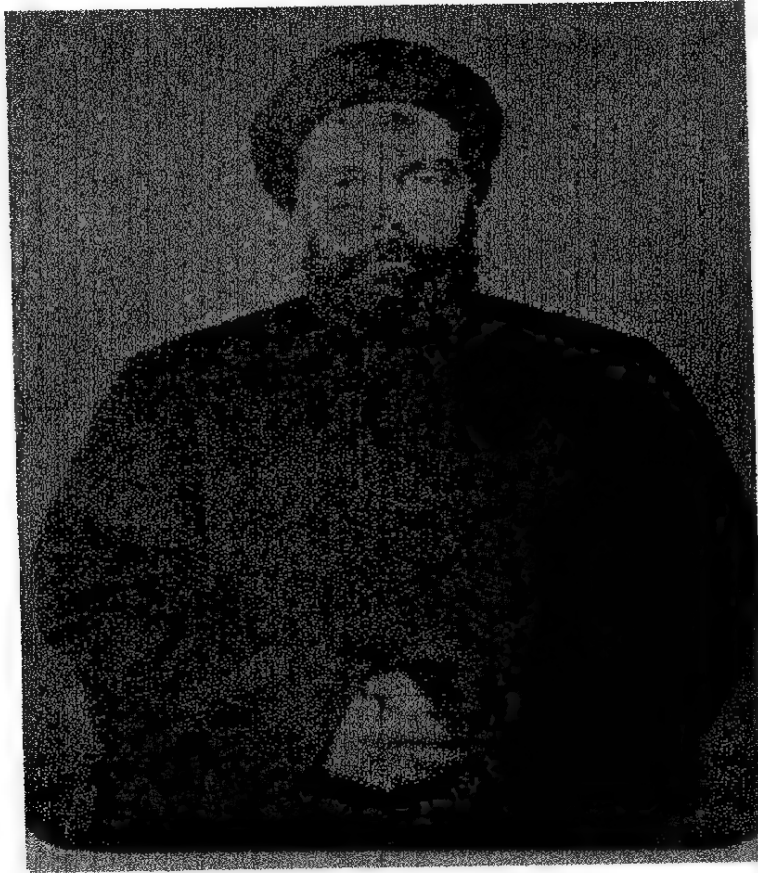


عن اشتراكات الحكومة نفسها فانها كانت تعد بالملئات  
 وكان جائزاً لرضاء الدولة العلية متمتعاً بانعاماتها وانعامات الدول الاخرى وبعض  
 الجامع العلمية وحاز من الرتب العليا الرتبة الاولى من الصنف الاول وقال من النياشين  
 النيشان المجيدي الثاني ونيشان اللجيون دونور من رتبة شفاليه ونيشان الافتخار  
 التونسي من رتبة كومندور ونيشان الشمس والاسد من تلك الرتبة ونيشان الجمع  
 العلمي الفرنسي من رتبة أوفيتيه وغير ذلك

وكان سليم الذمة صادق الوعد . ومما يذكره العارفون من هذا القبيل ان والده  
 توفي عن دين عليه ولم يكن أصحاب الدين ينتظرون الوفاء من أولاده . فلما أنعم الله  
 عليهم وسهل لهم أبواب الرزق اتفق الاخوة وصاحب الترجمة في مقدمتهم على وفاء  
 ما في ذمة والدهم من أموال الناس فسافر هو بنفسه الى بلاد الشام ولاقي الدائنين ودفع  
 اليهم أموالهم

وكان محباً للاخذ بناصر الشبان الذين يلتمسون الاشغال ولا سيما ابناء وطنه فيبذل  
 كل مرتخص وغال في سبيل مساعدتهم ادبياً ومادياً  
 وكان كاتباً فاضلاً وشاعراً مجيداً تشهد بذلك مقالاته وقصائده في صفحات الاهرام  
 وقد جمعت منتخبات أشعاره ومقالاته بعد وفاته وطبعت على حدة في ديوان ضخمة وجمعت  
 أقوال الجرائد وقصائد الاصدقاء ومقالاتهم في تأييده ورثائه في كتاب آخر

له معهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه نظماً  
ونثراً فظهر عليهم جميعاً  
ثم قصد المنصورة ترويحاً للنفس ورأى ان التجارة خير رياضة له فأنشأ هناك  
متجراً فراجت سوق بضاعته رواج آدابه ولكن كرمه تغلب على رأس المال والربح  
ففقدها جميعاً وكان يئس ومتجره كبة يحج اليها رجال الادب وكانوا يتحدثون بمعجز  
رسائله ومحرراته نظماً ونثراً



(ش ١٩) : السيد عبد الله نديم

(إنشأته السياسية) ثم عاد الى الاسكندرية اوائل سنة ١٨٧٩ وهناك أخذت  
شمس حياته السياسية تبدو فكان اول سعيه في هذا السبيل ان اجتمع بصديقيه  
الخلاصين محمد افندي امين باشكاتب محكمة أسبوط الاهلية ومحمود واصف افندي احد  
جامعي كتاب سلافة النديم ومحرر جريدة العدل وكانا وقتئذ من مؤسسي جمعية مصر  
الفتاة . فكان الاول نائب ورئيسها والثاني كاتم اسرارها فتعرف لیسلة اجتماعه بهما  
بالمأسوف عليهما اديب افندي اسحق وسليم افندي النقاش صاحبي جريدتي مصر

## السيد عبد الله نديم

ولد سنة ١٢٦١ وتوفي سنة ١٣١٤

قد لحصنا ترجمة المرحوم السيد عبد الله نديم من سيرة مطولة بقلم حضرة صديقه  
الوفي احمد اقندي سدير : —

( نشأته الاولى ) هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم وينتهي نسبه الى ادريس  
الاكبر من أسباط الحسن بن علي . وُلد بالاسكندرية سنة ١٢٦١ هـ ( ١٨٤٣ م )  
حفظ القرآن الكريم قبل ان يبلغ التاسعة وكان أبوه وسطاً في اليسار فلما رأى ذكاه  
ونجابه أدخله مدرسة جامع الشيخ ابراهيم باشا فقرأ على أكابر الاشياخ فأتقن فقه  
الشافعي والاصول والمنطق وعلوم الادب اللسانية وهو في سن المراهقة فاخذ من  
ذلك الحين يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع الحكم . فلما لبث ان سارت الامثال  
بيدائع آدابه وتسابق بلغاه الكتاب والشعراء الى مطارحته وكانت الكتابة الى ذلك  
المهد قاصرة على السجع فتوخى المترجم فيها أساليب جديدة في الانشاء فاق فيها  
المتقدمين وأعجز المتأخرين تشهد بذلك رسائله الادبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مئة  
مؤلف في فنون مختلفة ففداكثرها سرقة او اغتصاباً او حرقاً او اغراقاً في مياه  
النيل كما سيأتي تفصيله

وكان رحمه الله منذ ترعرع جريئاً مقداماً يميل الى ركوب الاخطار ومعاونة  
الشدائد سعيّاً وراء العالي وقد رأى ان ذلك لا ينال عفواً . فكان أول ما بدأ به من  
تلك المطالب المعجزة انه نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين له ان الاشتغال  
بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتعلم صناعة التلغراف واتقنها في أقل مما يتصور من  
الزمن كأن الكهرباء لم توجد الا لتزاحم خاطره في السرعة فلم يرض عليه بضعة أسابيع  
حتى استخدم تلغرافياً ( او تلغرافياً ) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر  
العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الحديوي السابق |

ولم تكن وفرة الاعمال عائقاً له عن التحصيل فقد كان يفتن نوبة فراغه من العمل  
فيتردد الى الجامع الازهر يطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التي كانوا يشتغلون  
بها . واخص هؤلاء الرفاق العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية  
بنظارة المعارف المصرية

ثم طرأ ما اوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء فكانت

والتجارة وتعرف بكثير من اعضاء هذه الجمعية وشرع في بث افكاره بما كان ينشره في تينك الجريدتين ثم رأى ان جمعية مصر الفتاة سرية يخشى عليها من الحكومة فاقنع صديقيه المشار اليهما بالانفصال عنها فانفصلا وتبعهما كثير من اعضائها ثم ذاكرهما في انشاء جمعية علنية تسعى في ما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه . وشرع منذ ذلك الحين في تأليف قلوب اهل الثغر علماً بان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه فتألفت الجمعية الخيرية الاسلامية في آخر ولاية المغفور له اسممىل باشا والقلوب واجفة والافكار مضطربة وقد خرست اللسنة وغلت الايدي الى الاعناق حتى دنت ساعة الفرج بولاية المرحوم محمد توفيق باشا فقرت العيون وهدأت الافكار فقام المترجم يشب دعائم دعوته ويثبت في الاذهان فوائد الاجتماع بلسان طلق فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الائتلاف وتسارع أعيان الثغر ووجهاءه للانتظام في سلكها وكانت هي اول جمعية اسلامية اسست في القطر المصري وكانت ترمي الى غرض واحد هو تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية الافكار وتطهير الاخلاق من دنس الجهالة

فأنشأت هذه الجمعية مدرسة لتعليم الايتام وابناء الفقراء مجاناً فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية امير البلاد فجعلها تحت رئاسة ولي عهده وورث تاجه اذ ذاك وهو الحديوي عباس باشا حملي أطال الله عمره . فكان ذلك ادعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فسهوا في توسيع دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والافرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساساً محكماً وعلم فيها الانشاء وعلوم الادب فتمت وزهت حتى زاد عدد الطلاب فيها على الثلاثمائة في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المارف ٢٥٠ جنيهاً كل عام

فاما رأى المترجم ان غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الحديوي السابق ان ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فاجابه الى ما طلب ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة ما لم يبلغه غيرها في ازمان متطاولة ونالت من التفات المرحوم توفيق باشا ونجليه الكريمين سمو الحديوي عباس باشا ودولة شقيقه ما رفع قدرها ونشطها وزادها زهواً ونماء مع ما كان يبذله صاحب الترجمة من العناية في عقد الحفلات العامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراهم فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولا حديث لهم الا ترداد ما سمعوه من المبارات الاخذة بجماع القلوب وفي تلك الاثناء مثل المترجم بالاسكندرية حالة البلاد وكيف يكون الوصول الى

الشهامة والمروءة بروايته المشهورتين باسم « الوطن » و « العرب » مثلها هو وتلاميذته في ملهى زيزينيا بحضرة ساكن الجبان الخديوي السابق فكان لهما في نفسه من حسن الوقع ما بعثه على ان يدفع من ماله الخاص مئة جنيه مساعدة للجمعية . ولكن الحسد جرّ بعض ذوي النفوذ الى الايقاع بالنديم فنصل عن الجمعية وأقيل من ادارتها وكان قبل ذلك قد ترك الكتابة الادبية واشتغل بالتحرير السياسي على الاسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفيه فكل يحرر في جريدتي « المحروسة » و « العصر الجديد » اللتين صرح للمرحوم سليم افندي النقاش باصدارهما عقيب الغاء « النجاة ومصر » وابعاد المرحوم اديب افندي اسحاق الى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب وما زال كذلك حتى استدعى صاحبهما من بيروت السكانيين الفاضلين سليم افندي عباس والمرحوم فضل الله افندي الحوري فترك لهما امر هاتين الجريدتين وانشأ « التنكيك والتبكيك » وهي جريده اسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جد فاردها ما لم يسبقه احد من كتاب العرب اليه

ثم استبدلها بالطائف على ما قضت به المناسبات الزمانية قبيل الثورة العراقية وكانت « الطائف » سياسة محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها من التأثير على الاذهان . ثم اغتصمها منه امراء الجند اثناء الثورة ولم يدعوا له منها غير الاسم فكانوا ينشئون فيها ما يشاؤون دون ان يقدر على رد واحد منهم حتى انطفأت جرة تلك الثورة فاختمنى

اما قيامه بنصرة الحزب الوطني فسيبه انه لاقى من معاملة الحكومة له ولغيره ما يدل على تنضيلها الاجنبي لخدمتها على الوطني واتفق ظهور نيران الثورة فاصابت منه هوى في الفؤاد فتمكنت لانه سمع رجالا تنادي بطلب الاصلاح وتمعد الاجتماعات الملية مجاهرة بمقاصدها في أم الصحف حتى انفقت الآراء على ان في مصر حزباً وطنياً لا هم له الا انتشار البلاد من وهدد الخراب فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤساؤه يكرمونه ويعظمونه فما زالوا به حتى انضم اليهم فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا جريدته مجالا لا قلام كثيرين منهم ومظهراً لا افكارهم ولكنه كان يتأفف سراً من وقوعه في تلك الورطة فاذا خلا باحد من اخصائه اظهر له حقيقة ما يصمر وأبأه بمصير تلك الحال

ولم يمض بضعة اسابيع حتى هاجت القاهرة وماحت اذ انبأها البرق بخرب الانكليز الاسكندرية في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانشأ الحرب بينهم وبين عرابي

فقام المترجم مع محمود باشا سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند المتخلفين الى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمعادرتها الى كفر الدوار بعد ان صارت معالمها دوارس فباتا (هو وسامي) في منزل المترجم . فلما كانت ما يسمونه بواقعة النيل الكبير في ١٥ من شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقت السحر قرأ عرابي واخوه وعلي الروي وتبعهم المترجم فجاؤوا القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وساروا توأ الى قصر النيل مركز نظارة الحربية اذ ذاك فتألف وفد ليسيروا الى الاسكندرية يلتمسون العفو من الخديوي والنديم في جملتهم ولكنه لم يصل الاسكندرية بل عاد من كفر الدوار واختفى من ذلك الحين . فقضى عشر سنوات مخفياً في مديرية الغربية بين ميت الغرقا والعنوة والحيزه وغيرها فيتكرر تارة بزي الدراويش وطوراً بزي المغاربة او غيرهم والحكومة تبث العيون والارصاد للقبض عليه وهو اقرب اليها من جبل الوريد . فلما أعيتها الحيلة جهات لمن ينبئها بمكانه مكافأة مقدارها الف جنيه . وكان البارفون بمكانه كثيرين ولكنهم حافظوا على ولائه فاحفوه مكرماً معزراً حتى قبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ اواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فخفي به الى طنطا حيث حبس اياماً وسئل عن موجب اختفائه فواضحه بما لا يخرج عما تقدم فمعا الجناب الخديوي عنه ولكنه أمر بإبعاده الى حيث يشاء من البلاد غير المصرية فاختار ياقا من ثعور فلسطين فسافر اليها باكرام واقام هناك مدة ثم أزمع السياحة في تلك البلاد المقدسة فخرج من ياقا في مارس سنة ١٨٩٢ مع صديق له الى جبل الطور المسمى جبل جازم وزار مقام النبي هناك وقبور كثيرين من الانبياء ومرّ بما كن كثيرة من جملتها نابلس ومدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الاقصى ثم عاد الى ياقا وفي تلك السنة ( ١٨٩٢ ) تولى الادريكة الخديوية سمو العزير عباس باشا الثاني فمعا عن المترجم فعاد من ياقا الى القاهرة وظل متردداً بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الاولى موطناً وانشأ بها مجلته العلمية الادبية التهذيبية « الاساذ » فنالت من الشهرة والانتشار في شهور ما لم تنله سواها باعوام وكان لها تأثير شديد في افكار الامة على اختلاف نحلها

ثم الغيت لاسباب يعلمها كل متدبر لان العهد بها غير بعيد . وكلف المترجم بالة مع من مصر فغادرها ثانياً الى ياقا ودفعت له الحكومة المصرية اربعمئة جنيه سهرها لسفره ورتبت له ٢٥ جنياً كل شهر على شرط ان لا يكتب شيئاً في الجرائد ولا بيساسة مصر فلبث اربعة اشهر في ياقا . ثم اعيد منها بإرادة سلطانية فرجى الاسكندرية وأقام فيها اياماً قابل في خلالها صاحب الدولة الغازي مختار باشا الى

السلطاني العالي فساعده هذا على المسير الى الاستانة فساخر اليها . وصدرت الارادة السلطانية بتعيينه مفتشاً المطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيهاً مجيداً له كل شهر فوق ما كان يتقاضاه من الحكومة المصرية وكان ينفقها كلها في سبيل الخير والبر بالاهل والاقارب والاصدقاء

وقد نال لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى وتعرف بكثير من الوزراء وأرباب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالالزمة والمودة الامام العلامة الفيلسوف السيد جمال الدين الافغاني فاتصلت بينهما اسباب الالفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حساً ومعنى وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه انه اصبح وامسى محجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وصرعة بديهيته في التحضير حتى صرح في عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته في توفد الذهن وصفاء القريحة وشدة البارضة ووضوح الدليل ووضع الالفاظ وضماً محكماً بازاء معانيها ان خطب او كتب

وقد كاد يود الرجوع الى مصر ليعضي بها بقية أيامه فلم تنجح المنيّة ذلك فداهمته بمخالها فقضى بداء السمل الرئوي في ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٦ فامر جلالة السلطان أن يحتفل بمشجده على نفقة الجيب الشاهاني الخاص فصار امام نمشه فرقتان من الجيش وفرقة من الشرطة وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد ظافر شيخ السلاطان والسيد عبد الرحمن الجزولي حتى دفنوه في باشكطاش . ولقد مات المترجم ولم يورث أهله الا الحزن والعناء لانه كان يقبض مرتبه من مصر والاستانة فلا يتضي عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الاقارب والاباعد دون نفسه

اما اخلاقه فانه كان برّاً بوالديه وذوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما اقرض أحداً شيئاً وطالبه به ولا رد يوماً سائلاً ولا خضع لعظيم قط وأما كان يلين ويتواضع لصغار الناس وأوساطهم وكان ذكياً فطناً قوي الحافظة فصيحاً جريئاً شاعراً مطبوعاً وكتاباً ناثراً

( مؤلفاته وكتاباته ) ومن مؤلفاته الكثيرة ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثمر طلق الحيا . وديوان آخر في نحو ثلاثة آلاف بيت . وروايتا « الوطن » و « العرب » ورسائل أدبية مسجوعة لم تصل أيدي جاني السلافة منها الا الى اربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير ومكابدة العناء الجزيل . وكان ويكون ( وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ ) وواحد وعشرون كتاباً في فنون مختلفة قطع لاجلها أيام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسـيوف الانلام . منها ديوان

شعر يحتوي على ما يقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه في الاستانة .  
 ومنهما السخلة في الرحلة . والامتناء في الاختفاء . واشرك في المشرك . وكتاب في  
 المترادفات . وآخر في الامة . مواءم الفصول وجامع الاصول . والفرائد في العقائد .  
 واللالى . والدرر في قوافي السور . والبديع في مدح الشفييع . وامثال العرب وغير ذلك  
 وقد فقد كثير من مؤلفاته ومنظوماته حرقاً أو ضياعاً أو اغتيالاً على ان شقيقه  
 عبد الفتاح افندي نديم وصديقه محمود افندي واصف قد عنيا في جمع ما تيسر من  
 ذلك في كتاب سمي « سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم » وطبعاه فمن  
 أراد الاطلاع على ما كتبه النديم أو نظمه أو خطبه فعليه بالسلافة



## ابراهيم بك المويلحي

الكتاب السيامي والمنشئ "الصحافي"

ولد سنة ١٢٦٢ هـ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

يتصل نسبه ببית من البيوتات السكرية التي ظهرت بمصر بعد الانقلاب في أول القرن الماضي وكان جده السيد ابراهيم المويلحي في أول أمره كاتباً للمرحوم حبيب أفندي نكحاً المغفور له محمد علي باشا الكبير ثم ارتقى كما ارتقى سواه من ذوي المواهب في مثل حال مصر في دورها الانتقالي من عصر الامراء المماليك الى عصر التمدن الحديث اذ هددتها مطامع الدول وحام حولها طلاب السيادة من الوزراء والقواد فتسابقت العقول واختلفت الاغراض نفاذ كل بما بلغ اليه امكانه وساقته اليه فطرته . فارتقى بعضهم الى منصات الحكم وأرى آخرون بالتجارة والزراعة أو الصناعة أو غيرها . فكان للسيد ابراهيم المويلحي جـد المترجم حظ كبير من ذلك الارتقاء . ومع انغماس اهل ذلك الانقلاب بالمطامع السياسية والمكاسب المالية واشتغالهم بالمالاذ والملاهي تسلط الجهل على معظمهم فالسيد ابراهيم كان محباً للادب لا يخلو مجلسه من الادباء والشعراء يطارحهم ويذاكرهم . وقد أدى لمحمد علي في أوائل ولايته خدمة جليلة حفظها له البيت الحديوي فانتفع بها المترجم في حال ضيقه كما سترى

وُلد صاحب الترجمة في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ في بيت وجاهة وعز وكان والده مشهوراً بصناعة الحرير لسيج مصر وله فيها بيت تجاري كبير فجمع ثروة طائلة . ونشأ ابراهيم في سمة ورغد وهو يتهيأ للعمل في تجارة والده ولـكنه كان مولعاً بالادب والشعر من حداثة — ورث ذلك من جده . ولم يخطر له ولا لوالده انه سيجعل الادب مهنته وهي يومئذ مهنة الفقراء . . . . . ولكن الاقدار ماقتته الى الاشتغال بها في كوائنه فكان من أعظم نوابغها

ظل ابراهيم في حجر والده آمناً سعيداً حتى توفي الوالد سنة ١٢٨٢ هـ والمترجم في العشرين من عمره فتولى تجارة أبيه وقبض على ثروته وجرى على خطته في العمل حيناً فازداد تقدماً . وكانت مضاربات البورصة حديثة العهد في هذا القطر وقد تحدث الناس بمعجزاتها وبهروا من سرعة الاثراء بها وكان ابراهيم طالباً لامي فلم يكتف بما بين يديه من الرزق الواسع وحدثته نفسه ان يطالب الزيادة بالمضاربة فضارب وهو يكسب تارة فيطعم بالزيد ويخسر اخرى فيطلب التويض على نحو ما نشاهده الآن

أجنيبان وخلفتها وزارة شريف باشا المعروفة بالوزارة الوطنية وهموا بإنشاء اللائحة الوطنية لتأسيس مبادئ الحكومة الدستورية . فالتدب المترجم للاشتغال في ذلك مع المرحوم السيد علي البكري . ثم صدر الامر بتعيينه سكرتيراً للمرحوم راغب باشا ناظر المالية . ولم يتول هذه الوظائف الا لما ظهر من نجابته وسداد رأيه

على ان ميله الى الادب والشعر كان ينفو فيه بين مشاغل السياسة والادارة فاتفق مع المرحوم عارف باشا أحد أعضاء مجلس الاحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى في نشر الكتب على تأسيس جمعية عرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها وأنشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهي من اقدم المطابع المصرية . على ان الجمعية كانت تطبع كتبها أيضاً في مطابع أخرى وخصوصاً المطبعة الوهية — ولهذا الجمعية شأن كبير في تاريخ هذه النهضة لانها نشرت كثيراً من الكتب المهمة كتاج العروس وأسد الغابة ورسائل بديع الزمان وسلوك الممالك والنفباء وغيرها من كتب التاريخ والادب والفقه

اما صاحب الترجمة ففي السنة التالية لإنشاء مطبعته اتحد مع محمد عثمان بك جلال لإنشاء جريدة عربية ولم يكن من الجرائد العربية بمصر يومئذ الا الجريدة الرسمية وجريدة وادي النيل فنال رخصة بجريدة سماها « نزهة الافكار » ولكنه لم يصدر منها الا عديدين ثم حالت العوائق دون اصدارها ويقال عن السبب في ذلك ان المرحوم شاهين باشا اظهر لاسماعيل باشا تخوفه من انها تثير الافكار وتبعث على الفتن فصدر الامر بالغاءها وظلت المطبعة تشتغل بطبع الكتب لجمعية المعارف وغيرها وقد طبع فيها كتباً على نفقته

فترى المترجم رحمه الله قد تقلب في أعمال مختلفة بين تجارة وخدمة في الحكومة وإنشاء المطابع والجرائد ونشر الكتب وغيرها وهو دون الثلاثين من العمر ولم ينل كل مرامه من واحد منها مع اقتداره وذكائه ولعل السبب في ذلك لجهلته في استثمار عمله قبل ان ينضج وعدم ثباته في خطة واحدة . لانه لو ثبت في التجارة مثلاً ولم يرغب عنها في خدمة الحكومة لكانت تجارته من اوسع التجارات أو لو ثبت في الخدمة ولم يعدل عنها الى الصحافة والطباعة لكان من أكبر أصحاب المناصب ولو ثبت في الصحافة الى الآن لكانت صحيفته من أكبر الصحف وأهمها . ولكنه لم يكن يستقر على حال — والاذكياء الذين لا يثبتون في عمل انما يكون سبب تقلبهم الرغبة في النجاح السريع يريدون الطلوع الى الارجاء دفعة واحدة . فاذا استبطأوا الوصول الى قمة النجاح في عمل تركوه وانتقلوا الى سواء فيأول ذلك في الاكثرين الى ضياع العمر

مع ما يعلمه الا كثرون من عواقبها الوخيمة . فما زال المترجم يتدرج في المضاربة حتى استنزفت ثروته وانقلته بالديون

على ان فروغ يده من المال لم يذهب بما نشأ عليه من العز والانفة ولا ضاعت مآثر جده لدى البيت الخديوي . فنظر اسماعيل باشا الخديوي يومئذ في هذا البيت نظر الانعطاف — وكان اسماعيل اذا أعطى أغنى ، فوهبه هبات الملوك فوفى الديون ووسع التجارة . ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية وعينه عضواً في مجلس الاستئناف وهو في الثامنة والعشرين من عمره وانعم على أخيه عبد السلام باشا بذلك الرتبة أيضاً . وأبقاه في مزاولة التجارة محافظة على ذلك المههد التجاري . وتأيداً لذلك أصدر أوامره



(ش ٢٠) ابراهيم بك المويلحي

لجميع من في قصوره من النساء ان يلبسن الانسجة المصرية من صنع هذا البيت وان لا يدخل في تشريفات السيدات سيدة لابسة غير هذه الانسجة . وامر باصطناع كمية عظيمة منها لارسالها الى معرض فينا في تلك الايام

وما زال المترجم في وظيفته بمجلس الاستئناف حتى افضت رئاسته الى المرحوم حيدر باشا يكن فوق وقع بينهما شقاق انتهى باستقالة المترجم ولكن عناية الخديوي اسماعيل ما زالت شاملة له فأمر باعطائه مصاحبة ثمنه المشغولات والمنسوجات على سبيل الالتزام . واتفق في أثناء ذلك سقوط وزارة نوبار باشا المختلطة التي كان فيها عضوان

قضى العمر في التنقل من عمل الى آخر . وضاعت الفائدة التي كان يرجى استثمارها من مواهبه لأنه كان نادرة في الذكاء وحدة الذهن والاعتدال على تفهم الامور والاحاطة بنحفاياها وكشف غوامضها — فلو رافقه الثبات في المبادئ والاعمال لسكان من هذا الرجل غير ما كان

وهاك مثالا من انشائه رحمه الله يصف موكب صلاة الجمعة في الاستانة قال :  
« ما قيصر في موكب انتصاره ولا الاسكندر في يوم افتخاره استغفر الله بل ما سعد قادماً من القادسية ولا المتصم من عمورية املاً للقلوب مهابة ولا للعيون بهاء من رؤية جلالة السلطان يوم الجمعة في موكبه

في يوم الجمعة قبل الظهر بساعتين ترد المساكر رجلاً وفرساناً من أطراف الاستانة الى بشكطاش عشرة آلاف أو يزيدون فينتظرون في طريق السراي السلطانية صدور الارادة السنية بتعيين المسجد . وهي عادة جارية الى اليوم وان كانت المسجد الحميدي قد اختص بصلاة جلالته دون سواء . فاذا صدرت الارادة اجتمعت المساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطففت صفوفاً مضاعفة بعضها وراء بعض . وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشايخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من عليا قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهايوني المغلة على تلك الساحة التي لا يسمع السامع فيها قياً ولا صهياً الا صليل الاسياف وتريد الانفاس هيبة واجلالاً وانتظاراً واستقبالا لاشراق نور الحضرة السلطانية . فاذا حان وقت الصلاة اشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياء من مطلع السراي تحمل الامام نائب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلس امامه الغازي عثمان باشا . والمشيرون وكبار رجال المايين حافون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية وهم في غير هذه الساعة اكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب . حتى ان الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعاً على ما منحه للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الامة والملة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين - لولا ما يعتريه من الاشتباه فيهم والنيشان عنوان كتيبه الدولة ووضعه على صدر حامله شهادة منها للناس ببيان ما هو مكنون وراءه من فضائل الفيرة والحمية . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائع ينش الناس موضعه على زجاجة الخل عنوان ماء الورد .. » الخ

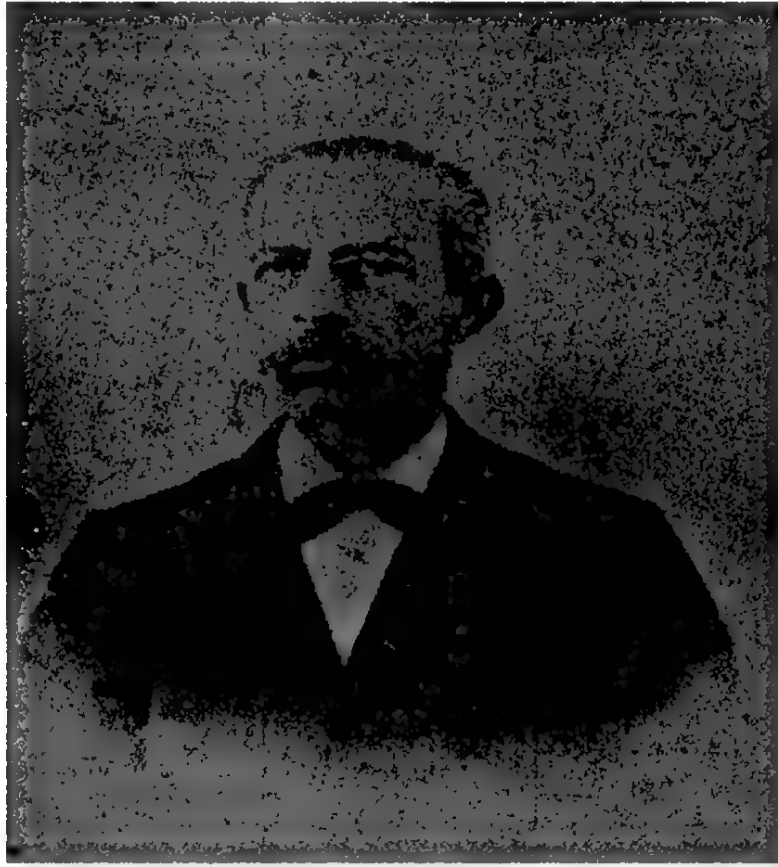
في بناء القصور بالهواء . ولو ثبتوا في عمل واحد مها يكن نوعه لسكفاهم مؤونة الشكوى من معاكسات الزمان

على ان المترجم لم يشكُ ضيماً لانه كان مرعيّ الجانب وما زال الحديوي اسماعيل يذكر صدق خدمته له فلما حدث التغيير في منصب الحديوية سنة ١٢٩٦ وأبعد الحديوي الى اوربا واستقرّ في ايطاليا استقدم المترجم اليه لجاهه واقام في معيته بضع سنوات كان في اثنتائها كاتب يده ( سكرتيره العربي ) يكتب عنه الرسائل الى الملوك والامراء . ولم يكن ذلك ليمنه من العمل لنفسه قائماً في اثناء اقامته باوربا عدة جرائد كجريدة الاتحاد وجريدة الانباء ولم يثبت في واحدة منها أو لعله كان ينشئها لغرض موقت فاذا ناله عطائها . وقال المؤيد انه اشترك مع المرحوم السيد جمال الدين الافغاني في تحرير « العروة الوثقى »

في سنة ١٣٠٣ هـ ذهب الى الآستانة على اثر انشائه تلك الجرائد فاكرم السلطان وقادته وعينه عضواً في مجلس المعارف وناظرها يومئذ منيف باشا العالم الشهير فقدور الرجل حق قدره وقربه منه وعول عليه في كثير من شؤون النظارة . وبعد ان اقام في هذا المنصب نحو عشر سنوات عاد الى مصر وعاد الى الاشتغال بالكتابة وقد نضجت مواهبه الانشائية واكتسب ماسكة الصحافة لطول ممارسته اياها مع ما اختبره بنفسه في اثناء اسفاره ومخالطته كبار رجال السياسة واطلاعه على مخبات الامور . فعمد اولاً الى مراسلة الجرائد بمقالات جامعة بين السياسة والادب وقواعد العمران اشهرها ما جمع على حدة في كتاب « ما هنالك » ثم انشأ جريدة مصباح الشرق الاسبوعية وهو يتردد في خلال ذلك الى الآستانة ويهود منها مشمولاً بالنعم السلطانية من العطايا والرتب حتى بانح الرتبة الاولى من الصنف الاول وما زال عاملاً في خدمة الصحافة العربية مخلصاً للبيت الحديوي شديد التعلق بمرضاة الجنب العالي وسموه يخصه بالمنح والائان حتى توفاه الله في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ وهو في الثانية والستين من عمره

( صفاته ) كان ربيع القامة ممتلئ الجسم حسن الملامح كما ترى رسمه في هذه الترجمة . وكان حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة في الانشاء الصحفي وفي انطبقة الاولى بين كتاب السياسة رشاقة ومناة واسلوباً مع ميل الى النقد والمداعبة ولا يخلو نقده من لزع او قرص لا يراعي في ذلك صدقاً ولا قريباً حتى قيل « لم ينج من قوارص قلعه الا الذي لم يعرفه » وقد انتقدوا عليه تغلبه في خطته وذلك تابع لتغلبه في سائر احوال معاشه لما قدمناه من تردده في أعماله حتى

يعلم المعاني والبيان وآداب اللغة في المدرسة البطريركية فتخرج عليه جماعة من أذكاء الشبان اشتهر بعضهم بالصحافة وبعضهم بالتجارة او الادارة . وتعم بعض ما تركه والده غير كامل من المؤلفات او الشروح وأشهرها ديوان المتنبي . وكان والده قد علق على بعض ابيات المتنبي شرحاً موجزاً فكشف هو على اتمامه سنة ١٨٨٢ فأنعم في اربع سنوات شرحاً وطبعاً وهو مشهور بضبطه وما ألحقه به من النقد الشعري وكانت الصحافة السورية قد نمت وظهرت مجلة الجنان ثم مجلة المقتطف وتحدث



( ش ٢١ ) : الشيخ ابراهيم اليازجي

بهما وبما استفادوه منهما فاحب الشيخ الرجوع الى الصحافة العلمية وكان الدكتور بوسط الجراح الشهير قد انشأ في بيروت مجلة طبية سماها « الطبيب » فأنشد الشيخ مع صديقيه المرحوم الدكتور بشاره زلزل والدكتور خليل سعادته زيل القاهرة وأصدروا الطبيب معاً سنة ١٨٨٤ نشر فيه الشيخ فضلاً عما كان يكتبه زميلاه من المقالات الطبية والعلمية مقالات لغوية وأدبية انشاؤها من الطبقة الاولى . وحجب الطبيب عن قرائه

## الشيخ ابراهيم اليازجي

ولد سنة ١٨٤٧ وتوفي سنة ١٩٠٦

### ترجمة حاله

وُلد رحمه الله في ٢ مارس سنة ١٨٤٧ في بيروت ونشأ فيها وتلقى مبادئ العلم على أبيه اليازجي الكبير ولا سيما أصول اللغة وقواعدها . على أن أكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات إنما قرأه على نفسه واكتسبه بمجده وذكائه وقد ورث الخيال الشعري عن أبيه فنظم الشعر وهو صبي وزاول النظم في شبابه . فلما قارب السكولة عدل عنه الى الاشتغال بسواه الا ما قد ينظمه لحادث أو باعث . وكانت قد اشتهرت منزلته في جودة النظم فتفاضى اليه الادباء يستفتونه أو يستشيرونه أو يحكمونه في قصيدة أو مسألة ولم يكن مجلسه يخلو من بحث أدبي أو شعري فتحقق به حاققة من أدباء بيروت ولبنان وكلهم آذان تسمع ما يتلوهم عليهم أو يصدر حكمه فيه من شعر أو نثر . غير ما كان يرد عليه في هذا الشأن من رسائل الشعراء وغيرهم مما كاد يستغرق وقته ويشغله عن سواء فصمم على ترك الشعر وتفرغ لدرس اللغة وآدابها وعلومها . فمكث على المطالعة فدرس الفقه الحنفي على الشيخ محي الدين اليافي أحد مشاهير أئمة بيروت

وكانت الصحافة البيروتية في أوائل نهضتها ومن جرائدها يومئذ « النجاح » فمهد اليه تحريرها سنة ١٨٧٢ فظهر اقتداره على الانشاء المصري مما لم يمهّد اناس مثله في المرحوم أبيه . فضلا عن تمكنه من قواعد الالة ومعاني الفاظها . وكان المرسلون الاميركان لما أرادوا نقل التوراة الى اللسان العربي في أواسط القرن الماضي استعانوا في تقييح مسوداتها وضبط عبارتها من حيث اللغة والاعراب بالمرحومين الشيخ ناصيف والمعلم بطرس البستاني ثم بالشيخ يوسف الاسير . ولكنهم ألزموا الترجمة الحرفية ولم يبيحوا للمصححين التصرف بالاسلوب فجاءت عبارة ترجمتهم ضعيفة . ثم عمد الالباء اليسوعيون الى ترجمة الكتاب المقدس ترجمة كاثوليكية فاستعاضوا بالشيخ ابراهيم وفوضوا اليه تقييح العبارة من حيث الانشاء فضلا عن الضبط النحوي واللفوي . فقضى في ذلك وفي تصحيح كتب أخرى تسع سنين وقد درس الالة المبرانية على نفسه لتطبيق عبارة التعريب على الاصل فجاءت ترجمة اليسوعيين اصح ترجمات التوراة العربية لغة وافصحها عبارة واجزلها اسلوباً . ويصدق ذلك على الخصوص في العهد القديم أما العهد الجديد فقد أخبرنا رحمه الله أنهم لم يطلقوا يده في تقييحه كما يشاء . وكان في أثناء ذلك وبعده

في السنة التالية . ثم استأنف إصداره المرحوم الدكتور اسكندر بك البارودي ترك الشيخ تحرير الطيب ونفسه تتطلب الشهرة الصحافية . ورأى الآداب العربية والصحافة قد تحولتا الى مصر بما اطلق فيها من حرية الاقلام والاقوال فعزم على الحجى اليها لانشاء مطبعة ومجلة علمية . واتفق على ذلك مع الدكتور زلزل شريكه في الطبيب فبرح الشيخ مدينة بيروت سنة ١٨٩٤ وعرج ببلاد الافرنج اعدّها بها بعض ما يقتضيه مشروعاتهم من الآلات ونحوها . ثم جاء القاهرة وانشأ مع زميله المشار اليه مطبعة البيان سنة ١٨٩٧ ثم حجبها بعد سنة واقتربا . واستقل الشيخ بانشاء «الضياء» سنة ١٨٩٨ وهي مجلة علمية ادبية صحفية صناعية اشتهرت بمائة انشائها وفصاحة عبارتها وبلاغة اسلوبها كما سنيته . وما زالت تصدر حتى حال الاجل دون اصدارها بعد انقضاء عامها الثامن . وكان رحمه الله قد أصيب بداء الروماتزم في اواخر الصيف الماضي بعد تحرير آخر اعدادها فلما استبطأ الشفاء أعلن توقيفها ريثما ييل من الداء وما علم انه الداء الاخير ففاضت روحه في المطرية بعد ظهر ٢٨ دسمبر سنة ١٩٠٦ وهو في الستين من عمره ولم يتزوج . ولم يبق من بيت اليازجي الا الشيخ حبيب ابن اخيه الشيخ خليل . فاحتفل أصدقاؤه ومريده بدفنه في اليوم التالي احتفالاً يليق بمنزلته . فحملوا جثته بقطر خاص من المطرية الى القاهرة . ومشى في جنازته من المحطة جمهور كبير من خاصة الادباء والوجهاء وأوصوا ان يرجعوا التأيين الى يوم آخر يعين في وقت آخر ثم احتفل بتأيينه بعض المحافل الماسونية بمصر والاسكندرية فضلاً عن حفلات التأيين وغيرها . وامر سمو الخديوي سر تشريفاتي سموه ان يكتب الى الشيخ حبيب كتاب تعزية هذا نصه :

جناب الفاضل الشيخ حبيب اليازجي

لما علم الجناب الخديوي العالي بعظيم روزه اللغة العربية وآدابها لانتقال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي من هذه الديار الفانية الى الدار الباقية أظهر مزيد أسفه على انقضاء تلك الحياة الطيبة الحافلة بجلال الخدم للعلوم العربية في القطرين مصر والشام وأمرني سموه الفخيم ان أبلغ جنابكم وسائر أعضاء الامرة اليازجية تعزيتة السامية واني اشترك مع قراء العربية في تقديم واجب التعزية الى حضراتكم

سر تشريفاتي الخديوي

احمد زكي

والفقيد رحمه الله حاز على الوسام العثماني من جلالة السلطان وعلى نوط العلوم



والفنون من جلالة ملك اسوج وتزوج وانتدبته كل من الجمعية الفلكية في باريس وفي انفرس والجمعية الفلسفية الجوية في السلفادور ان ينتظم في عضويتها  
أخلاقه وصفاته

كان ربيع القامة نحيف البنية عصبي المزاج حاد البصر ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضراً الذهن لطيف المحاضرة حلو المفاكة لا يمل مجلسه يطرب للكتابة الادبية ويضحك لها . وكان مع ذلك شديد الحرص على كرامته لا يحتمل مسها في جدراً او هزل تلميحاً ولا تصريحاً . وكان سريع الانتباه لما يتخلل احاديث المجالس من الاشارات الادبية . وكان متعافاً بطعامه وشرابه ولولا ذلك ما صبر على مهانة صناعة القلم بضعة واربعين عاماً مع نخافة بنيته . وقضى أعوامه الاخيرة يقتصر في عشائه على كأس من اللبن خوف الثقيل على معدته . وانما العدة في الغذاء على أكلة الغداء ولم يكن نهماً . واما في الصباح فيتناول طعاماً خفيفاً ويكف على العمل فاذا تغذى الظهر شرب قهوته ودخن شيشته ونام . ثم ينهض ويقضي بقية النهار في الراحة او في عمل لا يتعبه ويخرج لترويح النفس في بعض الاندية يلعب بعض معارفه بالزرد على سبيل التسلية او يقضي ذلك الوقت بالمباشطة والمفاكة . فاذا آن العشاء عاد الى منزله فيتناول اللبن ويستأنف العمل وكان مولماً بتدخين الشيشة في اثناء الكتابة كما كان والده مولماً بالقهوة وتدخين التبغ في ذلك الحين

وكان عفيف النفس كثير الاباء ظاهر الانفة الى حد الترفع ولا سيما في ما يتعلق بالارتزاق يمدُّ بجمالة الناس في سبيل الكسب تعلقاً وكفاً قلَّ ماله زادت انفته وعظم ابأؤه وكثيراً ما أراد أصدقاؤه اقناعه ان سنة الارتزاق تقضي بجمالة الناس والتقرب من كبارهم بالحسنى . فربما اطاع ناصحه برهة ثم يعرض له خاطر فيعود الى الاباء . ولولا ذلك لعاش في سعة وراحة ولكن القناعة كانت من أكبر اسباب سعادته

على انه كان يشتغل بالقلم التماساً لتلك اللذة التي كثيراً ما اغوت اصحاب القرائح واستنزفت قواهم فعاشوا فقراء ومانوا اعلاء . ولو أراد الشيخ مجرد الارتزاق لكان له مما فطر عليه من دقة الصناعة اليدوية خير سبيل . بل لم يكن يعدم منصباً في بعض مصالح الحكومة وقد ندب ان يكون قائماً على مدينة زحلة من لبنان سنة ١٨٨٢ فلم يقبل

ومن ابائهم وكرم اخلاقه انه كان صادقاً في معاماته على اختلاف وجوهها لا يخلف ولا يخلف . اميناً في ما ينقله او يقتبسه من الآراء او الاقوال ينسب الفضل الى صاحبه . وكان عكس ذلك في ما يفعله هو مع الآخرين من تصحيح مقالة او تنقيح

عبارة فانه كان شديد الانكار لذلك ولكن ديباجته كانت تنم عليه لظهور أسلوبه من خلال السطور

وكان برّاً بآبيه وقد خدم اسمه وزاد في شهرته بما آتته من آثاره او شرحه من كتبه فاتفق في سبيل ذلك جانباً كبيراً من وقته واتم شرح انتظي او هو شرحه كله فنسب الشرح الى والده واستبقى لنفسه فضل التتبع قرائحه ومراجعه

اظهر قرائحه الاتقان الفني فانه كان متأقاً في اتقان ما يتعاطاه من صناعة او أدب او شعر سواء اصطنعه بيده او انشأه بقلمه او نظمه بقربحته بما يعبر عنه الافرنج بقولهم Art si فكنت ترى التأني والاتقان ظاهرين في كل عمل يعمل حتى في لباسه وجلسه ومشيه وكلامه وطعامه . وكل ذلك فرع من تأنيقه في الصناعة اليدوية فكان حفاًراً ماهراً ومصوراً متقناً . ظهر ميله الى ذلك منذ حداثته - حدثنا صديقنا المستر ادوار فاندريك نجل استاذنا الدكتور فاندريك انه عرف الشيخ الفقيه منذ نيف واربعين سنة اذ كان يتردد على مطبعة الامريكان في بيروت وادارتها يومئذ بيد الدكتور فاندريك وكانت للشيخ ناصيف علافة حسنة بالامريكان من التعاميم بمذايرهم والتصحيح في مطبعتهم . قال صديقنا المشار اليه انه كان يلاحظ في الشيخ ابراهيم من ذلك الحين ميلاً خصوصياً لصناعة الحفر وكثيراً ما كان يحفر الاختام على سبيل الغية ثم حفر الصور والنقوش . وخطر له يوماً ان يصطنع روزنامة عربية تعلق على الحائط من قبيل الروزنامات الشائمة ولم تكن معروفة يومئذ بالعربية فاستأذن الدكتور فاندريك في استخدام بعض أدوات المطبعة لحفر الاحرف والاشكال اللازمة لهذا العمل فأمر رئيس العمال في ذلك العهد موسى عطا ان لا يمنعه شيئاً يحتاج اليه في هذا السبيل . فتأنيق الشيخ في رسم حروف الروزنامة وأرقامها حتى انما على أجمل ما يكون وهي اول روزنامة عربية من هذا النوع

على ان تأنيقه ظهر أولاً في خط يده فكان جميل الخط من حداثته وظل خطه جميلاً الى آخر أيامه وقاعدته فارسية . والذين يقرأون رسالة بخطه لا يكون اعجابهم بجمال ذلك الخط أقل من اعجابهم ببلاغة أسلوبه . ومن هذا القليل تأنيقه في التصوير باليد حتى صور نفسه عن المرأة صورة ناطقة رأيناها معلقة في منزله . وأهم ما نجم من تمار هذه القريحة اصطناع الحروف الحديثة التي سنذكرها في جملة آثاره

انشأه

ومن قرائحه اقتداره الغريب على الانشاء المرسل مع سلامة ذوقه في انتقاء

الالفاظ . وأسلوب عبارته جمع بين انشأة والبلاغة والسهولة يشبه أسلوب ابن المقفع شهاً اجمالياً ولكنه من أكثر وجوهه خاص بالشيخ . على أن انشاء ابن المقفع لم يصل إلينا كما كتبه صاحبه ولكنه جاءنا بعد أن هذبتة اقلام المنشئين ونقحته قرائح اللغويين زهاء اثني عشر قرناً . أما الشيخ فلم يمس عبارته سواء ناهيك بما يعترض الكاتب اليوم من المعاني الجديدة التي لم يعرفها القدماء وليس في المعجمات لفظ يدل عليها مما يقف عثرة في طريق المنشئين

أما فقيدنا اليازجي فكان يخطئ هذه المقبات على أهون سبيل فجاءت عبارته خالية من غريب اللفظ ووحشي التركيب . وقد يأتي باللفظ الغريب فيضعه موضعاً يحمله مألوفاً فلا يحججه السمع ولا ينكره الفهم . فكان أسلوبه بليغاً بلا تقعر أو تعقيد سهلاً بلا ضعف أو ركاكة متسلسلاً متناسباً متناسقاً يطابق ما قدمناه من توحيه التأنيق والاتقان في كل شيء . ورغبته في الاتقان حملته على التأني في نشر ما يكتبه فكان لا يرسل المقالة إلى المطبعة إلا بعد تنقيحها وتهذيبها ثم يكتبها بحرف واضح جلي كأنه سلاسل الذهب حذراً من الوقوع في الخطأ قال ذلك إلى ابطائه في اخراج بنات افكاره وقال مقدار ما كان يرجى الحصول عليه من ثمار علمه ودرسه

ومما حمّله على المبالغة في التأني أنه كان شديد الوطأة في انتقاد ما يرض له من الغلط اللغوي في ما يقرأه من الصحف أو الكتب — وذلك طبعي في من يخصص بحثه في فرع من فروع العلم يستقصيه ويدرس دقائقه فيكبر ما يقع عليه نظره من الغلط في ما يكتبه سواء في ذلك الفرع فلا يصبر على السكوت عنه ولا سيما إذا كان عصبي المراج مطبوعاً على التأنيق والاتقان مثل فقيدنا . فالانحراف عن الصواب كان يؤله ولا يشفي ألمه غير القدر . ويمتاز نقده بشدة اللهجة وبما يتخلله من قوارص الكلم لا براعي في ذلك صدمة ولا عهداً . وسبب تلك السدة على المالب غيرته على اللغة واخلاصه في خدمتها . فلما كتب « اغلاط المولدين » لم يستثن والبء ولا نفسه . لأنه كان يرى الغلط اللغوي أو النحوي من أكبر السيئات ويرى السلامة منها من أكبر الحسنات ولذلك كان يثني على شعر ابن الفارض ويعجب بشعر المتنبي على الخصوص لقلة ذلك الغلط فيها . ورعاً احتقر شعر شاعر مطبوع أو مقالة عالم كبير إذا رأى فيها غلطاً لغوياً أو نحوياً . فكل يبالغ في تنقيح ما يكتبه ويتأنيق في اتعاه خوفاً من الانتقاد ولعله تنبه لذلك على الخصوص منذ أخذ في الدفاع عن والده لما انتقده الشيخ أحمد فارس وشدد النكير عليه . وكان الشيخ ابراهيم في ابان شبابه فاجاد في الدفاع وتعود الحذر من الخطأ بالمراجعة والتنقيح من ذلك الحين . فاعتبر مع سعة علمه بمفردات اللغة

وجزالة أسلوبه كم تكون لغته صحيحة وعبارته بليغة فصيحة . حتى أصبح استعماله حجة وانشاؤه قاعدة فلا عجب اذا دعونه حجة اللغة وامام الانشاء . واكثر ما يكتبه مرسل سهل واذا سجع فلا تجد في تسجيعة تكلفاً واليك أمثلة من ذلك وهو من قبيل الشعر المنشور :

قال من مقالة في مصير الارض :

« واعتبر ذلك في الارض وما يؤلف اديمها من الجواهر . ويشتمل عليه جوها من العناصر . وما يعيش عايتها من النبات القائم في الصحراء . والحيوان السارح على وجه العراء . والساج في لجتي الماء والهواء . تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها بأسفها ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها الى أولها . بل ترى الارض نفسها عرضة للطبيعة تغزوها بالسيول الجوارف . والرياح النواصف . والامواج التي تهاجم نفورها والزلازل التي تصدع صخورها . متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار . الى أن يأتي يوم تخل فيه الجبال وترسب في درك البحار . ثم لا تزال المياه تسرح وجه الارض حتى لا يبقى فيه امت ولا انحناء . وحتى يغمرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها مستوياً تحت الماء كاستواء سطح الماء . فعادت كما كانت في أول خلقها ماء غامر . وكون بار . قد خلا من عالمي البر والهواء . ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء

« هذا اذا لم تصب الارض قبل ذلك بالهرم . وينضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من الضرم . ولم تتشرب هواؤها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران . على حد ما تم من مثل ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لمرتاد . وحتى تجرد من ثوب هوائه او كاد . وحتى أصبح قفراً هامداً لا ينبت عايتها شجر . ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواء الارض وهو خال من بخار الماء لجمد البرد سطحها تجميداً . وانقبض الاحياء من وجهه حيث يقع شمع الشمس عموداً . ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقاً على توالي الحقب . الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبرد والسغب . فتدفعها الثلوج حيث لا تنكشف رءسها الا يوم التلاقي . وتخطط يد القضاء على اديم الارض سبحانه الحي الباقي

« وهذه اذا لم تهرم الشمس فتقلب نارها برداً ولا كنه برد بغير سلام . فترجم السيارات والاقمار من حولها في فضاء من الزمهرير والظلام . ويومئذ لا يبرغ الصباح فيذهب آفاق المشرق . ولا يقبل المساء فيخيم على ارجائه بحيشه المطبق . ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف . ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف . ولا كنهها لتخطف السواد حداداً على عالمها بالامس . وقد التفت بكفن من الثلج قاوته منها الى مثل

ظلمة الرمس . ويومئذ تتجمد البحار فلا يكون ثمة موج يتنفس . ولا سحب يتبجس . ولا سيل يتدفق . ولا جدول يترقق . وتركذ حركة الهواء فلا تهب شمال ولا صبا . ولا تجري نسمة على الوهاد والربى . وأننى والشمس مصدر الحركة في العوالم . وقوام الحياة لكل قائم . فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب . واذا دبّت النعم فالشمس هي التي تدب . واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر . واذا انهمرت الفيوت فهي التي تنهمر . ألا وهي الشمس التي تجري في الأنهار . وهي التي تغرد في الاطيار . وهي التي تزهر في الرياض . وهي التي يسمع حفيفها في الغياض . وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها . واذا ماتت الاقنعة فبحال أن تبيش اجسادها »

وقال من مقالة في وصف القمر :

« بل هو مثال الرونق والجمال . وآية الالهة والاجلال . اذا برز من الافق فانهمزت من وجهه جيوش الظلماء . وانقرجت الكواكب لمرّده في عرض السماء . فاقبل يتنقل بينها وهو غير عزة وخيلاء . فسمت اليه الابصار اعجاباً واكباراً . وانصرفت اليه ابتهاجاً واستبشاراً . وانطلقت له النفوس نشاطاً وارنياحاً . واتسعت به الصدور انبساطاً وانثراحاً . وخلا اليه العاشق يتذكر وجه حبيبه . ولها به الحزون فسلا عن حبيبه ونسيبه . وأوى اليه المسهد فكان سميره في سهد . واتخذ المسافر رفيقاً فذهل به عن مخاوف سفره ومشقة جهده . وجلس اليه الشرب يتعاطون مثل الشمس في مثله . وتسائر بأزانه المتعاشقان يستبصران بنوره ويستتران بظله . وقد تخلل شعاعه نسج النسيم . حتى اتحد اتحاد الماء بسلافة النديم . فكان ألطف ما مر يبصر . في ألين ما التحف بشر . فاسجل الشاهد ان ليليه اصفى الاوقات . وانه الجالي لا كدار النهار كما تجلى به كدورة الظلمات

« لا بل هو مبعث الوحشة ومحرك الاشجان . ومثير هواجس الصدر وبلابل الجنان . اذا طلع في ليله وقد سكنت الاصوات . وسكنت الحركات . ولم يبق الا تموج الهواء باختلاف الاصوات الصوامت . وحفيف النسائم بين ورق الشجر المتخافت . فارسل نوره الضعيف سابحاً في انحاء الفضاء . مترقفاً على وجه الغبراء . تظهر من تحته الوهاد المنبسطة في العراء . والقمم الشاخضة في الهواء . لا يمشي فيها حيوان . ولا تسمع نامة انسان . فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود . وقد ملكت عليه مشاعره حتى توهم نفسه انه بمعزل عن الوجود . فتخيل ما حوله من الارض مجاهل خالية . او اطلاقاً بالية . بل تخيل الارض كأنها يوم خلفت فهي ادغال وتوائف . وتصور نفسه

آدمها وقد وقف فيها بين الدهش والخاوف . نحيمت فوقه وحشة العزلة . واحاطت بنفسه هيئة الوحدة . وانبعثت الاشجان في صدره فتفرغ لمناجاتها . وهاجت الذكر في نفسه ففاض بين تياراتها . وتوارد عليه من الحواطر ما حجب اليه اللحاق بعالم الفناء . ثم استهواه ما يرى من جمال الطبيعة فتأبث اليه الرغبة في البقاء . فتحنى لو اتخذ سبيلاً الى هذا العالم المائل فوق رأسه . أو تعلق بما تدلى اليه من اشعة نبراسه . فربما تخيل ان هناك حدائق غلباء . ومداين غناء . وقصوراً شاهقة . وانهاراً دافقة . واقواماً يعرجون في نعيم . ويرتمون في خصب مقيم . وما نمت لو يعلم الا كونه جامد . وقفر هامد . وسكوت سائد . وحطام خاق بائد . لا يخطر هنالك غاد ولا راح . ولا يسمع صوت باغم ولا صاوح . ولا يسبح طائر في السماء . ولا يدب حيوان على العراء . ولا ينحضر واد ولا اكمة . ولا تحسب اذيالها نسمة . ولا ينتشر سحاب ولا ضباب . ولا يتفرق ماء ولا سراب . ولكن جملة ما هنالك طلال دائر . وعالم من عوالم الدهر الغابر . بل جنازة يطاف بها حول الارض وان لم تحملها المناكب . وقد صلت عليها السيارات فترحت عليها الكواكب »

وقال من مقالة في وداع القرن التاسع :

« من تأمل كرور الادهار . وتعاقب الليل والنهار . ورأى الثواني تبحرُ الايام . والايام تبحرُ الاعوام . والناس يذهبون بين ذلك افواجاً . ويعرون فرادى وازواجاً . ورأى ان هذه الحركة التي ترى بها الشمس تطلع من المشرق . ثم نراها تغيب في المغرب . يخللها من حركات دقائق الكون ما يمثل ديب عوالم الفناء . حتى يرد كل منظور الى عالم الهباء . وقف حاراً دهنأً يتأمل في الكائنات وفي نفسه . وقد اختلط عليه الوجود بالعدم حتى كان يتهم شواهد حسه . ثم نظر فتمثل وراءه ماضياً تغيب أوائله في ظلمات الازل . وامامه آتياً تتصل أواخره بحواشي الابد . وهو بينهما كنفخة قذفها التيار فوق اديم البحر . فما كاد يقع عليها ضوء الشمس حتى عادت اليه ففاصت فيه آخر الدهر . فملسكه من الرهب ما ارتعشت له اعضاؤه . ومن الاشفاق ما جمدت له دماؤه . ثم تمنى لو تخلص من هذا الوجود المشوّه . وايقن ان السكون ضرب من الزور المموّه . انما هي صور تتبدل . واشكال تتحول . وهي المادة الى ان تحل الارض وينتثر نظام السيارات والاقار . وتتبدد ذرات الشمس في الفضاء فيمحي رسمها من صحيفة الادهار »

« ودعنا القرن التاسع عشر كما يودع المرء يومه عند انقضائه . وقد تذكر ما لقي بين صباحه ومساءه . وما تقلب عليه من حالي كدره وصفائه . ثم استشف من خلال ليله المقبل وميض صباح الغد باسماء عن تنور الامال . مبشراً بما قاته في يومه من »

الغبطة ونعمة البال . فبات يعد نفسه المواعيد . وبرى كل بيد من الاوطار اقرب اليه  
من حبل الوريد . وقد ذهل اكثرنا عن انه يودع شطراً من دهره . وقد يكون من  
بعضنا أطيّب شطري عمره . فاذا نفت الى خلفه رأى خيال نشأته وشبابه . وتذلت  
له اوقات لذته ومجالس آرابه . والصفحة التي ارتسم عليها تاريخ ميلاده ودون فيه  
تذكار ابهج أعياده . فحنّ الى ايامه السوابق . حنين المحب المفارق . وقد حيل بينه  
وبينها وطويت عليها صحيفة الفناء . وختم عليها بطابع الابد فهي هناك الى يوم اللقاء »

شعره

وقد رأيت انه نظم الشعر في شبابه وقعد عنه في كهولته على ان شاعريته ظاهرة  
في ما ظهر من شعره وبين منظوماته ما جرى على السنة القوم مجرى الامثال مع  
رغته في كتابته اذ جمعه في كتاب بخط يده وضمن على الناس بنشره وهو لا يزال  
باقياً كما تركه . ومن اشهر شعره قصيدته السينية التي مطلعها :

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

واختها التي مطامها :

تنهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطاب حتى غاصت الركب  
والقصيدتان مهيجتان اقتضتهما بعض الاحوال السياسية في سوريا من التحريض  
على النهوض . ولعل الفقيده حمل على نظمها باشارة جماعة او امر رجل كبير فجاء  
نظمها بليغاً

ومن قوله في النسيب والغزل :

الا استباح الشوق هتك سرايري  
باتت بليل من جفائك ساهر  
او لا فدتك حشاشتي ونواظري  
الا وحسنك كان بمنه زاجري  
وله كسائي الذل بين معاشري  
حتى خشيت به اقتضاح ضمائري  
وعليّ عهد هواك لست بغادر  
تهوى على الحالين غير مغاري  
ابداً ولكن عنك لست بصابر  
لك فيه بعض رضى فدونك سائري  
ان صح عندك مطمع في الآخر

با مرّ ذكرك خاطراً في خاطري  
وتصببت وجداً عليك نواظر  
بلغ الهوى مني فان احببت صل  
قسماً بحسنك لم اصادف زاجراً  
او ما كفالك من الذي لاقيته  
وضنى يكاد يشف عن طي الحشى  
اخذت عيونك من فؤادي موثقاً  
كن كيف شئت تجد محبك مثلاً  
صبري عليك بما اردت مطاوع  
عذبت قلبي بالصدود وان يكن  
واضحت عمري بالدلال وحبذا

كثير التقول بيننا وتحدثوا  
وأطال فيك معنفي فعذرته  
حسبي رضاك اذا مننت بزورة  
ومن قوله في الحكم :

حياة امر العيش فيها مذمم  
سقت كل قلب كل يوم مشارباً  
وما الارض الا قفرة زارت بها  
لها كل يوم بيننا كل منذر  
تنهنا بعضاً ببعض فتنتني  
خلت دونها ثم الحصون فلم تكن  
وأصبح من قد كان يهرب باسه  
تراب من الارض استوى تحت صورة  
اذا ما دفعنا للبلية مرة  
جری قدر المولى بما شاء واستوى  
وليس لنا من مطمع قات نيله  
وما كان ما لا بد منه مؤخراً  
وما الفرق في الحالين الا هنية  
ومن قوله في الحكم ايضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت  
في كل يوم اناس فوقها فجئوا  
بئس الحياة التي ما زال واردها  
حالات احداها مائة حذراً  
ومن قوله في الرثاء :

ايها النائح المبكر مهلاً  
شق من قبلنا الوري كل قاب  
انما نحن ناكل وصريع  
ليس ارض لم يسقها صوب دمع  
جاذز الامر دمعك المستهلاً  
ولقد كان لو شقى النفس سهلاً  
ذاك يشقى وذاك في الترب يبلى  
او ساء لم يشجها نوح ثمكلى

ومما جرى مجرى الامثال ويصح ان يكتب بما الذهب بيتان قالهما في معرض رد  
ل احمد فارس الشدياق لما انتقد كتب والده وشدد الطعن عليه فقال الشيخ ابراهيم :



ليس الوقية من شأني فان عرضت  
اني اذن بعرضي انت يلم به  
اعرضت عنها بوجه بالحياء ندي  
غيري فهل اتولى خرقه يدي  
ومن نظمه ليكتب على عود :

وعود صفا النسمان قدماً بظله  
تعشقه طير الاراكه اخضراً  
وما برحت تصفو اليه المجالس  
وحن اليه ريشه وهو يابس  
ومن نكاته الشعرية :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا  
فقد أصبحت اذنا بنا وهي ارؤوس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا  
وكانت له قريحة في الرياضيات واطلاع واسع في علم الفلك اتصلت بسببه مخبرات  
بينه وبين كبار الفلاسكين الفرنسيين. واشتغل في حل المشكلة الرياضية المشهورة  
وهي قسمة الدائرة الى سبعة اقسام وتوصل قبل وفاته بوضع سنين الى حل يقرب من  
الصواب كثيراً بحث به الى اكاذمية العلم في باريس ولا نعلم ما صار اليه امره. وكان عارفاً  
اللغة الفرنسية وله الامام بالعبارة والسريانية ومشاركة حسنة في العلوم الطبيعية

#### أعماله وآثاره

نظراً لما قدمناه من طبعه في التأني والاتقان وتوخيهِ التأنّي والتدقيق فقد جاءت  
ثمار قرائحه اقلّ مقداراً مما كان يرجى من مثله كما قدمنا فضلاً عن انصراف ذهنه في  
شبابه الى الاشتغال بالحفر والرسم . على انه خدم اللغة العربية من هذا الطريق خدمة  
ذات بال باصطناع حروف الطباعة العربية في بيروت . وذلك ان الطباعة بالحروف  
الافرنجية لم تكند تظهر في اوربا باواسط القرن الخامس عشر حتى اهتم اصحابها هناك  
باصطناع الحروف العربية فاصطنعوا حروفاً طبعوا بها كتباً بالبندقية ورومية وباريس  
ولندرا واكسفورد وغيرها ولكل منها تقريباً شكل خاص وان تشابهت على الاجمال .  
ثم ظهرت الطباعة العربية في الاستانة وحرفها يعرف بالحرف الاسلامبولي ويشبه  
القاعدة التي تقرأها في هذه الصفحة . وفي اوائل القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة  
في سوريا نقلاً عن حروف رومية . ثم جاء المرسلون الاميركان الى سوريا في اوائل  
القرن الماضي ولهم مطبعة عربية في مالطة امسوها سنة ١٨٢٢ وحروفها من حروف  
مطابع لندن وطبعوا بها كتباً بعناية المرحوم الشيخ احمد فارس . ثم نقلوها الى بيروت  
سنة ١٨٣٤ وبعد انتقالها باربع سنين اهتم مديرها يومئذ المرحوم عالي سميت باصطناع  
حروف جديدة فاستخدم احد كتبة الاستانة فكتب له حروفاً جميلة سبكها في لايدسك  
وهي الحروف الاميركانية المشهورة

ولكن القاعدة الاميركية على جمالها ورونقها كانت كثيرة النفقة في اصطناعها لكثرة أشكالها . والقاعدة الاسلامبولية تفضلها من هذا القبيل لكنها تقل عنها من جهات اخرى فعني الشيخ صاحب الترجمة سنة ١٨٨٦ بصنع قاعدة جديدة يجمع بها حسنات الحرفين وهي القاعدة المعروفة بحرف مركيس لأنها تسبك في مسبك خليل افندي مركيس صاحب لسان الحال في بيروت . وهي القاعدة الشائعة الآن في أكثر المطابع العربية في سوريا ومصر واميركا . واصطناع هذه الحروف يحتاج الى دقة ومهارة لا يعرف مقدارها الا من يعاني هذه الصناعة . لان الحرف لا يتمثل للطبع الا بعد ان يحفر على قضيب من الفولاذ حفرأ دقيقةأ ويقال له باصطلاح الطباعة « الاب » ثم يضرب على النحاس ضرباً حتى يطبع غائراً في النحاس ويسمونه حينئذ « الام » وعلى هذه الام يصبون الرصاص فيخرج الحرف المعروف في المطابع — فالشيخ كان يصطنع الاب من الفولاذ ويضربه على الام النحاسية واصطنع لهذا الحرف عدة اقدسة . ولما جاء القاهرة صنع حرفاً على قياس متوسط بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف ( بنط ٢٠ ) وقد اتخذته مسابك القاهرة واصطنعوا له قوالب وشاع استعماله في مطابعها

وأدخل في الطباعة العربية بعد قدومه مصر صوراً للحركات الاخرنجية يحتاج اليها العربون في التعبير عن الحركات الخاصة بها التي لا مقابل لها في العربية . ولما أرادت الحكومة المصرية صنع حروف مطبعة بولاق سنة ١٩٠٣ على قاعدة مختصرة مفيدة كانت الابصار متجهة الى الشيخ لانه أقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرونق ولو فوضت اليه هذا هذا العمل لاحسنت صنماً واستثمرت قريحته ثمراً نافماً للغة العربية على الاجمال

اما آداب اللغة العربية فقد خدعها الشيخ خدماً ذات بال بما الفه او نقحه او انتقده او وضمه من المصطلحات الجديدة واليك البيان :

فؤلفاته اكبرها « الضياء » وقد ظهر منه ثمانية مجلدات وفيها مقالات في مواضع شتى من جملتها مقالات ضافية في انتقادات لغوية يحسن أن يعاد طبعا على حدة خدمة لهذا اللسان وهي (١) اللغة والعصر (٢) لغة الجرائد فقد انتقد بها ما هو شائع في الصحف السيارة من الغلط اللغوي (٣) مقالة في التعريب بين شروط التعريب وتاريخ ذلك من صدر الاسلام (٤) اغلاط العرب القدماء (٥) الالفة العامة والالفة الفصحى (٦) أصل اللغات السامية (٧) نقد لسان العرب وهو بحث طويل انتقد به الطيعة المتداولة من معجم لسان العرب (٨) اغلاط المولدين بين فيها ما وقع للمولدين من الغلط اللغوي من صدر الاسلام الى الآن وفي جملة ذلك ما وقع للمرحوم والده ثم ذكر ما وقع هو

نفسه فيه من الخطأ في بعض المواضع . فهذه المقالات وغيرها من الابحاث اللغوية كمقالاته في المجاز والنبر في اللفظ العربي وغيرها مما ظهر في البيان والطبيب لو جمعت لزداد مجموعها على مئتي صفحة . وفي الضياء مقالات فلكية في القمر وحركاته والزهرة والمريخ والشمس والمشتري وقياس الاجرام السماوية وما وراء نبتون وتكون العالم الشمسي وسف الشمس وغيرها مما يدخل في مئة صفحة أو مئتين . ومن مؤلفاته التي ظهرت كتاب « نجمة الرائد » في المترادف والمتوارد من الفاظ اللغة العربية وتراكيبها في مجلدين

وكان رحمه الله قد شرع من سنوات عديدة في وضع معجم اللغة العربية يشتمل على المأنوس من كلام العرب الاولين وعلى ما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين . مقتصراً على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح وسماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » وقد شغلته العوائق عن انمامه وكنا نحسب مواده مجموعة كلها أو بعضها فاذا هي تعاليق على حواشي الكتب وبعض المذكرات في أوراق متفرقة لا يستطيع جمعها أو تأليفها سواء فذهب الامل بظهور ذلك الكتاب المفيد

أما ما نصححه من الكتب فاعلمها ترجمة التوراة اليسوعية التي تقدم ذكرها وفيها خدمة كبرى في ضبط لغة المسيحيين لا كتساب الملكة الصحيحة بمطالعتها من صفرهم . ومما صححه وهذب عبارته تاريخ بابل واشور تأليف جميل افندي مدور ونفح الازهار في منتخبات الاشعار ودليل الهائم في صناعة النثر والناظم للمرحوم شاعر البنلوني . وعقود الدرر في شرح شواهد المختصر للمعلم شاهين عطية ورسالة الغفران . غير ما صححه أو اختصره أو شرحه من كتب المرحوم والده كمختصر نار القرى ومختصر الجمان لمطالع السعد ومطالع الجوهر الفرد والعرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب وغيرها

ومن آثار علمه انه انتق الفاظاً اصطلاحية لما حدث من المعاني العلمية بنقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بما عرف به من سلامة الذوق في اختيار الالفاظ وهناك امثلة من ذلك مرتبة على احرف الهجاء مع اصولها الفرنسية :

Phosphorescence	التألق	Cravate	الاربة
Acclimatation	التليد	Assurance	الاستعداد
Balcon	الحناح	Plombagine	الاسرب
Phonograph	الحاكي	Bacilles	الانبيويات
Soupe	الحساء	Dot	البائنة
Myopic	الحسر	Milieu	البيئة

Cutta-percha	الطبرخي	Cocher	الحدودي
Vernis	الطلاء	Bicyclete	الدواجة
Cadre	الكفاف	Écran	الدريشة
Valve	اللاهة	Microcoque	الذريات
Vis	اللوب	Bactéries.	الراحيات
Tragédie	المأساة	Rhumatisme	الرثية
Vibrions	المنعجات	Torpille	الرعاد
Révue	المجلة	Tache ( du soleil )	السنع
Granit	الحجب	Poratonnerie	الشاري
Imperméable	المصلد	Chimpanzé	الشبزي
Buffet	المقصف	Police	الشحنة
Gudlotine	المصقلة	Armoiries	الشعار
Donche	الاضحة	Brosse	الشمرية
Ressort	النايض	Fuseau	الصالح
		Colonie	الطارئة

ومن هذا القبيل وضعه « النوام » لمرض النوم الذي حدث في أفريقيا . وخزراً

و « المداد » القلم الحبر المشهور وغير ذلك مما يصعب حصره

## خليل خوري

مؤسس الصحافة العربية في سوريا

ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٠٧ م

تمهيد في النهضة العلمية الحديثة ونصاري الشام

نريد بالهضة العلمية الحديثة الانتقال الذي أصاب آداب اللغة العربية في القرن الماضي على أثر اختلاطنا باهل التمدن الحديث واقتباسنا علومهم المبنية على المشاهدة والاختبار واقتفائنا آثارهم في انشاء المطابع والجرائد وغيرها من عوامل هذا التمدن . وكان العلم قبل هذه النهضة لا يزال على النمط القديم الذي بني على انقاض التمدن اليوناني والفارسي منذ نيف وalf سنة . فكان معولهم في الطب على ابن سينا والزهرائي وفي الحيوان على الجاحظ والدميري وفي الكيمياء على جابر والرازي وفي النبات على ابن البيطار وقس على ذلك سائر العلوم الطبيعية والرياضية . على أنهم قلما كانوا يشتغلون بهذه العلوم وانما كان معولهم في الاجيال الوسطى على العلوم اللسانية كالصرف والنحو والشعر وبعض العلوم الادبية . وكان ذلك قاصراً تقريباً على المسلمين - ولا سيما من حيث الشعر واللغة جرياً على سنة الاستمرار . ولما جاءنا التمدن الحديث وقد حمله الينا نصارى الغرب كان نصارى الشام اسبق الى اقتباسه من المسلمين

واذا عملنا الفكرة في تاريخ هذه النهضة في الشام على الخصوص رأيناها مرت في نموها على ثلاثة اطوار : الاول يبدأ بدخول ابراهيم باشا الشام سنة ١٨٣٢ وينتهي بمحاذنة سنة ١٨٦٠ لان ابراهيم حمل معه غرض اييه من التقريب بين الطوائف المختلفة ليجتمع العرب تحت لوائه وينصروه في تأييد دولته . والتفت الى نصارى الشام على الخصوص لقيام بعض رجالهم في نصرته . وكانت مصر قد سبقت سائر المشرق الى انشاء المدارس على النمط الحديث ولا سيما الطب . وكان مع ابراهيم جماعة من الاطباء المتخرجين في مدرسة الطب المصرية . وأراد مثل ذلك للسوريين فاجاز لهم ارسال عدد من ابنائهم الى مدرسة الطب المصرية يتعلمون فيها على نفقة حكومتها - جعل ذلك قاعدة متبعة لم تبطل الا من عهد قريب

لم تطل اقامة ابراهيم في الشام فخرج منها سنة ١٨٤٠ وخاف في نفوس أهلها احتراماً للعائلة الخديوية ورغبة في وادي النيل وشوقاً الى علومه فأمه كثيرون تلقوا فيه الطب وغيره وعادوا الى بلادهم ينشرون ثمار رقيهم بين اهلهم وذويهم . فحدثت

الصحف ومثلوا الروايات وآلفوا الكتب ونظموا الشعر . ويتقضي هذا الطور بالانقلاب  
السيامي الذي أصاب مصر على اثر الحوادث العراقية  
والطور الثالث يبدأ بالاحتلال الانكليزي بمصر لتكاثر الوفود من ادباء السوريين  
في أثنائه الى وادي النيل للعمل بالادب او التجارة او خدمة الحكومة او الزراعة او  
غيرها وكان لهم شأن كبير في الحركة العلمية والمالية والصحافية وكانت الهجرة في اول  
الامر قاصرة على المسيحيين ثم تطرقت الى المسلمين فهاجر منهم جماعة من الكتاب  
والعلماء لاسباب لا محل لها هنا . فكان الشام في الطور الثالث من نهضتها قد تهيأت  
الى الوراء او انها وقفت حيث كانت . ويمتاز هذا الطور في بيروت بنبوغ طائفة من  
ادباء المسلمين اشتغلوا بالصحافة والعلوم الحديثة فضلاً عن الادب والشعر  
فانهضة العلمية في الشام مرت على ثلاثة أطوار يبدأ كل منها بفتح او ثورة ولا  
يزال في الطور الثالث

#### خليل خوري

وُلد سنة ١٨٣٦ في الشويفات من أعمال لبنان ثم انتقلت عائلته الى بيروت مهجر  
اللبنانيين ولا سيما بعد دخولها في حوزة الدولة المصرية على عهد ابراهيم باشا . ولم يكن  
فيها مدارس كبرى فتلقى مبادئ العلم في بعض المدارس الطائفية للروم الارثوذكس  
على ما تآذن به احوال ذلك العصر . وكان فيه ذكاء ونشاط ونفوسه تبغي العلى فطلب  
الرقى من طريق القلم ولا سبيل اليه يومئذ الا بخدمة الحكومة وهي عسيرة على غير  
المسلمين الا لمن تفقه بالعلم وانقن اللغة التركية . فاحذ يتعلمها وتعلم اللغة الفرنسية على  
اساتذة مخصوصين حتى اتقنها تكلماً وكتابة . فتأقت نفسه للاشغال بالقلم فاقدم على  
الصحافة - وهو اول من فعل ذلك في الشام . فانشأ جريدة « حديقة الاخبار »  
سنة ١٨٥٧ قبل انقضاء الطور الاول من هذه النهضة وهو في الحادية والعشرين من  
عمره . وما زالت تصدر وحدها في بيروت حتى صدر الجنان للإستاني سنة ١٨٧٠  
وظلت الحديقة تصدر الى سنة ١٩٠٦ فاقفها مراعاة لصحته

وافضت مصر الى سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وشخص الى الشام سنة ١٨٥٩ وأقام  
في بيروت ثلاثة ايام فاحتفل به وجهاؤها وكان اذا مشى في الطرقات نثر الذهب على  
الناس فاحبوه ورغبوا في بلده . ولا يقدم على ذلك غير الاديب الهام فشخص صاحب  
الترجمة الى مصر وكان ينظم الشعر من صباه فظم قصيدتين رفعهما الى سعيد باشا وحظي  
بمقابلته فاعجبه أدبه وذكاؤه فعهد اليه ان يؤلف كتاباً في تاريخ مصر . فعاد الى سوريا  
والحرب الاهلية ناشبة أظفارها وقد جرت المذابح في دمشق وحاصبيا ودير القمر

في نفوس القوم نهضة رافقها قدوم بعض جالية الافرنج من المبشرين وترغيب الناس في تعليم ابنائهم مجاناً فنبغ من نصاري الشام غير واحد من الادباء والشعراء كاليازجي الكبير وكرامة ومراش وحسون ودلال . وبعضهم اشتغل بالعلوم المصرية كالديكتور مشاقة بالشام وآخرون بالتاريخ كطنوس الشدياق ونبغ في هذا الطور ايضاً مارون النقاش واضع علم التمثيل في اللغة العربية

ويبدأ الطور الثاني بالحوادث المشؤمة التي أصابت بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فاهتزت جوانبها وانتقل المصابون من اهلها الى بيروت وداخلت فرنسا في شؤونها ووجدت



( ش ٢٢ ) : خليل خوري

سائر الامم وسيلة لانفاذ المبشرين فابتنوا المدارس الكبرى وألفوا الجمعيات وطبعوا الكتب في العلوم الحديثة وغيرها فنشأت طائفة من الاطباء والعلماء والكتاب وأنشأوا الصحف وألفوا الكتب او نقلوها او لخصوها . وأصبحت بيروت مبعث العلوم المصرية وانشأ رجال الصحافة وكتاب الادب والسياسة . وفي هذا الطور نبغ مؤسسو هذه النهضة وفيهم أشهر كتاب الشام وشعرائها في القرن الماضي كالبيستاني واليازجي والشدياق وأديب ونقاش وشميل ونوفل ومشاقة وخوري وغيرهم وأكثرهم من المسيحيين اللبنانيين ووافق ذلك قيام اسماعيل على عرش الحديوية المصرية وقد رغب الناس في التزوج الى مصر ونشط اهل الادب فنزح اليها جماعة منهم أنشأوا فيها

وغيرها والى الباب العالي لجنة دولية مندوبها العثماني فؤاد باشا الشهير فاحتاج الى رجل يحسن التفاهم بينه وبين الناس فوق اختياره على صاحب الترجمة فتعين في معيته وكان رفيقه في مهمته . ولما رجع فؤاد ظل خليل بمعية قبولي باشا الى الفراغ من تلك المهمة

وكان في اثناء ذلك يشتغل بتأليف تاريخ مصر ففرغ منه سنة ١٨٦٤ وقد صارت الخديوية الى اسماعيل باشا فحمل الكتاب اليه فاجازه بالني جنيه . ولم نقف على ذلك الكتاب ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الفقيه . وعاد خليل الى سوريا وقد أصبح موضع اعجاب رجال الدولة فعملت الحكومة جريدته رسمية لنشر أوامرها وأخبارها . ولما انشئت مطبعة سوريا وجريدتها عهدت اليه بإدراتها وأوعزت اليه حكومة لبنان على عهد فرنكو باشا ان يصدر جريدته باللغتين العربية والفرنساوية وبذلك في مقابل ذلك ثلاثة آلاف قرش كل شهر . وعهدت اليه الحكومة العثمانية بتفتيش المدارس غير المسلمة في سوريا وعينته مديراً للمطبوعات وهي توالي عليه الانعام بالرتب والنياشين . ثم عينته سنة ١٨٨٠ مديراً للامور الاجنبية في ولاية سوريا وظل في هذا المنصب حتى احيل على المعاش قبيل وفاته

وكان له شقيق اديب اسمه سليم فيه نشاط اخيه وذكاءه فاشترك مع سميح المرحوم سليم شهادة في تأليف معجم مطول في التاريخ الجغرافية لو تم لكان أحسن ذخيرة لأدب اللغة العربية سميح آثار الادهار . فتوفي سليم الخوري سنة ١٨٧٥ ولم يصدر من الكتاب الا بضعة اجزاء فتوقف العمل . وكانت تلك الوفاة صدمة قوية على صاحب الترجمة وخسارة كبيرة على اللغة العربية صفاته وأعماله

كان رحمه الله طويل القامة حيوي المزاج قوي البنية ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر بشوشاً مع هيبة ووقار . وكان دمث الاخلاق حسن المحاضرة رقيق الجانب ميالاً الى البساطة بعيداً عن الابهة والبهرجة رحب الصدر متوقد الذهن سريع الخاطر رقيق الاحساس وتظهر رقة شعوره على الخصوص في شعره الغزلي . وكان وحيماً حسن الوفادة بيته منزل الولاة والوزراء يرتاحون فيه من عناء الاسفار . وله صداقة مع رجال الدولة وكلته نافذة عندهم ونال الاوسمة والنياشين من معظم دول اوربا فضلاً عن رتب الدولة العلية ونياشينها

وجمع الى الوجاهة والسياسة الادب والشعر فرافق هذه النهضة من أولها وكان له شأن في أكثر عوامها . فقد رأيت انه مؤسس الصحافة السورية وقد نشأ مطبعة



نشر فيها عدة كتب وهو من مؤسسي الشعر العربي وكان شاعراً مطبوعاً يميل بشعره الى السهولة والرشاقة وقد نظم الشعر في صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وله عدة دواوين مطبوعة أكثرها في الغزل والمدح والتهنئة والثناء . وأكثرت مدحه للسلطين ورجال الدولة ولذلك سموه شاعر الدولة وكان لطريقته بالشعر العربي وقع حسن لدى المستشرق رينو الفرنساوي فنقل مثالا منها الى اللغة الفرنسية نشره في المجلة الاسيوية الفرنسية وفي الديبا وغيرها . وذكره لامارتين الفرنسية الشهير في مؤلفاته واثني عليه وأظهر إعجابه به وكانت بينهما صداقة ومراسلة . على انه كان صديقاً لكثيرين من أدباء معاصريه من شعراء الترك والفرس والعرب . وأشهر دواوينه زهر الربى والعصر الجديد والسمير الامين والشاديات والنفحات وكلها مطبوعة وتحتوي على ما نظمه الى سنة ١٨٨٤ اما منظوماته بعد ذلك فهي مجموعة في ديوان كبير لم يطبع ويمتاز عن سائر الشعراء انه لم يستجد بشعره قط ولولا ضيق المقام لاتينا بأمثلة من منظومه واحسنه في النسيب

وله فضلاً عن الشعر كتب ومقالات في مواضيع شتى أكثرها منشور في جريدته ومنها رواية النعمان وحنظلة المشهورة وهي التي نظمها بعد ذلك المرحوم الشيخ خليل اليازجي وسماها المروءة والوفاء وترجمها الى الفرنسية ميشيل بك مرسق . وله رواية اجتماعية اخلاقية نشرها في الحديقة اسمها « وي اذن لست بافريقي » وترجم عن التركية كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تكملة تاريخ ابن خلدون وطبعه . وتولى ادارة ترجمة الدستور التي قام بها المرحوم نوفل نوفل وطبع مجلديه الاول والثاني ونشر عدة كتب مفيدة . وله خطب كثيرة بعضها غير مطبوع وكان منشطاً للمشروعات الادبية الخيرية من الجمعيات او المدارس او الصحف او غيرها

ولصاحب الترجمة حادثة غريبة في زواجه يندر اتفاقها — وذلك انه احب في شبابه نحو سنة ١٨٦٠ سيدة فاضلة من آل بسترسم اسمها كاتبة ابنة موسى بسترسم وكانت من العلم والادب على جانب عظيم وقد حال اهلها دون اقترانهما وزفت كاتبة الى وجيه من آل نوفل ثم توفيت ولها منه ابنتان فتزوج خليل احدهما « ظافر » سنة ١٨٨٧ ولم تعيش معه الا سنة رحما الله

## رزق الله حسون الحلبي

ولد سنة ١٨٢٥ وتوفي سنة ١٨٨٠

نشأت أسرة حسون الارمنية في بلاد المعجم وقيل في ديار بكر وقد أشار المترجم الى هذا في قوله من قصيدة

ديار كرج وارمن وطني قبل انتقال أبي الى أخرى

جاء جدها الاعلى وسكن حلب وولد أولاداً ذهب احدثهم الى مدينة أزمير فبقي اسم اولاده اولاً بني حسون ثم عرفوا ببني حبيب أوغلي (أي أولاد حلب) وهم فيها بهذا الاسم الاخير الى عهدنا . وذهب احدثهم الى الاستانة قبل تغيير اسمهم (حسون) وبقيت سلالة فيها باسم بني حسون الى عهدنا ومنهم نشأ البطريرك حسونيان (وزيادة الياء والالف والنون من اصطلاحات اللغة الارمنية) وكان من رجال الفضل والعلم ولا يزال بقية أسرته في الاستانة الى يومنا . وذهب احد اولاد حسون الجد الاعلى المذكور الى القطر المصري . اما ولده الاخر فبقي في حلب ومن أسرته ولد المترجم نحو سنة ١٨٢٥ فتعلم فيها مبادئ القراءة واتقن الخط على الشيخ سعيد الاسود الحلبي الشهير بجودة خطه وما ترعرع حتى انتقل الى دير بزمار وهو دير لرهينة الارمن الكاثوليك الانطاونية وفيه مقر الرئيس العام وموقعه في ساحل كسروان من أعمال لبنان فدرس العلوم اللاهوتية واللغات الفرنسية والتركية والارمنية والعربية والعلوم الرياضية وكان نابغة في جودة حفظه وذكائه حتى انه نظم الشعر وهو تلميذ . وذلك انه لما استقدم المطران باسيليوس عيواظ الى دير بزمار ليؤسّس فيها أسقفياً على الارمن في حلب وتمت سيامته في ٤ فبراير سنة ١٨٣٨ انشده رزق الله قصيدة من نظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره

ولما أتم دروسه في بزمار عاد الى مسقط رأسه حلب وكان يمارس التجارة لان والده كان غنياً وكثيراً ما كان يختلف الى دار قنصلية النسا في حلب حيث كان والده ترجماناً فيها فيتمرن على أعمال الترجمة في القنصلية

ثم نزلت نفسه الى طلب العلى فذهب الى اوربا وطاف في لندن وباريس وجاء مصر واستنسخ كتباً كثيرة لانه كان ولوعاً بالمطالعة كثير الميل الى صناعة الخط التي عرف بينهم بها كما اشار الى ذلك بقوله من قصيد :

لا خاملاً لا دنياً منشاي حلب فسل وهاك بفضل بشهد القلم

ثم عاد الى الاستانة وتقرب من رجالها ونال منزلة عندهم واتخذ الحاج ابو بكر اغا

القبائبي من كبار اغنيائها وتجارها واعيانها مدبراً لشؤونه ومؤتمناً على امواله وبواسطته استخدم في الحكومة وقد اتصل بالمرحوم يوسف حلبي الحجار وزوج السيدة متيلدة ابنته سنة ١٨٤٨ وأرخ ذلك بطرس كرامة بقوله من ايات

فلا زلما طول الزمان بصحبة وعيش رغيد برده الامن والرقد

زفاف سعيد والهناء مؤرخ موافق لرزق الله بالخير ما تلد

وقد كانت بينه وبين أدباء عصره في سوريا ومصر والاسنانة مراسلات ومساجلات ولا سيما وطنيه الشاعر نصر الله الطرابلسي المشهور وأحمد فارس الشدياق وبطرس كرامة وغيرهم ممن جاء بعدهم مثل فرنسيس مراش وشقيقه عبد الله وجبرائيل الدلال وشقيقه نصر الله من مواطنيه والقس لويس الصابونجي وديع تري شجاده الدمشقي والمطران اغايوس صليبا الارثوذكسي و خليل الخوري وغيرهم

ولقد عرف رؤساء الاساقفة بهذه ومدحهم من ذلك ايات موجودة بخطه في دار بطريركية الروم الكاثوليك بدمشق مدح بها الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم الحلبي الشهير سنة ١٨٤٢ ( ١٢٥٢ هـ ) . مطلعها

صرفت كربة من نأجك مبتهلاً ولم ترد صرف من يخوك ذا بدر  
وقال من قصيدة مدح بها الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الماروني الشهير  
امام على سرّ الاله امين أضأت بنور من سناء دجون  
بداً علماً في اوج لبنان لا هدى ولبنان للدين القويم عرين  
سمي الاناء المصطفى نعت الصفا على نسج اسلاف طوته قرون  
هو البطريرك القديس بولس ذو الحلبي وكبة فضل لازمان جبين  
وختمها بقوله :

ودونكم نظم ابن حسون قائماً بمعنى وألفاظ لهنّ رنين  
ومن ذلك ما بعث به الى صديقة بطرس كرامة شاعر الامير بشير الشهير من  
قصيدة ذكرت في ديوانه صفحة ٣٨٥ منها :

خدين المعالي وابن بجدتها الفرد بقيت بقاء الدهر يخدمك السعد  
وزادك رب العرش اسنى كرامة قرين بها الاقبال والفخر والمجد  
ولا زلت في امن وموفور نعمة وبمن اياد كسبها الشكر والحمد  
وبعد فقد طال البعاد ومهيجتي يكاد من الاشواق يضر بها الوجد  
قابلي للاطمئنان منكم الوكة اذا لم يكن منكم قدوم هو القصد  
فاجابه بطرس كرامة بايات تجدها في ديوانه ومنها قوله

فلا تحسبوا بعدي بعاداً وانما ودادي لكم قرباً وبعداً هو الودُّ  
واني لارجو كل يوم لقاكم ولكن دهري شأنه المنع والصد  
فلا زلت رزق الله خدن كرامة ويصحبك التوفيق والعز والسعد

ولما انتشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العلية وتداخلت فيها الدول المتعاهدة  
منحازة الى دولتنا سنة ١٨٥٤ انشأ المترجم جريدة « مرآة الاحوال » في دار  
السعادة فكانت اول جريدة عربية فيها وكان يصف فيها حرب القرم ومواقفها  
ويكتب الفصول السياسية الدالة على حنكته ويتطرق الى وصف احوال بلادنا ولا  
سيما بعلبك ولبنان وحاصبيا وما كان يجري فيها اذ ذاك من الفتن الاهلية فذاعت  
جريدته شهرة وزادت نجاحاً بعد ذلك الى ان عطلها

ولما نشبت حوادث سنة ١٨٦٠ في سوريا وسفكت الدماء وتفاقم الخطب وجاء  
فؤاد باشا لاصلاح ذات البين كان صاحب الترجمة من رجاله اتخذه لتعريب المناشير  
والاوامر التي يصدرها للشعب . وكان قد نال لديه حظوة ايام كان وزيراً للخارجية  
في اثناء حرب القرم ومدحه في جريدته المرأة واثى على بسالته حينما كان قياً على  
الجند بقيادة عمر باشا المساوي في حرب القرم

وانصل وهو في دمشق بالامير عبد القادر الجزائري الشهير وله فيه مدائح كثيرة  
نشر بعضها في كتابه النفثات الذي قدمه له وتبادل المودة مع ادباء بيروت ودمشق ولبنان  
وعثر وهو في دمشق على كثير من الكتب المخطوطة القديمة واحرزها ومن  
جملتها انجيل سربي وجدده في قرية عين التينة قرب معلولا في جبل القلمون نسخ سنة  
٧٠٤٥ لا دم و٩٤٧ هـ ( ١٥٤٠ م ) فاهداها الى المرحوم متري شحادة الدمشقي لما  
كان في القسطنطينية سنة ١٨٦٣ وهو الآن في مكتبة المطبعة البطريركية الارثوذكسية في  
دمشق عدد صفحاته ١٠٠٦ وخطه كنسي جميل . وقد تفقد مكاتب دمشق القديمة  
ووقف على نوادر مخطوطاتها ونسخ بعض تمايلق مفيدة عنها كان يفيد بها المستشرقين  
بعد ذهابه الى اوربا

ولما عاد فؤاد باشا الى الاستانة نائلاً منصب الصدارة العظمى سنة ١٢٧٨ هـ  
( ١٨٦١ م ) نال المترجم حظوة لديه فكان من خاصته . ولم يلبث فؤاد باشا ان صار  
عضواً في مجلس الاحكام العلية في السنة الثانية من صدارته وذهب الى معرص مدينة  
لندن معتمداً عثمانياً سنة ١٢٧٦ هـ ( ١٨٦٢ م ) فاخذ المترجم معه . ولما عاد الى  
الاستانة أعاده معه فرقا الى نظارة جمارك الدخان فكثرت حساده ومناوئوه واشتد  
الامر بينه وبينهم فوشى به انه رمي بالغلول في مال الجمارك هو وبعض المستخدمين

فسجن معهم ثم فرّ الى روسيا وهناك أطلق لسانه بالانتقاد على الحكومة والفرسالة بعنوان « قول من رزق الله حسون يرى نفسه من الفلول » وذكر البعض انه انشأ جريدة في فرنسا لهذه الغاية وذلك غير ثبت الا اذا كان قد اُتاد نشر جريدة مرآة الاحوال . ثم توسط في امره فقبلت الحكومة ان ترسل اليه اسرته أي زوجته وأولاده فلم يقبل الا بجميع مطالبه منها فاوغر صدر السلطان عبد العزيز عليه . فطلب من الحكومة ان تمنعه عن التنديد بالدولة فلم يصح لها سمعاً بل غادرها وحل لندن وأصدر فيها جريدته مرآة الاحوال وخصها بالشكوى من أعمال بعض موظفي الحكومة لعمده . وقد رأيت منها العدد السادس عشر بتاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٧ مكتوباً بخطه الجميل مطبوعاً على الحجر وفيه مقالات سياسية بليغة وكان يكتب فيها كثير من أدباء عصره ومواطنيه ولا سيما المرحومان جبرائيل الدلال وعبد الله المراس شقيق الشاعر الشهير فرانسيس مراث . وكان قد أصدر مجلة عربية عنوانها « رجوم وغساق الى فارس الشدياق » نشر منها عددان في لندن الاول في ٤ ايار سنة ١٨٦٨ في ١٤ صفحة صغيرة والثاني ٢٥ ايار سنة ١٨٦٨ . وذلك رداً على المرحوم احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب على ازم ما حدث بينهما من الخصام الشديد وكنا يتناظران مناظرات موجهة شديدة اللهجة . وكان يبيع من مرآة الاحوال في سنتها الاولى في لندن ٤٥٠ نسخة

ثم تطل مرآة الاحوال ونشر مجلة عربية طبعت في لندن سنة ١٨٧٩ كانت تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة عنوانها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » وهي اول مجلة عربية شعرية لانها كانت قصائد تبحث في هذه المواضيع فاجتمع منها مجلد بقطع ربيع في أكثر من ثلاث مائة صفحة

ثم انقطع بعد ذلك الى الفسخ والاشتغال بتصحيح حروف الطباعة العربية في اوربا ومساعدة كثير من المستشرقين حتى بلغ ما استنسخه من نقائس السكتب أكثر من عشرين أهمها ديوان الاخطل وديوان ذي الرمة ونقائض جرير والفرزدق وصبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي والمتعم لابن درستويه والاناجيل المقدسة ترجمة ابي الفيث الدبسي الحلبي وديوان حاتم الطائي وهذا طبعه كما سيجيء . ولا تزال بعض مخطوطاته في مكاتب روسيا وفرنسا وانكثرتا حيث كان يتردد بين هذه الممالك وجاء حلب قبل وفاته بسبع سنوات متنكراً فتفقد مكانها واستنسخ منها بعض الآثار

النادرة ثم عاد الى انكلترا التي اتخذ معظم سكناه فيها ولا سيما قرية وندسورث حيث تفرغ لوضع كتبه وطبعها

وعلى الجملة فان رزق الله حسون كان سياسياً حراً يرغب في اصلاح الدولة العثمانية ويذهب مذهب كبار أحرارها كمدحت باشا وأعوانه ولما ذهب مدحت باشا الى لندن قابله فيها وسراً به ولا صحة لما شاع من انه سعى في قتله

أما منزلته الادبية فان نثره من النمط العالي المتين وسجته كثير ينحو فيه نحو الافديمين . وشعره يدل كثر منه على طبيعته ولكنه كان قليل التدقيق في الاوزان ومراعاة الاصول الصرفية والنحوية فيشبع الحروف التي لم يرد مسوغ لاشباعها ويسكن وبحرك ويختار القوافي الصعبة وهذا الشكف ظاهر في كتابه « أشعر الشعر » . ومع هذا فان بين قصائده فرائد بليغة المعنى فصيحة اللفظ متينة القوافي تعد من الطبقة العليا في الشعر . وقد خرج في بعض القصائد عن الطرق المألوفة فلم يتقيد بقافية كما ترى في كتابه « اشعر الشعر » وكثيراً ما يميل الى الالفاظ الممجورة . وبقي بين المحابر والاقلام الى ان توفي فجأة في مدينة لندن وقيل انه توفي مسموماً وذلك نحو سنة ١٨٨٠ غريباً عن امرته التي بقيت في الاستانة وولده البير الوحيد حي فيها ولما شعر بدنوا اجله نظم احتضاره ( على أصح الروايات التي محصتها ) بهذين البيتين

قد قضى الله ان اموت غريباً في بلاد أساق كرهاً اليها

وبقاي مخدرات معاني نزلت آية الحجاب عليها

وقد اتقن فوق اللغات التي تلقنها في بزمار وبرع بها اللغة الانكليزية وألم بالروسية .

وأهم ما وصلت اليه يد البحث من مؤلفاته ومطبوعاته هو :

(١) النفثات : وهو قسيمان اولهما في تعريب قصص كريلوبف شاعر الصقالبة التي وضعها على طريقة بيدبا الهندي في كلية ودمنة ولافوتين الفرنسي في خرافانه ولقمان في حكاياته وما شاكل . عربها نظماً في ٤١ قصة تقع في ٦٩ صفحة بقطع ربع وألحق بها نخبة من منظوماته من توارنج واوصاف ومدايح وشكوى وبينها قطعة عرض فيها بالشيخ احمد فارس الشدياق حتى ان الشدياق لما انتهت اليه قال فيها عبارته الشهيرة « كان حسون لصاً وله مرققات فاصبح صلاً وله النفثات » وجميع هذا الكتاب يقع في ٨٤ صفحة وقدمه للمرحوم عبد القادر الجزائري نزيل دمشق وطبعه في لندن سنة ١٨٦٧

(٢) اشعر الشعر : وهو نظم سفر ايوب الصديق في ٧٤ صفحة بقطع ربع

فرغ في ٢٩ نيسان سنة ١٨٦٩ م وهو في وندسورث ( انكلترا ) . ثم نشيد موسى النبي . ثم سفر الجامعة وانشيد الانشاد لسايمان الحكيم ومراثي ارميا النبي وهذه بدأ بنظمها في ٢٨ نيسان سنة ١٨٦٩ وانه في ٣ ايار . والكتاب يقع جميعه في ١٣٦ صفحة وهو مطبوع في المطبعة الاميركية ببيروت سنة ١٨٧٠ . ووضع في أوله مقدمة قال فيها ان ايوب وهو ميروس وشكسبير اشعر الحلق . وأشار الى نظمه سفر ايوب في ايام اعتقاله وانه نظم الفصل الثامن عشر منه على اسلوب الشعر القديم بلا قافية . وقد كتب بعض الفصل نثراً بليغاً وربما ابقى بين ما نظمه في بعضها فقرات نثرية . وفي أشعر الشعر من الركائز والجوازيات الشعرية ما يدل على اضطراب بال المؤاف بين نظمه ومعرفة اعداد بعض الاسفار الاخرى فلم تمسه يد النقد ولا جال فيه خاطر التهذيب (٣) السيرة السيدية : وهو عبارة عن مزج الاناجيل الاربعة المعروفة بالبشارة .

طبع بمطبعة الاميركان في بيروت في ١٩٠ صفحة

(٤) رسالة مختصرة في الطباعة العربية والاقتصاد فيها مادياً ووقتاً وقد وجدت منها نسخة بخطه الجليل في مكتبة اسقفية الارثوذكس بحاب فاستنسختها وسأشرها قريباً لفوائدها

(٥) ديوان حاتم الطائي المشهور بكرمه استنسخه عن نسخة قديمة وطبعه في

لندن سنة ١٨٧٢ في ٣٣ صفحة

(٦) كتاب المشمرات . طبع في سانباولو من أعمال البرازيل سعت بطبعه ادارة

جريدة المناظر منذ بضع سنوات

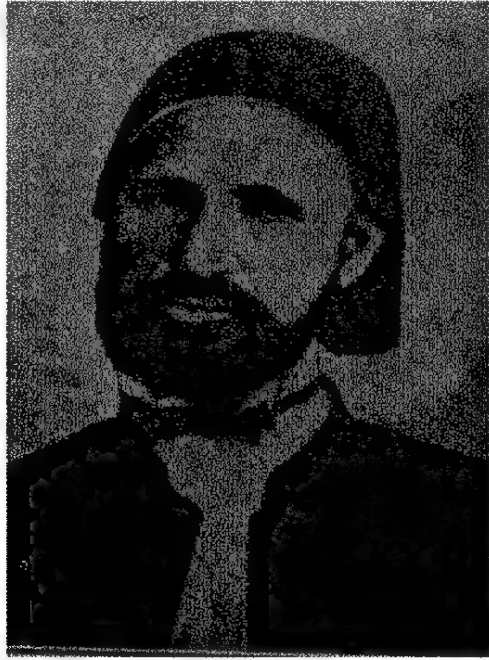
(٧) حسر الثام وهو كتاب جدلي تم تأليفه سنة ١٨٥٩ ولا أظنه طبع

ولقد ذكر المترجم كثيرون من المستشرقين وآخرهم ثناء عليه المسيو كليمان هوار الفرنسي في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وقد اقتصر على ذكر كتابه النفثات وجريدته مرآة الاحوال في لندن ولم يذكر نشأتها في الاستانة

عيسى اسكندر المعلوف

( المقتطف )

وكانت شهرته قد سبقته اليها فتعين حال وصوله باش جراح واستاذاً لعمليات الجراحة الكبرى والصغرى والتشريح الجراحي وانعم عليه محمد علي باشا اذ ذاك برتبة صاغقول آغاسي ولم تَمْضِ مدة حتى نال رتبة بكباشي فلما كانت ولاية المغفور له عباس باشا الاول حصلت بينه وبين بعض اطباء المستشفى الاوربي منافسة فأمر بنقله الى ثمن قوصون من ائمان القاهرة ليتولى التطبيب فيه على نفقة الحكومة وكان قد ذاع صيته بين الناس فتحول المرضى من مستشفى قصر العيني الى ثمن قوصون وزاد اشتهاره بالفنون الطبية وخصوصاً الجراحة وما زال يطبب في ذلك الثمن خمس سنين متوالية فأنعم عليه برتبة قائمقام وتعين رئيساً لاطباء الآلايات



ش ٢٣ : محمد علي باشا الحكيم

السعيدية . ولكنه لم يمكث في ذلك المنصب الا قليلاً فاعتزل المناصب ولزم منزله سنة ثم تعين رئيساً لجراحي قصر العيني واستاذاً للجراحة ووكيلاً للمستشفى والمدرسة الطبية فقام بمهام أعماله حق القيام فأنعم عليه برتبة أميرالاي . وكان ذلك في عهد المغفور له سعيد باشا فقربه منه وجعله حكيماً الخاص وادخله في معيته مع بقائه في مناصبه المشار اليها ثم أحسن اليه برتبة التمايز فلما سافر سعيد باشا الى أوروبا سار صاحب الترجمة في معيته ولما توفي سعيد باشا وتولى المغفور له اسماعيل باشا الخديوي السابق تعين المترجم رئيساً للمستشفى والمدرسة الطبية . وفي سنة ١٢٩٠ هـ نال الرتبة الاولى من الصنف



## سائر رجال العلم والادب

محمد علي باشا الحكيم

رئيس المدرسة الطبية المصرية وكبير جراحها

ولد سنة ١٢٢٨ وتوفي سنة ١٢٩٣ هـ

هو السيد محمد علي بن السيد علي الفقيه البقلي بن السيد محمد الفقيه البقلي وُلد في زاوية البقلي التابعة لمديرية المنوفية سنة ١٢٢٨ هـ ونشأ فيها حتى ترعرع فادخله أهله مكتباً في تلك البلدة فتعلم مبادئ الكتابة وقرأ القرآن . فلما بلغ التاسعة من سنه جاء به احمد افندي البقلي الى القاهرة وادخله مدرسة أبي زعبل التي كان قد بناها المغفور له محمد علي باشا الكبير في قرية أبي زعبل وفيها مكتب ديواني فمكث فيه ثلاث سنين اتم فيها قراءة القرآن وتلقى بعض مبادئ العلوم اللغوية فنقله الى المدرسة التجهيزية هناك فمكث فيها أيضاً ثلاث سنين فظهر من الذكاء والاجتهاد ما حجب به اساتذته لانه كان ممتازاً عن سائر ابناء صفه راغباً في العلم فنقلوه الى مدرسة الطب وكانت تحت ادارة المرحوم كلوت بك محيي العلوم الطبية في الديار المصرية . ففاق ابرانه وظهرت فيه مخائيل النجابة وحدة الذهن حتى اذا صدر أمر محمد علي باشا بارسال نخبة من تلامذة تلك المدرسة الى باريس للتبحر في العلوم الطبية كان صاحب الترجمة في جملة المنتخبين وعددهم اثنا عشر شاباً وقد اتموا دراسة الفنون الطبية وفيهم من نال رتبة اليوزباشية

وكان نائب السيد محمد علي عند سفرته هذه مئة وخمسين قرشاً فاوصى بخمسين منها لوالدته وابقى لنفسه مئة . فدخل مدرسة باريس الطبية وبذل غاية جهده في تحصيل علومها فقال حظاً وافراً من سائر علوم الطب والجراحة وشهد له اساتذته بالامتياز على سائر رفاقه مع انه كان أصغرهم سناً وما زالوا في تلك المدرسة حتى اتموا دروسهم وقدموا امتحاناتهم الشفهية ولم يبق عليهم الا الامتحان الخطي وهو عبارة عن تأليف رسالة في الطب يقترحها عليهم الاساتذة فوردت عليهم الاوامر بالعود الى مصر فعادوا فاذا بذلك الامر قد صدر لهم سهواً بتغير علم العزيز قامر بعودتهم باريس لاتعام الامتحان ونيل الشهادة الطبية فعادوا اليها فامتنحوا خطأ فألف المترجم رسالة طبية في الرمد الصديدي المصري وقعت وقعاً حسناً لدى اساتذته فمنحوه الشهادة وعاد الى مصر سنة ١٢٥٣ هـ

الثاني وفي آخر سنة ١٢٩٢ هـ لزم بيته وانقطع عن الاعمال ولم يعلم سبب ذلك . فلما كانت الحرب بين مصر والحبشة سار رحمه الله في الحملة المصرية التي سافرت الى الحبشة برفقة المرحوم البرلس حسن باشا عم الجناب الحديوي فخدم الجنود المصرية هناك خدماً يذكرها له العارفون ولكن أجله عاجله في الحبشة فتوفي هناك سنة ١٢٩٣ هـ ( سنة ١٨٧٧ م ) ولم يعلم أحد مكان ضريحه . على أن لهم في ذلك أنوالاً مختلفة نذكر منها رواية كتب بها الينا حضرة مصطفى افندي صبري قومندان حملة طوكر في ذيل كتاب اقترح فيه نشر ترجمة صاحب الترجمة وهاك نصها قال :

« ومما يهمني ذكره ليطلع عليه أبناء وطني انه بلغني من بعض الاحباش ان الفقيد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه قد أقيم له قبر بالحبشة ببلدة تسمى جراع ما بين عدوى وأسمرة الا انها أقرب الى هذه من تلك وقد شيدوا فوق القبر قبة عظيمة يزوره فيها الاحباش على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ويقيمون له الدعوات وليس ذلك الا تعظيماً له وتخليداً لذكره مع علمهم بانه كان في مدة حياته سفاكاً لدمائهم راغباً في سلب املاكهم وان يكن في ذلك مأموراً لا آمراً . وهي خدمة يستحق عليها أهل الحبشة الشكر والثناء لقيامهم بواجب قصر عنه أبناء جنسه وخصوصاً الذين ارتشقوا من بحر علومه » وكان رحمه الله حازماً للنديشان المجيدي من الرتبة الثالثة ناله مكافأة لما بذله من الجهد وأظهره من الشهامة في حوادث الهواة الا صفر سنة ١٨٦٥ م وله في الطب مؤلفات حسنة منها كتاب في العمليات الجراحية الكبرى وضمه في اللغة العربية في مجلدين وسماه « غاية الفلاح في أعمال الجراح » وكتاب في الجراحة أيضاً في ثلاثة أجزاء وباشر تأليف قانون في الطب وقانون في الالفاظ الشرعية والمصطلحات السياسية ولم يمهله الاجل لأتمامها

وكان محباً لوطنه راغباً في ترقية شأنه عاملاً على بث العلوم والمارف بين أبنائه غيوراً على الفقراء طويل الاناة في معالجتهم لا يلمس على ذلك أجراً . ومما يذكره له العارفون أن معظم اساتذة الطب ومن تولى رئاسة المدرسة الطبية بعده هم من تلامذته وقد سمعنا الثناء عليه من جماعة كبيرة من الاطباء المصريين وغيرهم وامتدحوا مهارته بنوع خاص في الفنون الجراحية . وقد اعقب أولاداً نجباء عرفنا منهم الدكتور احمد باشا حمدي

## مارييت باشا

## مؤسس المتحف المصري

ولد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٨٨٠ م

( الآثار المصرية ) ما برحت مصر منذ أجيال متطاولة مطمحا لانظار الرواد والمستطلعين من سائر الامم والشعوب على اختلاف الزمان والمكان ينظرون في آثارها ويمجبون لما خلفه الفراعنة من الهياكل والاهرام والمدافن والاصنام مما يستوقف الطرف ويهر العقل ولم يكذب يقوم مؤرخ عمومي قبل المسيح أو بعده الا ذكر آثار المصريين وأعجب بضخامتها وبعدها. واشهر هؤلاء المؤرخين هيرودوتس واسترابون وغيرهما من مؤرخي اليونان والرومان. أما العرب فقد ذكرها كثيرون منهم كالمسعودي وابن الاثير وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي ولكن هذا الاخير جاء الديار المصرية بنفسه في القرن السادس للهجرة فتفقد تلك الآثار واقاض في وصفها واكثر من الاعجاب بضخامتها ودقة صنعها مما تراه مفصلا في كتابه « الافادة والاعتبار » ناهيك بمن كان يتقاطر اليها من جالية الافرنج في القرون الاخيرة وخصوصاً بعد أن وطئها نابوليون بونابرت

ويرى الناظر في ما كتبه هؤلاء انها كانت في أقدم الازمنة اكثر عدداً واكبر مساحة مما هي عليه الآن وان الدول التي توالى على مصر بعد الفراعنة كانت تستخدم كثيراً من أحجارها في ما بنته من القصور والكنائس والجوامع حتى كثيراً ما تعمدوا هدمها لغير نفع يرجونه من انتقاضها كما فعل الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين فامر بهدم الاهرام العظمى بدأ بالصغير منها فاخرج اليه النقاين والحجارين فقصوا ثمانية أشهر يعملون بكرة وأصيلا فلم يهدموا الا جزءاً صغيراً فكفوا عن العمل ومن هذا القبيل ما فعله بهاء الدين قراقوش وزير السلطان صلاح الدين فانه نقل كثيراً من انتقاض الاهرام وغيرها فبنى بها سوراً يحيط بالفسطاط والقاهرة

وبالجمله فقد كانت تلك الآثار عرضة للهدم والنقب اجيالاً متوالية . فضلاً عما كان يأتيه عامة المصريين وغيرهم من التنقيب عن الكنوز والمطالب فيفتحون القبور يستخرجون منها الذهب والفضة والالنية من النحاس وغيره وكثيراً ما كانوا يبيعون قطع المومياة والمخططات الاخرى ييماً بخساً . وقد ذكر البغدادي ما يؤيد ذلك بقوله « وأما ما يوجد في أجوافهم وادمقهم مما يسمونه مومياة فكثير جداً يجلبه أهل الريف

الى بلادهم على انهم كانوا يحملونها خلسة فقيض لها الله المرحوم مارييت باشا فجمع ما بقي من شتاتها في بناء سماء المتحف المصري كما سيجي.

(مارييت باشا) هو فرانسوا اوغست فردينان مارييت وُلد في بولون سير مير من أعمال فرنسا في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وكان ابوه رئيساً في بعض دوائر الحكومة فكان يجب أن ينشأ مارييت مرشحاً لمثل هذه الخدمة ولكنه نشأ ميالاً الى الاسفار محباً للاكتشاف منذ نعومة أظفاره فاتفق له قبل ان يدرك الحلم انه دخل دهليزاً تحت الارض في بولون لا يعرف آخره فحدثته نفسه ان يتبعه الى آخره فما زال سائراً حتى خرج من طرفه الاخر

وكانت عائلته في ضيق من دنياها فاسرع في العمل لمساعدتها فتعين سنة ١٨٣٩ معلماً للرسم واللغة الفرنسية في مدرسة استرافورد بانكلترا وهو لم يتم دروسه بعد فتمت فيه موهبة الرسم العملي ولكن ميله الى العلم تغلب عليه فعاد الى بولون لنيل رتبة البكلورية ونظراً لضيق ذات يده اضطر لمعاطاة مهنة التعليم لتحصيل ما يقوم بنفقات التعلم . ولكنه ملّ هذه المهنة ولم تعد نفسه تطيق الاعراب والنحو وطمحت انظاره نحو العلى فاحب صناعة الكتابة فتولى تحرير جريدة فرنساوية اسمها الشارح البولوني (Annotateur Boulonnais) فاشتهر بحسن الاسلوب في الانشاء

وكان الرحالة المسيو دينون رفيق حملة بونابرت الى مصر قد أهدى الى متحف بولون سنة ١٨٤٧ تابوتاً مصرياً فيه مومياة فاتفق لمارييت انه رأى ما على التابوت من الصور الهيروغليفية فتأقت نفسه الى حل رموزها فاستعان بكتائين لشامبليون احدهما في نحو اللغة الهيروغليفية والاخر معجم لحل الفاظها فوفق الى فهم بعض تلك الرموز فحضر بلذة حببت اليه لغة الهيروغليف فها برح من ذلك الحين يتردد الى المتحف يقضي اوقاته بين الاثار المصرية حتى تمكن من تلك اللغة فلم يعد يقنعه غير الشخصوس الى مصر فعرض على نظارة المعارف الفرنسية ان تعينه في مهمة يسير بها الى وادي النيل للبحث في آثارها فابت . فالتمس ان تأذن له بالمسير على أن لا يكلفها الا نفقة السفر فلم ترض . فاستأذنها في الذهاب الى باريس برخصة فاذنت له فسافر وانقطع الى متحف اللوفر يقرأ ما فيه من الاثار المصرية . ثم كانت ثورة سنة ١٨٤٨ فتضعفت الاحوال وانقطع راتبه فتوسط له بعض أصدقائه بمنصب صغير في متحف اللوفر تمكن بواسطته من التبحر في اللغة الهيروغليفية والى ألف كتاباً يتعلق بالكتب القبطية

واتفق سنة ١٨٥٠ ان الانكليز انفذوا الى مصر وفداً لغوياً يبحث في مكاتب الديور

الى المدينة وبيع بالكىء النسفر ولقد اشترت ثلاثة ارؤس مملوءة منه بنصف درهم مصري واراني بائع جواليق مملوءاً من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه الخ « وناهيك بما كان يتعمده بعضهم من السرقة والنهب واكثر ما مرق منها في هذا القرن على اثر انتباه الافرنج لحفظ الآثار فكانت فرنسا او انكلترا او غيرها تبعت بالنقابين على ثقافتها يستخرجون ما في جوف الهياكل من التماثيل او المومياة او المصاغ او غيره فيحملونه الى متاحفهم او معارضهم . واول من نبه الازدهان الى ذلك اللجنة العلمية التي رافقت حملة بونابرت ولم يكن بهم الافرنج قبل ذلك من الآثار الا ما يتعلق منها بصناعة البناء كالاهرام وابني الهول ونحوها لجهلهم الكتابة الهيروغليفية وقد كانوا



ش ٢٤ : مارييت باشا

يظنونها رسوماً لا معنى لها حتى اتيج لشاه بابون حل رموزها فعرف الناس قدر تلك الآثار فتساقبت دول اوربا الى احرازها لا يذخرون وسماً في ذلك ولو استطاعوا حمل الاهرام والهياكل لنقلوها . واذا زرت متحف لندرا او باريس او غيرها الآن رأيت فيها من الآثار المصرية شيئاً كثيراً وفيه ما لويسع عباء بالملايين من الجنيهات . وما زالت الحال على ما تقدم حتى تولى المغفور له محمد علي باشا قانتبه في اواخر حكمه الى ما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة فاصدر امراً بمنع الافرنج من حمل هذه الآثار

المصرية عن السكتات القبطية القديمة فعثروا في دير بوادي النطرون على أوراق كثيرة أرسلوها الى لندن . فاقصدى الفرنساويون بهم وكانوا انما يرجون بابحاثهم هذه الوقوف على حقائق جديدة تتعلق بتاريخ اليونان . وكان ماريت قد اشتهر بينهم بمعرفة هذه اللغة فعينوه في هذه المهمة براتب مقداره ثمانية آلاف فرنك فسافر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٠ حتى جاء القاهرة فرأى انه لا يستطيع الذهاب الى ذلك الدير أو غيره الا بوصية من البطريك وكان البطريك قد غضب من تصرف الوفد الانكليزي لانهم حملوا ما حملوه من الكتب القبطية جبراً . وبعد السعي والالتماس رضي أن يكتب لماريت كتاب توصية باسم رئيس دير الانبا مقار . على ان ماريت لم يكن يرجو الحصول على ذلك الكتاب قبل مضي ١٥ يوماً . فلما لم يضيع الفرصة عمد الى تعهد مشاهد القاهرة فسار الى القلعة . وكان ذهابه اليها سبباً لتغيير عظيم في مستقبل حياته لانه أشرف من سورها على ضواحي العاصمة فرأى اهرام الجيزة واهرام سقارة فتاقت نفسه الى زيارتها وقد نسي ما جاء من أجله فركب الى سقارة وتوغل في صحرائها يتوقع العثور على آثار مهمة لقربها من انقاض منقذ العظمى فوقف يتفرد في تلك الرمال الفاحلة فرأى فيها حجراً نائماً يشبه رأس الانسان فتأمله فاذا هو رأس ابي الهول . وكان قد شاهد أمثال هذا التمثال قبلاً فلم يهمله ذلك الا اكتشاف لغرابته ولكنه توسم منه خيراً لما سبق الى ذهنه مما قرأه في استرابون عن آثار منف . وكان استرابون قد زارها في القرن الاول للميلاد فكتب عنها ما ترجمته « ورأينا هناك هيكل سرايوم ( Serapium ) فاذا هو قائم في بقعة مغمورة برمال تقذفها الرياح عن اكبات هناك ورأينا تماثيل ابي الهول عند زيارتنا هذه مغطاة بالرمال الا بعضها لا تزال رؤوسها ظاهرة وبعضاً آخر رأينا نصف ابدانها مكشوفة فتمثل لنا المشقة الذي كان المصريون القدماء يقاسونها في طريقهم الى هذا الهيكل من شدة العواصف »

وكان من عادة المصريين القدماء أن يجعلوا امام هياكلهم صفين من هذه التماثيل يسير الناس بينهما الى الهيكل . فتحقق ماريت ان رأس التمثال الذي رآه سيهديه الى ذلك الهيكل فبحث في غريبه فعثر على تمثال آخر فا زال يتبع بحثه حتى اكتشف ١٣٤ تمثالا . ولما وصل الى المئة والخامس والثلاثين آنس بالقرب منه منحدرآ فكشف ما فيه من التماثيل حتى انتهى الى التمثال المئة والحادي والاربعين فوصل الى قنطرة عليها أشباه بعض آلهة اليونان وفلاسفتهم فواصل النقب من جهة اليمين فاتهى الى دهليز استطرق منه الى اروقة تحت الارض عثر في أوائلها على تماثيل أسود وعجول وغيرها فرقص قلبه طرباً وتحقق انه عثر بضالته . والهيكل المشار اليه لا يزال مقصداً

للواد والمستطلعين الى اليوم ويعرف بمدفن سقاره . وكان محمد علي باشا كما قدمنا قد منع الافرنج وغيرهم من النقب عن الآثار فلما توفي اغفل ذلك المنع وعاد الناقبون الى أعمالهم

فلما اكتشف مارييت هذا الهيكل العظيم اتصل خبره بمدير الجيزة قابله الى عباس باشا الاول والي مصر اذ ذاك فبعث الى مارييت ان يكف عن العمل ويخلي عما اكتشفه من التحف فاجاب ان الجواب على ذلك من متعلقات قنصل فرنسا فاغضى عباس باشا عن المطالبة ولكن العملة الذين كان يستخدمهم مارييت في الحفر تقاعدوا عن العمل بايعاز المدير فتوقف الحفر شهراً

وبلغ خبر هذا الاكتشاف مسامع حكومة فرنسا فنسيت الكتب القبطية والبحث عنها وبذلت لمارييت ٣٠.٠٠٠ فرنك اخرى تتفق في سبيل نقل هذه التحف الى باريس مرأ . فبلغ الخبر مسامع الحكومة المصرية فارسلت مندوباً يستطلع تلك المكتشفات ويلقي الحجز عليها . والمظنون ان انكلترا هي التي حرضت الحكومة على ذلك غيرة وحسداً وبلغ عدد المكتشفات ٥١٣ قطعة بين تماثيل ومومياء وغيرها . فابي مارييت تسليمها الا بأمر من حكومته فكتب اسطفان بك بالنيابة عن عباس باشا كتاباً الى مارييت يقول له فيه « ان الحكومة المصرية لم تسكت عما أجراه من النقب الا لاتفاقها مع قنصل فرنسا بان تبقى التحف المكتشفة ملكاً لها . فبقي مارييت على اصراره ودارت المداولة بهذا الشأن بين الحكومتين المصرية والفرنساوية حتى انتهت على الشروط الآتية (١) ان تخلي الحكومة المصرية عما اكتشف من الآثار الى ذلك الحين لجمهورية فرنسا (٢) ان يتوقف النقب مؤقتاً (٣) ان يباح للحكومة الفرنسية العود اليه على ان يكون ما تكتشفه بعد ذلك ملكاً لمصر

وبناء على ذلك عاد مارييت الى العمل فاكتشف من التماثيل والتحف ما يعجز القلم عن تعداده فضلاً عن وصفه فقد كان هذا المدفن العجيب مملوءاً بالآثار الثمينة وفيها الذهب والحجارة الكريمة مما يطول شرحه وكثيراً ما كان مارييت يبيع من تلك الثمنات بما يساعده على نفقات الحفر

ولما فرغ من من كشف هيكل السرايوم تذكر كلاماً قرأه في كتاب بلينيوس بشأن ابي الهول الاكبر قرب اهرام الجيزة ماله ان في جوف هذا التمثال قبراً للملك هرميكس وكان مارييت مرتاباً مما قرأه لاعتقاده ان ابا الهول حجر منحوت لا جوف له فلاح له ان يكون ذلك القبر في جواره فسار الى ابي الهول وأخذ ينقب ويبحث حوله فمثر على آثار كثيرة في جملتها هيكل يعرف بالكنيسة وهو أقدم الهياكل المصرية

وفي سنة ١٨١٥ عاد ماربيت الى فرنسا بسبعة آلاف قطعة من الآثار المصرية على اختلاف الاشكال والاقدار . مع ان العدد الذي وهبته الحكومة المصرية لفرنسا بموجب ذلك الاتفاق لا يزيد على ١١٣ ولكن مرقعة آثار المشرق حلال في شرع أهل المغرب . ولا تزال هذه التحف في متحف اللوفر بباريس الى هذه الغاية

وفي تلك السنة توفي المنفور له عباس باشا الاول وخلفه عمه سعيد باشا وكان بينه وبين المسيو دلسيس الشهير صداقة قديمة سهلت له الوصول الى مشروع قنال السويس . فلما تم حفر هذا القنال كثر مرور الافرنج بوادي النيل فكانوا يتوغلون احياناً في انحاء القطر واكثرهم من الانكليز فيحملون ما تصل اليه ايديهم من الآثار فسعى دلسيس في وسيلة تحفظ تلك الآثار في مصر ولا نظنه فعل ذلك لمجرد رغبته في مصلحة مصر ولكنه أراد الكيد بالانكليز . وشاع في اثناء ذلك عزم برنس نابوليون على زيارة مصر فتداول سعيد باشا ودلسيس في استقدام رجل عالم بالآثار يصلح لمرافقة البرنس في تجواله فوق الاختيار على ماربيت فجاء مصر وقد اطلق له التصرف في آثارها كما يشاء فجاء في العمل لا يخاف رقيباً ولا يخشى حرجاً

فكان يقضي معظم ايامه في الصحاري لا سمير له الا الرمال ولا انيس الا الاحجار فاكشف آثاراً كثيرة في سقارة وما جاورها ثم انتقل الى الصعيد فارتاد الكرنك وأبو وأبيدوس ودندره . ونزل الى مصر السفلى فنقب عن آثار الرعاة في صان وغيرها . فأنعم عليه سعيد باشا في أواخر سنة ١٨٥٧ بالرتبة الثانية

ولم يكتف ماربيت باكتشاف تلك الآثار فاخذ يسعى في حفظها لمصر بعد أن كان في المرة الماضية يجاهد في حماها الى باريس ولكنه من الجهة الاخرى سعى في تقوية نفوذ الفرنسيين في مصر فخاطب دلسيس بذلك خفياً الى سعيد باشا السفر الى فرنسا على سبيل الزيارة فسار اليها في خريف سنة ١٨٦٢ ولما عاد من سفرته هذه رقى ماربيت الى رتبة المتمايز وزاد راتبه

( المتحف المصري ) وفي سنة ١٨٦٣ توفي سعيد باشا وخلفه اسماعيل فثبت ماربيت في منصبه وأمره ببناء متحف مصري في ساحة الازبكية يكون وسطاً يسهل تردد الناس اليه فذخر فيه الآثار اليونانية والعربية الاسلامية فضلاً عن المصرية . فسر ماربيت بذلك ولكنه لم يكذب يشرع فيه حتى ورد على اسماعيل باشا من الاستانة ان ساكن الجنان السلطان عبد العزيز عازم على زيارة وادي النيل قريباً فاشتغل عن بناء المتحف باعداد معدات الاستقبال وأمر ان تجمل الآثار المصرية في بناء يليق بها ليشاهدها السلطان ريثما يتيسر بناء المتحف في فرصة أخرى . فوضعوها في بناء رحب



على ضفة النيل في بولاق . وفي تلك السنة زار الديار المصرية الرئيس نابوليون فرافقه مارييت الى جزيرة أصوان ولما عاد برنس نابوليون عاد مارييت الى متحفه وعمل على ترتيبه وعول على الإقامة في مصر فاستقدم اهله وأولاده . وفي سنة ١٨٦٧ انشأت فرنسا معرضاً عاماً للآثار القديمة جعلت فيه نصيباً لمصر فنالت قصب السبق بتدبير مارييت وانهت فرنسا عليه برتبة كومندور

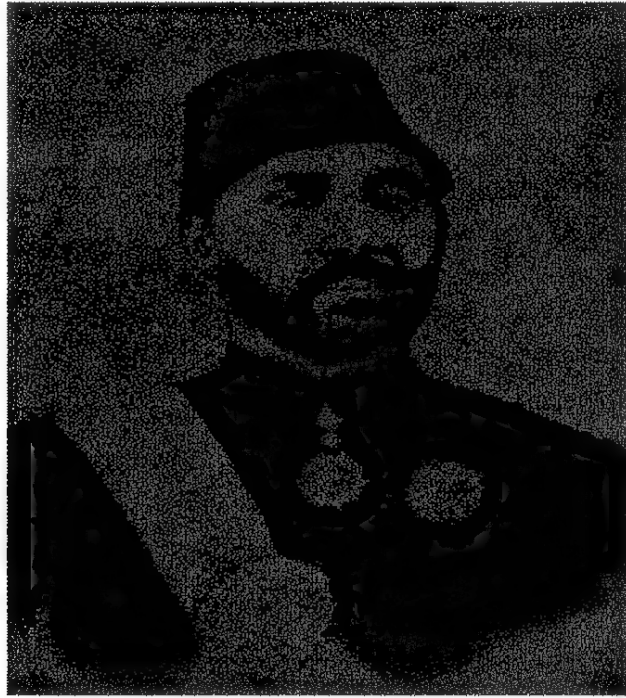
وفي سنة ١٨٦٩ احتفل الخديوي اسماعيل بفتح قناة السويس احتفالاً دعا اليه ملوك اوربا او من ينوب عنهم وكان في جملة ما أعده لهم من دراعي الاحتفاء متحف الآثار فاهتم مارييت بذلك كثيراً وكتب كتاباً يساعد المشاهدين على فهم الآثار فسر الخديوي منه فاقم على ابنتيه بمئة الف فرنك تقسمانها بينهما واهدته الحكومة الفرنسية ٣٠٠٠٠ فرنك مكافأة على مؤلفاته وكان قد ألف بعضاً منها فازداد نشاطاً فألف كتباً أخرى وكانت يتردد كل عام تقريباً الى فرنسا لتبديل الهواء او طبع الكتب وفي سنة ١٨٧٩ أقبل اسماعيل باشا وخلفه توفيق باشا فاقم على مارييت برتبة لواء مع لقب باشا وما زال عاملاً مجتهداً حتى توفاه الله في اواخر عام ١٨٨٠ ودفن في متحف بولاق

وظل المتحف المصري في بولاق حتى نقلته الحكومة المصرية الى سراي الجزيرة منذ بضع عشرة سنة ثم اهتمت بأرجاعه الى القاهرة تسهيلاً للوصول اليه فقررت سنة ١٨٩٣ بناء متحف جديد بجوار قصر النيل وشرعت في بنائه سنة ١٨٩٧ وتم البناء سنة ١٩٠٢ واحتفلوا بافتتاحه رسمياً في ١٥ نوفمبر منها

( مؤلفاته ) ألف مارييت باشا مؤلفات كثيرة بالفرنساوية يزيد عددهم على ٦٣ بين صغير وكبير بعضها طبع على حدة وبعضها نشر في الجرائد العلمية في اوربا اهمها (١) سرايوم منف (٢) جدول سقاره (٣) ملخص تاريخ مصر من أقدم ازمانها الى فتوح الاسلام (٤) زيارة متحف بولاق (٥) ابيدوس وهو كتاب في ٣ مجلدات (٦) وصف هيكل دندره الكبير طبع في ٥ مجلدات او ٦ (٧) أطلس متحف بولاق (٨) مصر العليا (٩) ملاحظات (١٠) وصف هيكل الكرنك وتاريخه (١١) الدير البحري (١٢) سياحة في مصر العليا وغير ذلك شيء كثير

فلم تخل جريدة من جرائد تلك الايام من مقالات بقلمه أو قصائد من نظمه كالوقائع المصرية وروضة المدارس والجوائب

ومما نقله الى اللسان العربي من المؤلفات الرياضية غير التي تقدم ذكرها كتاب في الحساب وآخر في الجبر وآخر في تطبيق الجبر على الاعمال الهندسية وآخر في المثلثات وغيرها . وكانت هذه الكتب لا تزال الى عهد قريب معتمد المدارس الاميرية في تدريس هذه الفنون . وقد عرب وهو في آلي المهندسين كثيراً من كتب الفنون العسكرية منها كتاب الترع والانهر وكتاب ميادين الحصون والقلاع ورمي القنار باليد والمقلاع وكتاب استكشافات عمومية وكتاب استحكامات خفيفة وكلها



( ش ٢٥ ) : السيد صالح مجدي بك

مطبوعة . وكتاب تذكار ضباط المهندسين وكتاب استحكامات قوية . ومن معرباته كتاب تذكير المرسل بتحرير المفصل والجمل . واشترك في ترجمة قوانين فرنسا ( كود نابوليون ) وترجم كتباً أخرى ونشر رسائل شتى في مواضيع مختلفة واشترك في تحرير جريدة روضة المدارس التي انشأها المرحوم علي باشا مبارك واتحد مع علي باشا المذكور في تأليف تاريخ عام مطول للديار المصرية فألفا منه ما يتعلق بالقراءة والاكاسرة والبطالسة والرومانيين حتى انهما الى فتوح الاسلام وتجاوزاه الى سنة ١٦٠٠ بعد الفتح فبلغ ما كتباه منه نحو ٤٠٠ كراس وتوفي صاحب الترجمة والكتاب

## السيد صالح مجدي بك

ولد سنة ١٢٤٢ هـ وتوفي سنة ١٢٩٨ هـ

هو من نوابغ أواسط القرن الماضي الذين ارتقوا بذكائهم ونشاطهم الى مناصب الحكومة ونبغوا في النظم والانشاء والترجمة وكان ذلك صعباً نادراً قبل النهضة الاخيرة وُلد السيد صالح في ابي رجوان من مديرية الجيزة سنة ١٢٤٢ للهجرة وتلقى مبادئ العلم في مدرسة حلوان الاميرية . ثم انتقل الى مدرسة الالسن وناظرها يومئذ المرحوم رقاعة بك الطمطاوي الشهير فأنس فيه اساتذته ذكاء ونباهة فألحقوه بقلم الترجمة . ورقى لرتبة الملازم وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ثم انتقل الى مدرسة المهندسخانة الحديوية يتولى تدريس اللغتين العربية والفرنساوية فيها . وكانت كتب التدريس في العلوم الرياضية يومئذ لا يزال معظمها في اللغة الفرنسية فعهدوا الى صاحب الترجمة نقلها الى اللسان العربي فنقل منها كتباً جمة لا تزال يفتنح بها الى اليوم منها كتاب في الطبوغرافية والجيولوجية وكتاب في الميكانيكات النظرية وآخر في الميكانيكات العلمية وآخر في حساب الآلات وكتب في الطبيعة والهندسة الوصفية وكلها مطبوعة فضلاً عن كتاب في حفر الآبار ورسالة في الارصاد الفلكية تأليف ارجو الشهير لم تطبع والى كتباً أخرى

وفي سنة ١٢٧١ أحيل الى آلاي المهندسين والسكرورية وقد ترقى الى رتبة يوزباشي وتولى رئاسة الترجمة وتصحيح ما يعرب من الفنون العسكرية وجعل يرتقي في مناصب الحكومة بجده واستحقاقه حتى صار سنة ١٢٧٧ هـ ناظراً لقلم الترجمة بقلعة الجبل وهو مع ذلك يلاحظ طبع الكتب العسكرية . ولما تولى المغفور له اسماعيل باشا اعجبه ذكاؤه ونشاطه فرقاه الى الرتبة الثالثة وعينه في قلم الترجمة بالمعية السنية . ثم انتقل الى ديوان المعاونة فالداخلية ثم الى ديوان المدارس وتعين سنة ١٢٨٦ هـ مأمور ادارة المدارس . وفي سنة ١٢٨٨ انعم عليه بالرتبة الثانية وفي سنة ١٢٩٠ الغيت ادارة المدارس فاعتزل الاعمال . وتشكلت المحاكم المختلطة بمصر سنة ١٢٩٢ فتعين قاضياً بمحكمة القاهرة وما زال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ ( ١٨٨١ )

وكان شاعراً مطبوعاً جمعت اشعاره في ديوان كبير طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٣١٢ مصدراً بترجمة له مطولة اخذنا عنها معظم ما ذكرناه عنه . وكان ميالاً الى الانشاء

بين أوراق المرحوم علي باشا مبارك لا ندوي ما آل اليه الامر بعد وفاة علي باشا  
ويقال بالاجمال ان صالح مجدي بك كان من رجال العلم الذين خدموا آداب اللغة  
العربية بترجمة الكتب الرياضية والعسكرية فضلاً عن قريحته الشعرية فان صفحات  
ديوانه المطبوع ٤٣٠ صفحة كبيرة تدل على طول بابه في النظم . واطلعنا مؤخراً  
على كتاب فيه مقالات أدبية من انشاء صاحب الترجمة كانت تنشر في جريدة روضة  
المدارس قيل يومئذ ان فيها تعريضاً ببعض رجال ذلك العهد فنحن نشكرها . فني بجمعها  
نجله محمد مجدي بك القاضي بمحكمة الاستئناف بمصر وطبعها في المطبعة الاميرية

## سليم بسترس

ولد سنة ١٨٣٩ وتوفي سنة ١٨٨٣

ان عائلة بسترس من أشهر عائلات سوريا غنى ووجاهة وقد نبغ منهم جماعة اشتهروا بالذكاء والاقدام والمهارة في الشؤون التجارية نذكر اليوم ترجمة احدهم المرحوم سليم بسترس بن موسى بسترس من نوابخ اواسط القرن الماضي . وبما دعانا الى نشر ترجمة هذا الرجل بنوع خاص انه كان على غناء ووجاهته ميالاً الى العلم راغباً في اكتسابه ونشره . وذلك نادر في بلادنا فهو يجدر ان يكون مثالا لاهل اليسار وفيهم من يحسب العلم مهنة الفقراء واذا قيل لهم تعلموا قالوا وما ينفعنا العلم ونحن لا نحتاج الى كسب — كان العلم والغنى لا يتفقان . وهي اوهام تقادم عهدها وآن لنا ان نزرعها وما من عاقل الا وهو يعلم ان العلم زينة العنى ودعامة التمدن وأكليل الملوك بل هو نور العالم ودليل الاصلاح

فترجو ان تكون ترجمة سليم بسترس قدوة لهم حسنة واليك هي :

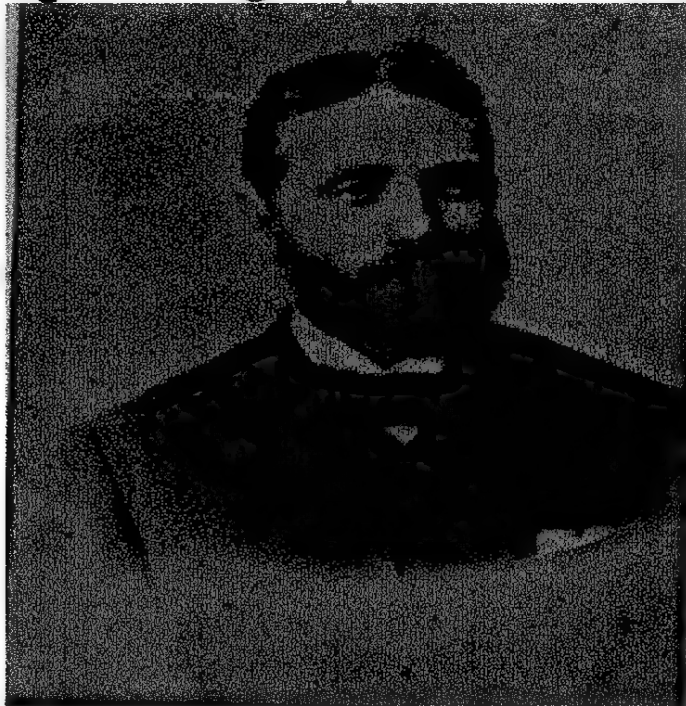
هو سليم بسترس بن موسى بسترس ولد في بيروت في ٢٩ من شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٣٩ وكان الولد الذكر الوحيد لوالده موسى بسترس . وكان موسى عين قومه ورئيس اسرته ومؤسس اتحادها . وكان والده كثير الحسنات رحب المصدر ممتازاً بمحامد الصفات توفي مأسوفاً عليه سنة ١٨٥٠ فتربى ولده سليم في حجر والدته فقامت بتهديب أخلاقه ولم يلبث ان حصل المعارف والآداب العربية واحرز بعض اللغات الاجنبية وكان له شعر رقيق . وكانت أحوال اوربا في فتوته مجهولة لدى السواد الاعظم في سورية فسافر اليها سنة ١٨٥٥ وجاب بعض ممالكها والقب في رحلته كتاباً مفيداً سماه الرحلة السليمية حرض فيه ابناء وطنه على طلب اسباب تقدم اروبا وضمه كثيراً من النصح والحكم وبما قاله في تقدم الامم . « انه يكون بالاتحاد والتعاقد والاجتهاد وبغير عناصر التعصب واتباع السنن العمومية اذ هي مفتاح الترقى وان افراد الرجال هم الذين يبنون الآراء الصحيحة بين الناس بكتاباتهم وكلامهم وقدوتهم » . وقد عرب عدة روايات قصد بها استصلاح العادات وبث الآراء الصحيحة والاحتفاظ بالآداب جعلها أقاصيص يصبو الناس الى مطالعتها

حنة ) الثالث ووسام الصليب الاحمر ووسام سان ستانسلان الثاني وكانت وفاته بعله القلب في مصيفه في فلوكستن قرب لندن في ٣ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٨٣ وقد نقلت جثته الى بيروت فدفن فيها سنة ١٨٨٥

وقد عني بعضهم في جمع مراثيه وأقوال الجرائد فيه وصور الرسائل العديدة التي كانت ترد عليه من وزراء الروس وحجاب الامبراطور الروسي وطبعها في كتاب يسمى صدى الحسرات طبع في بيروت في مطبعة القديس جاورجيوس سنة ١٨٨٥ فلتراجع فيه وله ديوان شعر اسمه انيس الجليس

وسنة ١٨٦٠ استوطن الاسكندرية قصد الاتجار . وسافر سنة ١٨٦٦ ثانية الى اوربا وانشأ بيتاً تجارياً في ليفربول ثم جاء بيروت سنة ١٨٦٩ لزيارة اهله وخلانه ولما عاد الى انكلترا انتقل بيته التجاري الى لندن . وسنة ١٨٧٢ قدم بيروت زائراً وفي أول ايلول ( سبتمبر ) سنة ١٨٧٤ زفت اليه في مدينة لندن ادما ابنة ابن عمه حبيب جرجس بسترس فرزق منها ولدين البكر اسكندر موسى عرابه القيصر اسكندر الثاني امبراطور روسيا الاسبغ . والثاني فلاديمير عرابه القيصر اسكندر الثالث والد القيصر نقولا الثاني . وهي حظوة يستدل بها على ما كان له من المسكنة في البلاط

الرومي



( ش ٢٦ ) : سليم بسترس

. وكان يهب جمعيات الاحسان الخيرية في سورية وانكلترا وغيرها من ممالك اروبا . وكان عضواً في جملة جمعيات منها جمعية الملجأ بيطرسبرج وجمعية القديس يوحنا الاورشليمي في لندن فقلدته وسامها المخصوص ومنحته لقرينته بعد وفاته وقد احرز شهرة حسنة في سورية وبلاد الانكليز

وكان صادقاً كريماً معروفاً بالفضل والنبيل وسعة المعارف فنال الوسام الجيـدي المالي الشأن من المواطنف الشاهانية ومنحه امبراطور روسيا وسام سنت آن (القديسة

والنظر في حدود يومهم وهو يتبدى. عندهم في الساعة السادسة افرزكية مساء ويقسم الى ٢٤ ساعة وتقسم الساعة الى ١٠٨٠ قسماً يقسم كل منها الى ٧٢ جزءاً. وبحث في اسبوعهم وشهرهم وسنتهم والايام التي تبتدى بهـ اـ شهرهم وسنومهم مع تعيين أعيادهم ومقارنة تاريخهم بتاريخ الميلاد المسيحي

(٣) رسالة في الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الارضية بياريس وضواحيها تلاها سنة ١٦٨٥ على الجمع العلمي الفرنسي وقد أعد موادها في أثناء تجواله في أوروبا



( ش ٢٧ ) : محمود باشا الفلكي

(٤) كتاب في التقويم العربية قبل الاسلام نشره سنة ١٨٥٨ م وهو من أجل كتبه بحث فيه عن يوم ولادة صاحب الشريعة الاسلامية فوصل الى نتيجة ما لها انه ولد في ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ للميلاد ودقق النظر في حال التقويم قبل الاسلام فحكم بانهم كانوا يعملون بالحساب القمري الصرف. وبحث فيه ايضاً عن عمر النبي عند وفاته فبلغ ستين سنة شمسية



## محمود باشا الفلكي

### العالم الرياضي الفلكي المصري

ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ

وُلد رحمه الله في بلدة اسمها الحصنة في مديرية الغربية سنة ١٢٢٠ هـ ولم يكد يتزعرع حتى توفي والده فاحتضنه أخوه وكانت النجاة تجلّ في وجهه منذ صباه فادخله أخوه في مدرسة الاسكندرية سنة ١٢٤٠ هـ فاقبل على الدرس والمطالعة واكب على اكتساب العلم بهمة ونشاط فلم تمض عليه بضعة سنوات حتى نال رتبة بلوك امين فانتقل من هذه المدرسة الى غيرها من المدارس الاميرية المصرية وكان حينها حلّ اشتهر بالنباهة والذكاء وخصوصاً في الفنون الرياضية فلما اتم دروسه عينته الحكومة استاذاً للعلوم الرياضية والفلكية في مدرسة المهندسخانة وكانت اذ ذاك برئاسة لامير بك فترقى فيها الى رتبة صاغة وول اغامي انعم بها عليه المغفور له محمد علي باشا الكبير سنة ١٢٦٢ هـ ولا يخفى ما كان للرتب من المنزلة اذ ذاك فكانت الحكومة لا تنعم على احد برتبة ما لم يأت عملاً عظيماً يمتاز به عن أقرانه أو يقوم بخدمة ذات بال . فحصل صاحب الترجمة على هذه الرتبة دليل على علو همته ورفع منزلته . على انها كانت داعياً الى تنشيطه فاكب على التبحر في العلوم فاخترته الحكومة المصرية سنة ١٨٥١ م وبعثت به الى أوروبا لاتمام علومه الرياضية والفلكية فتأثر على ذلك تسع سنوات متوالية لازم في اثنتائها مرصد باريس وكان لا يترك فرصة لا يستفيد بها شيئاً حتى آن الامتحان فقدمه وحاز به قصب السبق فقال الشهادات وعاد ظافراً منصوراً في عهد المغفور له سعيد باشا فانعم عليه برتبة أمير آلاي وكلفه رسم خريطة للديار المصرية فأخذ في مباشرة هذا العمل وهو أول من باشره من المصريين فرسم خريطة الوجه البحري رسماً مدققاً يدل على طول باعه ومهارته في التخطيط والهندسة وهي خريطة مشهورة باسمه يرجعون اليها عند التدقيق ولعلها أول مؤلف وضعه ثم أردفه بمؤلفات أخرى بين رسائل وكتب بعضها في العربية وبعضها في الفرنسية وهاك اسماءها ومواضيعها

(١) الخريطة المتقدم ذكرها وقد اشرنا الى ما نالته من المنزلة الرفيعة

(٢) رسالة في التقويم الاسرائيلية الاسلامية نشرها سنة ١٨٥٥ م بعد ان قدمها

لمجمع العلوم في البلجيك وخلاصة موضوعها تعيين زمن ابتداء تاريخ اليهود وهو عندهم في ٧ تشرين أول سنة ٣٧٦١ قبل الميلاد . ويريدون به اليوم الذي تمت الخليفة فيه .

٢٨ يوماً أو ٦٣ سنة قرية و ٣ أيام . وارتأى ان العرب في جاهليتهم لم يكونوا يعرفون الساعات التي ينقسم اليها اليوم وهو رأي كوسين دي برسفال المؤرخ الفرنسي ساوي وشوسن

(٥) رسالة في الكسوف الكلي الذي ظهر بدتقلا في ١٨ يوليو سنة ١٨٦٠

وشاهده هو بنفسه هناك وكانت تلك الرسالة داعياً الى اشتهاه بين علماء الفلك

(٦) رسالة في الاسكندرية القديمة وصف بها تلك المدينة في اقدم ازمائها

مستشهداً بما اكتشفه هو من شوارعها ومراسيحها وابنتها وارفق الكتاب بخارطة أوضح بها ذلك

(٨) رسالة في الايضاح عن أعمار الاهرام بحث فيها بحثاً دقيقاً فتبين له الغرض

الاصلي من بنائها مطابقاً للشعري . ومن رأيه ان الاهرام انما بنيت لغرض فلكي قال مختار باشا المصري « وعلى ذكر هذه الرسالة يجدرني ايراد عبارة هي في حد ذاتها صادرة عن أفكار شخصية فقد كنت موجوداً مع المرحوم عند شروعه في أخذ مقاييس الاهرام وموقعها من التناسب الفلكي واعلم علم اليقين بانه وصل للاطلاع على الغرض من تشييدها اذ وجد تحكيكها في رسم يقابل بالضبط كوكب الشعري عند طلوعه فكان الأمر بينها أراد ان يجمعها مزولة يعرف بها يوم شم نسم العلماء ولاجل تعريض جنث المدفونين فيها لوافاة صعود الكوكب المذكور فيسبغ عليه من آياته رحمة وغفراناً اذ ليس يخاف ان كوكب الشعري كان عند الاقدمين وخصوصاً المصريين من أجل المعبودات حتى عبر عنه بعضهم بالالهة »

(٨) رسالة في التنبؤ عن ارتفاع النيل قبل ارتفاعه

(٩) بحث في ضرورة انشاء مرصد لمراقبة الحوادث الجوية في مصر

(١٠) رسالة في مقياس مصر ومكيالها وميزانها ومقابلة ذلك بالاقيسة الفرنسية

(١١) رسالة في مشابهة (كان) الناقصة بالفعل الفرنسي (Avoir)

(١٢) رسالة في توحيد وازين العملة في القطر المصري باشر كتابتها والموت

حال بينه وبين انعامها

وتقلد محمود باشا الفلكي رحمه الله مناصب ذات شأن لا يتقلدها الا نخبة أهل

الفضل . منها انه ناب عن الحكومة المصرية في الجمع الجغرافي بباريس سنة ١٨٧٥

وفي البندقية سنة ١٨٨١ وتقلب في مناصب الحكومة حتى بلغ مسند الوزارة فهدت

اليه نظارة الاشغال العمومية . ولكن الحوادث العارضة التي داهمت هذا القطر سنة

١٨٨٢ لم تمكنه من ادارة شؤونها طويلاً . ثم عهدت اليه نظارة المعارف العمومية فلم

شعبها ونظمها ورتب كثيراً من أقسامها فزهت المعارف على عهده واضاءت البلاد بها . وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الخديوية مدة . وخلاصة القول انه كان همماً حازماً محباً لوطنه قضى سني حياته عاملاً في خدمته مجاهداً في سبيل نشر المعارف بين ابنائه حتى توفاه الله فجأة سنة ١٣٠٣ هـ وهو محاط بالكتب والاوراق أسفاً على مؤلفات كان في عزمه اتمامها فحال المنون يذنه وبينها . فشقت وفاته على أهل الوطن المصري فابنه العلماء ورثاه الكتاب والشعراء بما دل على تقديرهم فضله حق قدره

وفي سنة ١٨٥٠ تعين المترجم باشكاتباً لحزينة طرابلس وفي السنة التالية نقل الى بيروت للكتابة في مجلس ادارة ولاية صيدا . وفي اثناء ذلك انفذت الدولة العلية امين افندي أحد كبار مأموريها لمساحة جبل لبنان وعينت المترجم سكرتيراً له . وفي سنة ١٨٥٢ تولى باشكاتبية كرك بيروت وطال مكثه في هذا المنصب لما اظهره فيه من النشاط واللياقة . وفي سنة ١٨٦٣ توجه الى طرابلس بجمية قبولي باشا ثم عاد معه الى بيروت . فرأى في السنة التالية ان محته لا تساعد على تولى المناصب الشاقة فاستقال من الخدمة وعاد الى مسقط رأسه لترويح النفس فعيّنه هناك ترجماناً لقنصلية



ش ٢٨ : نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي

المانيا ثم لقنصلية اميركا معاً وانقطع عن سائر الاشغال ووجه التفاته الى عقاره وأمواله وشغل ساعات الفراغ في المطالعة والتأليف والبحث والتنقيب ف قضى في ذلك نيافاً وعشرين سنة حتى توفاه الله سنة ١٨٨٧ عن زروة تركها لارملته فأسف عليه كل من طالع كتاباته ( علمه وفضله ومؤلفاته ) كان صاحب الترجمة من محبي المطالعة واكثر ما يقرأه في اللغتين العربية والتركية فجمع مكتبة نفيسة فيها مئات من المجلدات في العلم والادب والتاريخ والفكاهة بين مطبوع ومخطوط . فلما دنا اجله وقفها للمدرسة السككية الاميركية

## نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي

ولد سنة ١٨١٢ وتوفي سنة ١٨٨٧

(تاريخ حياته) هو احد رجال النهضة العربية الاخيره وُلد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ وكان والده نعمة الله نوفل من أصحاب المناصب الذين يشار اليهم بالبنان . على ان آل نوفل بوجه الاجمال قوم معروفون بالوجاهة والاخلاص للدولة العلية وقد تولوا خدمتها زهاء ثلاثة قرون تقاربوا في اثنائها في مناصب متنوعة

فمن والده بتثقيفه جرياً على مثال أعضاء أسرته فأدخله بعض المدارس الابتدائية في مدينة طرابلس فاكتمل مبادئ القراءة والكتابة في اللغة العربية وتناول بعض الشيء من والده وخصوصاً الانشاء والخط فبرع فيهما . وفي سنة ١٨٢٠ قضت الاحوال بسفر والده الى الديار المصرية على عهد المغفور له محمد علي باشا وكانت له عليه دالة لما تولاه من الانشاء في ديوانه . وكان العلم الى ذلك العهد قاصراً في سوريا ومصر على العلوم العربية والتركية ويندر من يتعلم الفرنسية أو الإيطالية وكان محمد علي باشا قد انشأ المدارس لتعليم تبنك اللغتين فدخل نوفل بعضها فنبغ فيهما حتى عني ولاية الامر بتعيينه معاوناً لايه في قلم التحريات بالديوان الخاص

وفي سنة ١٨٢٨ عاد الى سوريا مأموراً لحاسبة لواء طرابلس وقضاء اللاذقية ظل في هذا المنصب سبع سنين تزوج في اثنائها بالمرحومة انجلينا كريمة المرحوم حنا غريب . وهو في أوائل افراحه نكبه الزمان بمصيبة نفست عيشه وذلك ان المغفور له ابراهيم باشا دخل سوريا كما هو معلوم سنة ١٨٣٠ فقضى فيها عشر سنوات بين مدافع ومهاجم لم تخل البلاد في اثنائها من ثورة في بلد أو جبل . وكان ابراهيم باشا قائداً مشهوراً لا حاجة بنا الى تعداد مناقبه . ولكنه كان صارماً سريع الانتقام — ذلك ما أوقع هيئته في قلوب السوريين فباتوا يخافون اسمه ولا تزال ايام ابراهيم باشا مثلاً يضربونه بالعدل والصرامة . فنقل اليه بعض الناس وشاية بنعمة الله نوفل والد المترجم فأمر باعدامه . ثم عاد ابراهيم الى طرابلس وقد تقدم اليه بعضهم ان يتفحص ما بلغه عن المقتول فبحث فتحقق براءة الرجل وان الامر كان وشاية فاستقدم صاحب الترجمة وكان معتزلاً في منزله حزناً فقدم فاكرمه ودفع اليه مالا كثيراً وخلع عليه خدماً سنية وأرسل بعض رجال معيته ليعزي والدته ويعدها بالانتقام من الواشين جبراً لقلبها الكسير وقد فعل

في بيروت خدمة لتلاميذها ولا تزال تذكراً له على مر الايام . ولم يكن يقتصر في المطالعة على تمضية ساعات الفراغ ولكنه كان يجني ثمار ما يطالع فيكتب المقالات والرسائل والكتب في مواضيع معظمها جديد لم يسبقه أحد الى مثله في العربية . فن مقالاته ورسائله ما نشر في مجلة الجنان ومنها ما نشر في لسان الحال وغيرها . اما الكتب المطبوعة على حدة فبعضها ترجمة عن التركية والبعض الآخر ألفه تالياً . فالكتب المترجمة منها كتاب قوانين المجالس البلدية التي قررها مجلس المبعوثان . وكتاب في أصل ومعتقدات الامة الشركسية . وكتاب دستور الدولة العلية وهو جزآن كافاته الدولة على ترجمته بثلاثمائة ليرة عثمانية . وكتاب حقوق الامم وغيرها . وكلها كما ترى في مواضيع جدية تحتاج الى علم وتضلح في اللغتين العربية والتركية

أما مؤلفاته فانها أوضح دلالة على علمه وفضله لانها بما لم يذسج على منواله في العربية وقد يعجب الذي يطلع عليها لصدورها عن مؤلف لا يعرف شيئاً من اللغات الا فرنجية كما صرح هو في مقدمة بعضها

ومن مؤلفاته (١) ( زبدة الصحائف في اصول المعارف ) طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وفيه ابحاث في تاريخ العلوم عند الامم المتقدمة قديماً وحديثاً . فقد صدره بتاريخ الفلسفة عند الكلدان والفيثقيين والفرس والهند والصينيين والمصريين واليونان مع تفصيل فرق الفلاسفة عندهم وتسلسل آرائهم الى ان وصلت الفلسفة الى العرب ومن جاء بعدهم . ويلى ذلك فصول في اصول العلوم وتواريخها كالمناطق واللغة ويتفرع عن ذلك الكلام في تواريخ اللغات فعلوم النحو والصرف والبيان والشعر ثم اصول العلوم الرياضية والفلك فالتطبيعات فالطب وفروعه فالتاريخ فالجغرافية وسائر العلوم الحديثة كالجيولوجيا والكيميا والمعادن والنبات وغيرها وكلامه في كل ذلك تاريخي فلسفي تلذ مطالعته

(٢) ( زبدة الصحائف في سياحة المعارف ) واسمه يدل على موضوعه فهو يبحث في كيفية تنقل العلم والفلسفة في الارض من أقدم الازمان الى الآن عند كل مملكة وكل دولة ويعد هذا الكتاب تمة للكتاب السابق مع انه اكبر منه

(٣) ( سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان ) وفيه فصول ضافية في اصول اديان الناس من الوثنية والمجوسية الى الاديان الالهية وتفصيل ذلك خصوصاً في الديانات الثلاث المشهورة مع ما حدث من الفرق النصرانية والاسلامية والاسرائيلية على أسلوب سهل لذيذ

(٤) ( صناجة الطرب في تقدمات العرب ) وهو كتاب عظيم الفائدة يدل على

سعة اطلاع مؤلفه المرحوم في تاريخ العرب وآدابهم وأخلاقهم وعاداتهم فقد صدره بمقدمات جغرافية عن جزيرة العرب ثم بسط الكلام في أقسام العرب وتقاطيعهم وسجنهم وأوصافهم ثم في أديانهم ومعابدهم ومناسكهم ومساكنهم وملايسهم وما آكلهم ومخاطباتهم . ويلى ذلك الكلام في أخلاقهم وشجعانهم وفصاحتهم وخيولهم وأبلهم ثم جيوش العرب وأسلحتهم وحروبهم ودولهم . وأبحاث في وضع آداب اللغة العربية وأصول العلوم عند العرب علماً علماً وكيف نشأت عندهم أو وصلت إليهم . وفي ذيل الكتاب فذلك تاريخية عن دول العرب من خلفاء الراشدين الى أواخر بني العباس (٥) الرد على النضغرى قد طبع مؤخراً . وله مؤلفات أخرى لم تطبع

ويحكى انه حضر عرساً في مدينة دمياط كانت تصدح فيه الموسيقى فسأله احد الحاضرين عن لحن هل يعرفه فاطهر البعض الآخر استخفافاً به لانه لا يعرف الالخان فثارت في رأسه الحمية وعزم من تلك الساعة أن يدرس فن الموسيقى ففعل وتمكن منه حتى ألف فيه رسالة بديعة بعد أن اتقن الضرب على سائر آلاته وفي سنة ١٨٢٠ ظهر في دمياط وباء الطاعون فرجع ميخائيل الى دير القمر وهو لا يفتخر عن المطالعة وكان يطلع الجبر والمقابلة بنفسه

وبعد ذلك اتدبه الامير بشير الكبير ليكون مديراً عند امراء حاصبيا فاکرموا مثواه ووهبوه بقاعاً واسعة في جهات الحولة ونهر اللدان وقرية في قضاء القنيطرة وهذا يدلنا على مقدار ما كان من اعجابهم به وباعماله . ولكنه أصيب بمرض سنة ١٨٢٨



( ش ٢٩ ) : الدكتور ميخائيل مشاقة

فاضطرب لان يعود الى دير القمر للمعالجة فتعالج خمسة أشهر كان في أثنائها يلاحظ العلاج الذي كان يتناوله ويود لو انه يعرف صناعة الطب جرياً على طبيعته كما قدمنا . فخالسا نقه من مرضه عكف على مطالعة ما وصلت اليه يداه من الكتب الطبية حتى فهم اكثرها ولكنه عجز عن ادراك كثير من مصطلحاتها . وكان خاله المتقدم ذكره قد عاد الى دير القمر فافهمه اياها واستعان ايضاً بطبيب آخر ايطالي كان هناك



## الدكتور ميخائيل مشاقه

ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٨٨

هو من أفراد القرن التاسع عشر ونابعة من نوابغه ذكاء وفطنة وهمة وُلد في قرية رشميا من أعمال جبل لبنان من عائلة ذات نسب جليل يتصل بيوسف بتركي الذي هو جد جد صاحب الترجمة وأصله من كورفو ييلاد اليونان ولقب بمشاقه لاحترافه تجارة مشاة الحرير . وكان والده جرجس في بلاط الامير بشير الشهابي الكبير أمير جبل لبنان اذ ذاك ومن المقربين منه فنقل بيته الى دير القمر مركز الامارة ليكون قريباً من مكان عمله

وكان مخائيل نبياً ذكياً متوقد الذهن فتمكن من القراءة في مدة وجيزة وكان له ميل طبيعي الى الرياضيات فلحق الحساب البسيط عن أبيه ثم تعلم مسك الدفاتر

وكان على صغر سنه يجالس كبار القوم ويستفيد من احاديثهم فسمع من يهود دير القمر انهم يعرفون أوان الخسوف والكسوف قبل حدوثها قال الى استطلاع كيفية ذلك فلم يستطع فازداد قلقه . وكان يعتقد مثل اعتقاد اكثر أهل تلك الايام من ان علم الفلك ينبيء صاحبه بالغيب

وفي سنة ١٧١٤ قدم بطرس عنحوري خال صاحب الترجمة من دمياط الى دير القمر وكان بارعاً في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية . فانهز مخائيل تلك الفرصة وطلب الى خاله ان يدرسه علم الفلك فسرّ بطلبه وأخذ يدرسه باجتهاد فاكتسب منه جانباً كبيراً بمدة قصيرة فأحبه خاله محبة شديدة واعجب بذكائه وفطنته . وفي سنة ١٨١٧ ذهب مخائيل الى دمياط وتعين كاتباً في محل عمه هناك . وكان كبير النفس لا يقنع بأقل من الاستقلال فالبث زمناً حتى تعاطى التجارة بنفسه واكتسب ثروة صغيرة

واتفق انه طالع سنة ١٨١٨ كتاب سياحة الفيلسوف فولني وآراءه فوقع في حالة التردد من أمر الدين وصار ذلك شاغلاً لافكاره

ومن غريب أخلاقه وحيدها انه لم يكن يرى شيئاً أو يسمع به الا أحب استطلاع كنهه وكانت له ثقة تامة بقواه العقلية ولذلك كان يعتقد انه يقدر أن يتعلم كل ما يريد

وفي سنة ١٨٣١ جاء ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير بجنوده لافتتاح عكا وكان بينه وبين الامير بشير تحالف فجاء الامير لمناظرة في ذلك الحصار وقدم ميخائيل مشاققة برفقة الامير . ومن ثم انضم الى الجنود المصرية ورافقها الى دمشق وحاصر يطيب جرحاها والمصابين بالكوليرا ( الهواء الاصفر ) ثم رجع الى دير القمر وقد لحقه بسبب حروب ابراهيم باشا خسائر جسيمة مالية حتى اضطر للتطبيب بالاجرة وكان قبل ذلك يطيب مجاناً . ونزح الى دمشق واقام فيها واغتم وجود الدكتور كلوت بك الشهير هناك مع الحملة المصرية فطالع ما نقصه من الطب عليه فتمكن من تلك المهنة حتى ولته الحكومة رئاسة اطباء دمشق

ولم يكن يقنع بعلم دون آخر فلما تمكن من الطب طلبت نفسه شيئاً آخر فدرس المنطق وتوسع فيه وعند ما خرجت الجنود المصرية من سوريا تعين مترجماً للسير وود الذي ارسل قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق

وفي سنة ١٨٤٦ قدم الديار المصرية وواظب على ممارسة العماليات الجراحية في مدرسة قصر العيني حتى نال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور . ثم عاد الى دمشق وتحركت افكاره في أثناء ذلك حركة دينية فحمل يتردد بين الديانة المسيحية وما ذهب اليه فولتير حتى وقع على كتاب البيئة الجلية فاخذ يراجع فيه وفي غيره لعله يهتدي الى ما يريح ضميره من التردد . ثم أخذ يطالع كتباً جدلية بين طائفتي الكاثوليك والبروتستانت وجرى بينه وبين البطريرك مكسيموس مظلوم اذ ذاك مجادلات طويلة انتهت بانحيازهم الى طائفة البروتستانت وصار من اكبر المدافعين عنها وعن تعاليمها نكلاً وكتابة

وفي سنة ١٨٥٩ تعين فيس قنصل الولايات المتحدة الاميركية في دمشق وفي السنة التالية كانت الثورة المشهورة بل المذبحة المألومة في دمشق وغيرها من سوريا فاصاب الدكتور مشاققة جراحاً كثيرة ولولا مساعدة الامير عبد القادر الجزائري ما نجا من القتل . ولكنه تمكن بمساعدته من الالتجاء الى مكان طب في جراحه حتى شفي وبقي هذا الرجل عاملاً في الطب والسياسة والديانة والفقهاء والحساب وسائر انواع العلوم حتى كانت سنة ١٨٦٠ فاصيب بفالج بجانبه الايمن فانقطع عن اشغال القنصلية فاحيلت لولده نصيف بك

أما هو فلم ينفك عن العمل في بيته ولم يكن يخلو منزله من الزائرين على اختلاف الاجناس والطبقات لمشاهدته وتحقيق ما سمعوه عنه . وقد اتبع لنا الحظ زياراته سنة ١٨٨٣ في منزله بدمشق فاذا به رجل ذو هيئة ووقار يجلبه الشيب يلبس العمامة والحلية طويل القامة كبير الجثة لطيف الحديث واسع الاطلاع كثير الترحيب بزائريه كسائر

أهل دمشق . وقد اطلعنا على كثير مما كتبه ولم يطبعه من المؤلفات وفي جملة ذلك رسالة في الالحان الموسيقية العربية ومطول في الحساب والمعين على حساب الايام والاشهر والسنين مذيّل بمجداول لمدة مئة سنة تحتوي على مطابقة ايام الشهور العربية والرومية والقبطية والعبرانية والهجرية ومواقع كسوف الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها وغيرها

أما الكتب التي طبعت من مؤلفاته فأكثرها ديني جدلي وفي جملة كتبها كتاب سماه البرهان على ضعف الانسان جواباً لصديق له كان تابعاً لتعاليم فولتير . وقد طبعت مجلة المشرق رسالته في الصناعة الموسيقية . ومن مؤلفاته « الجواب على اقتراح الاحباب » وفيه ترجمة أمرته وحوادث أيامه قد طبع مؤخراً باسم « مشهد العيان » وكانت وفاته في السادس من شهر يوليو ( تموز ) سنة ١٨٨٨ في دمشق الشام وله من العمر تسع وثمانون سنة قضاها في العمل والاجتهاد وخدمة بني الانسان

## الشيخ عبد الهادي نجا اليباري

ولد سنة ١٢٣٦ وتوفي سنة ١٣٠٦ م

هو من أكبر علماء مصر في القرن التاسع عشر ومن أعظم كتّابهم ومؤلفيهم وكان له شأن كبير في النهضة العلمية الأخيرة في القطر المصري

وُلد في إيبار من أعمال الغربية بمصر السفلى سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) ولم يكد يتلقى مبادئ القراءة حتى مال بكليته الى الدرس والمطالعة فاحب والده ذلك الميل فيه فاخذ يلقنه العلم بنفسه فعلمه الادب وسائر علوم اللغة العربية قادرك منها في بضع سنين شيئاً كثيراً ثم جاور في الازهر مدة طويلة وقرأ على خيرة علمائه كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرها . ولم يطل الامد حتى ذاع ذكره بين الناس على اختلاف طبقاتهم وتحديث القوم بعلمه وفضله . فاستدعاه اسماعيل باشا الخديوي الاسبق وأثنى عليه وعهد اليه بتعليم انجاله خاصة ومن جملتهم توفيق باشا الخديوي السابق . وكان وهو في ذلك المنصب يتصدر للتدريس والاقراء في بيته وفي الجامع الازهر وأخذ عنه كثيرون من الذين اشتهروا بعدئذ بالعالم والفضل كالشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيوني وغيرها من أكبر علماء الازهر

ولما تولى المرحوم توفيق باشا اريكة الخديوية المصرية قرب به اليه وأحله محلاً رفيعاً وجعله امام المعية ومفتياً فبقي على تلك الرتبة حتى توفي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨) وكان رحمه الله طائر الشهرة قصده أهل عصره وكاتبه كثيرون من فضلائه . وله رسائل مدونة مع أكبر العلماء والشعراء كالشيخ احمد فارس والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ ابراهيم الاحدب وغيرهم وله مؤلفات كثيرة ربما زادت على أربعين مؤلفاً لم يطبع منها الا بعضها وأشهر ما طبع منها :

(١) سعود المطالع : وهو كتاب جمع فيه واحداً وأربعين فناً في شرح لغز باسم اسماعيل على نسق غريب . وجعله تحفة للخديوي اسماعيل باشا وطبع في بولاق سنة ١٢٨٣ هـ في مجلدين عدد صفحاتهما نحو سبعمائة صفحة

(٢) نفح الاكام في مثلثات الكلام : طبعت في مصر سنة ١٢٧٦ وهو تفسير الالفاظ التي تحتل ثلاثة معانٍ باختلاف حركاتها

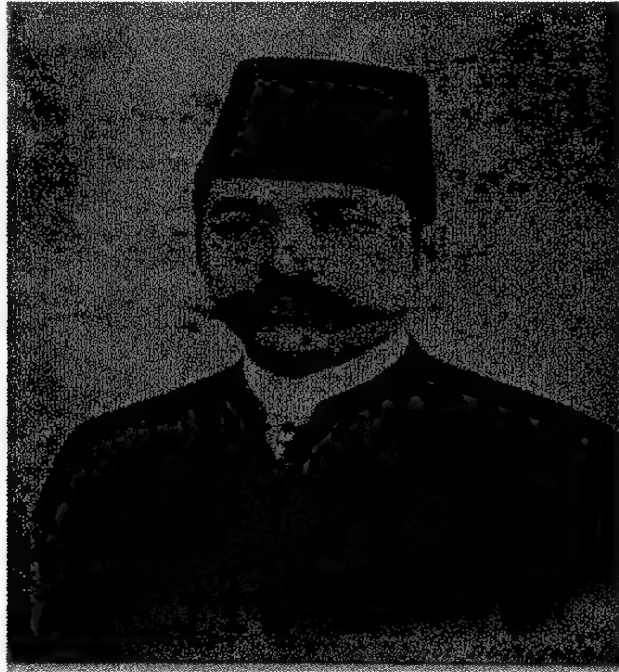
(٣) الوسائل الادبية في الرسائل الاحدية : هي مكاتبات في مواضع لغوية أدبية جرت بينه وبين المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب في بيروت

(٤) السكواكب الدرية في نظم الضوابط العلمية

- (٥) نيل الاماني في توضيح مقدمة القسطلاني
- (٦) الباب المفتوح لمعرفة أحوال الروح . تصوف  
ومن مؤلفاته المهمة التي لم تطبع
- (١) كتاب ترويح النفوس على حواشي القاموس
- (٢) القصر المبني على حواشي المغني
- (٣) صحيح المعاني في شرح منظومة البلياني
- (٤) الفواكه في الادب
- (٥) الدورق في اللغة
- (٦) النجم الثاقب في المحاكاة بين البرجيس والجوائب . وسبب وضعه انه كان  
بين صاحب الجوائب المطبوعة في الاستانة والبرجيس المطبوع في باريس مناظرة في  
المسائل اللغوية افضت الى المشاحنة والتنافر ودام الامر بينهما طويلا فكتب الشيخ  
عبد الهادي كتابه المشار اليه للفصل بينهما

انتكس داؤه وعز شفاؤه حتى توفاه الله في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٠ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره فبكاه الناس لعلمه وذكائه ولما كانوا يرجونه من أعماله وخدمته للعلم والادارة

على انه ترك آثاراً لا يزال أهل القطر ينتفعون بها الى اليوم فضلا عن انتفاعهم بما كان ينشره من نقات اقلامه في المقتطف وغيره وما كان يبثه بين ظهرائي قومه من روح النشاط والسعي في طلب العلم . ومن مؤلفاته كتاب التفاضل والتكامل بسط فيه قواعد هذا الفن بسطاً يقربه من افهام الطلبة . وله كتب في مبادئ الحساب والجبر



( ش ٣٠ ) : شفيق بك منصور

والهندسة والقوسموغرافيا اقترحت الحكومة المصرية عليه تأليفها لتدريسها في مدارسها فكانت عمدة هذه الدروس في كل مدارس مصر . ونقل كتاب رياض المختار وكتاب اصلاح التقويم من التركية الى العربية وكلاهما لصاحب الدولة مختار باشا الغازي . واشتغل في تطبيق الموسيقى العربية على العلامات الافرنجية والفر في ذلك رسالة مسهبة لم تنشر وله رسالة في الفرنسية طبقت فيها الجبر على بعض المسائل الفقهية واشتغل في شرح القانون المدني وغير ذلك

## شفيق بك منصور

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٩٠

هو من نوابغ الناشئة المصرية في القرن الماضي وُلد في القاهرة سنة ١٨٥٦ وأبوه منصور باشا يكن قربي في مهد العز والفخار وعني والده في تعليمه فأقام مدة في مدرسة النيل ثم في مدرسة العباسية ثم اتقن العربية والفرنساوية والتركية على أساتذة مخصوصين

وسافر سنة ١٨٦٩ الى باريس مع صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل<sup>(١)</sup> ثم الجناب العالي فلم يبق فيها الا قليلاً لانتساب الحرب بين الالمان والفرنساويين سنة ١٨٧٠ فعاد الى مصر ثم رجع منها الى سويسرا سنة ١٨٧١ واستقر هناك ست سنوات يشتغل في العلوم الرياضية وكان شديد الميل اليها ودرس العلوم الطبيعية فنال منها حظاً وافراً. واشتهر بين اقرانه بحل المسائل الرياضية المويضة ثم بما كان ينشره من هذا القبيل في مجلة المقتطف. ثم ذهب الى باريس فأقام فيها اربع سنوات قرأ في اثنتائها علم القوانين وحاز قصب السبق وأمتاز على اكثر معاصريه بما اختص به من قوة المعارضة وطلاقة اللسان ودقة النظر وسداد الرأي

فعاد الى مصر ومحبوها يتمنون لها أمثالاً ويودون ان يكون قدوة لشبانها. فلما تشككت لجنة تحقيق جنايات حريق الاسكندرية سنة ١٨٨٣ على اثر الحوادث العرابية اتدبته الحكومة المصرية وكيلاً للنائب العمومي فظهر من الاقتدار في المسائل القانونية وطهارة الذمة وقوة الحجة ما بهر كبار المحامين ودهاة رجال الثورة في أثناء دفاعه وشروحه ومطالبته ولم تمض برهة حتى تشككت المحاكم الاهلية فتعين قاضياً في محكمة الاستئناف ثم صار وكيلاً للنائب العمومي ورئيساً لنيابة محكمة الاستئناف وفي سنة ١٨٨٧ استقال من هذا المنصب بعد ان خدم خدماً ثمينة في تنظيم المحاكم وتحسين ادارتها فتعين سنة ١٨٨٨ مستشاراً في محكمة الاستئناف الاهلية. وفيما هو يعمل في منصبه ويطالع ويؤلف ويبحث ويحقق اصابته علة في عينيه حالت بينه وبين مطالعته فشخص في ربيع عام ١٨٩٠ الى أوروبا لمعالجتها على أن يعرج في أثناء عودته بالاستانة ويقترن بكرامة البرنس عبد الحليم باشا فأصابه وهو في أوروبا داء حار فيه شاركه وبشار وغيرهما من نخبة أطباء تلك القارة حتى قطعوا الامل من شفائه فاشاروا بعودته الى مصر. فعاد فحنت وطأة المرض بدون علاج حتى نال الشفاء لكنه ما لبث ان

خطته العلمية . ثم نقلت عليه وطأة البرد في الاستانة وهم بالرجوع الى بيروت فأسف وزير المعارف اذ ذاك على خسارته وماطله في قبول استعفائه على أمل استبقائه لما آنس من سعة علمه وعائنه من رواج الكتب التي صححها . ولكنه اصر على النزوح الى ربوع الشام فعاد اليها واقام في بيروت وأخذ ييث العلم بين طلبتها واكب على التأليف والتصنيف وكان اشتغاله غالباً في الفقه واللغة فالف كتاباً في الفقه سماه رائج الفرائض وشرح كتاب اطواق الذهب تأليف الزمخشري ونظم كثيراً من القصائد الرثائية طبع منها جانب كبير في ديوان يعرف باسمه

وكان على جانب عظيم من الرقة والدعة ولين الجانب وحسن المعاشرة يحب العلم والعلماء ويأخذ بنصرهم وكان شافعي المذهب سالكاً مسلك الاقدمين في حب العلم والرغبة في نشره ابتغاء الفائدة العامة . وكان لحسن عقيدته رغبة عن الدنيا زاهداً فيها



( ش ٣١ ) : الشيخ يوسف الاسير

ثابتاً في اتباع فروض الدين لا يستكف من حمل حاجيات بيته الضرورية بنفسه وكان كثير الشغف بتلاوة القرآن الكريم أو سماعه كل يوم وكان ربع القامة معتدل الجسم أسمر اللون أسود الشعر كث اللحية صادق الوعد قوي الذاكرة اذا سئل اجاب في أي موضوع كان مع تقريب الموضوع من ذهن السامع ببسيط العبارة

توفي سنة ١٣٠٧ هـ وله من العمر سبع وسبعون سنة ودفن في مقبرة الباشورة بيروت وترك خمسة ذكور وبنيتين ولم يترك لهم شيئاً سوى الذكر الحسن وقد أسف أهل بيروت وسائر أهل الشام على فقدته لان جماعة كبيرة منهم اخذوا العلم عنه وما برح مرجعاً للفائدة علماً وعملاً حتى توفاه الله



## الشيخ يوسف الاسير

ولد سنة ١٢٣٠ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الحسيني الاسير وُلد في مدينة صيدا من أعمال سوريا سنة ١٢٣٠ هـ وربى في حجر والده وتلقى مبادئ العلوم فحَمَّ القرآن وهو في السابعة من عمره وكان أبوه تاجراً فلم يَلْهُم إلا التجارة بل عكف على العلم فدرس شيئاً على الشيخ أحمد الشرمبالي. وكان ميالاً منذ نعومة أظفاره إلى العلم فلما بلغ السابعة عشرة شَخَصَ إلى دمشق ومكث في مدرستها المرادية نحو سنة فاخذ شيئاً من العلم عن علمائها. ثم بلغه خبر وفاة والده فعاد إلى صيدا ودبر أحوال أخوته ومهد لهم سبيل المعيشة ونظراً لتعلقه بالعلم لم تطب له الإقامة في صيدا فشَخَصَ إلى الديار المصرية وأقام في الجامع الأزهر سبع سنين يتبحر في العلوم وفيه اذ ذاك جماعة من فطاحل العلماء كالشيخ حسن القويسني والشيخ محمد الدمنهوري والشيخ محمد الطندتاوي والشيخ محمد الشبيني وغيرهم فنبغ في جميع العلوم العقلية والنقلية كاللغة والفقه والحديث والتفسير وصار اماماً يرجع بها إليه حتى أعجب به أساتذته فكتب إليه الشيخ محمد الطندتاوي ( وكان اذ ذاك في بطرسبورج ) قصيدة يمدحه فيها ويثني على علمه وفضله . وكان في اثناء اقامته بمصر يجالس اكابر علمائها وكثيراً ما كان يحضر الامتحانات العمومية التي كانت تجري بحضور عزيز مصر اذ ذاك في المدارس العمومية فيقترح اكثر المسائل على التلاميذ باشارة مشائخه

ثم اعتراه مرض الكبد فعاد إلى صيدا ولكنه لم يرتح إلى الإقامة فيها اذ لم يجد فيها مجالاً لنشر فضله فسافر إلى طرابلس الشام فلاقى من علمائها ووجهائها حسن الوفادة والرعاية ف قضى بينهم ثلاث سنوات لم يخل مقامه يوماً من جماعة منهم وأخذ عنه العلم كثير من افاضهم . وأخيراً اختار الإقامة في بيروت لجودة هوائها فهرعت إليه الطلبة وكثر مريدوه وتولى في أثناء ذلك رئاسة كتابة محكمة بيروت الشرعية في ايام قاضيا مصطفى عاشر اقندي . ثم تولى الفتوى في مدينة عكا ثم تعين مدعياً عمومياً في جبل لبنان على عهد متصرفه داود باشا . ثم انتقل إلى الاستانة العلية وتولى رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف وتعين في الوقت نفسه استاذاً للغة العربية في دار المعلمين الكبرى ونال في أثناء اقامته بالاستانة مقاماً رفيعاً بين رجال الاستانة وعرضوا عليه منصباً من المناصب الرفيعة براتب جزيل على وعد الترقى فإبى رغبة في مواصلة

## الشيخ ابراهيم الاحدب

ولد سنة ١٢٤٢ هـ وتوفي سنة ١٣٠٨ هـ

هو من علماء بيروت في القرن الماضي وُلد في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ للهجرة تلقى مبادئ العلم فيها وقرأ القرآن على الشيخ عرابي والشيخ عبد الغني الرقاعي . فتعلم التفسير والحديث والاصول والكلام واللغة والفرائض والنحو وسائر علوم اللغة . وفي سنة ١٢٦٤ هـ عكف على التدريس فنبغ من تلامذته جماعة من الافاضل في طرابلس وكان ذا قريحة شعرية مع سرعة الخاطر حتى بلغ ما نظمهُ نحو ثمانين ألف بيت وندر من بلغ هذا القدر من النظم

وزار الاستانة على عهد السلطان عبدالعزيز ثم جاء القطر المصري واجتمع باجل علمائه فرحبوا به وفي جملتهم الشيخ عبد الهادي نجبا الاياري وفي « الوسائل الادبية في الرسائل الاحدية » خلاصة ما دار بينهما من المراسلة الادبية

واشتهر صاحب الترجمة ببراعته في الفقه الحنفي وكانت محاكم جبل لبنان تعتمد على فتاويه وتحكم بمقتضاها وكاتب العلماء والادباء في انحاء العالم العربي وامتدح الامراء والوزراء وخصوصاً المرحوم الامير عبد القادر الجزائري الشهير في دمشق . ومدح المرحوم محمد صادق باشا باي تونس فاجازه . وفي سنة ١٢٦٨ هـ استدعاه سعيد بك جنبلات حاكم مقاطعة الشوف حينئذ واتخذهُ مستشاراً في الاحكام الشرعية والامور العقلية . وفي سنة ١٢٧٦ استقدم الى بيروت وعين نائباً في المحكمة الشرعية . وعند اجراء تنسيقات النواب جعل رئيساً لكتاب المحكمة المذكورة وظل في هذا المنصب ما ينيف على ثلاثين سنة تولى في اثنتائها تحرير ثمرات الفنون وله فيها مقامات ورسائل ادية وفصول حكيمية . ولما تشكلت ولاية بيروت انتخب عضواً في مجلس المعارف مع اشتغاله في التدريس والتأليف ونقل الكتب حتى قيل انه نقل الف كتاب بخطه

ومن آثاره (١) « ديوان شعر » نظمهُ في صباه ورتبه على ثمانية فصول

(٢) ديوان « النفع المسكي في الشعر البيروتي » نظمهُ ١٢٨٣ في بيروت

(٣) ديوان آخر نظمهُ بعده

(٤) مقامات تبلغ ثمانين مقامة أملاها على لسان ابي عمر الدمشقي واسند رواياتها

الى ابي الحاسن الطرابلسي على نحو مقامات الحريري

(٥) فرائد الاطواق في أجياد محاسن الاخلاق . تحتوي على مائة مقالة نثراً

ونظماً على مثال مقامات الزمخشري

(٦) فرائد اللآل في مجمع الامثال : نظم فيه الامثال التي جمعها الميداني في نحو ستة آلاف بيت . وقد شرح هذا الكتاب في مجلدين وجعله خدمة لجلالة السلطان . وعني ولده بطبع هذا الكتاب بعد موته فجاء كتاباً ضخماً صفحاته تسعمائة صفحة كبيرة مطبوعة طبعاً جميلاً تلونت به الامثال باللون الاحمر لتظهر وحدها دون سائر النظم والشروح

(٧) تفصيل الأولو والمرجان في فصول الحكم والبيان فيه ٢٥٠ فصلاً في الحكم والآداب

(٨) نشوة الصبياء في صناعة الانشاء

(٩) منظومة اللآل في الحكم والامثال

(١٠) كتاب ابداع الابداء لفتح ابواب البناء في التصريف

(١١) كشف الارب في سر الادب وهما مطبوعان في بيروت

(١٢) مذهب التهذيب في علم المنطق نظماً

(١٣) ذيل ثمرات الاوراق طبع بهامش المستطرف وغيره

(١٤) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان الف هذا الشرح في

اواخر ايامه وطبع بنفقة الابهاء اليسوعيين . وله كتب اخرى ورسائل ومنظومات

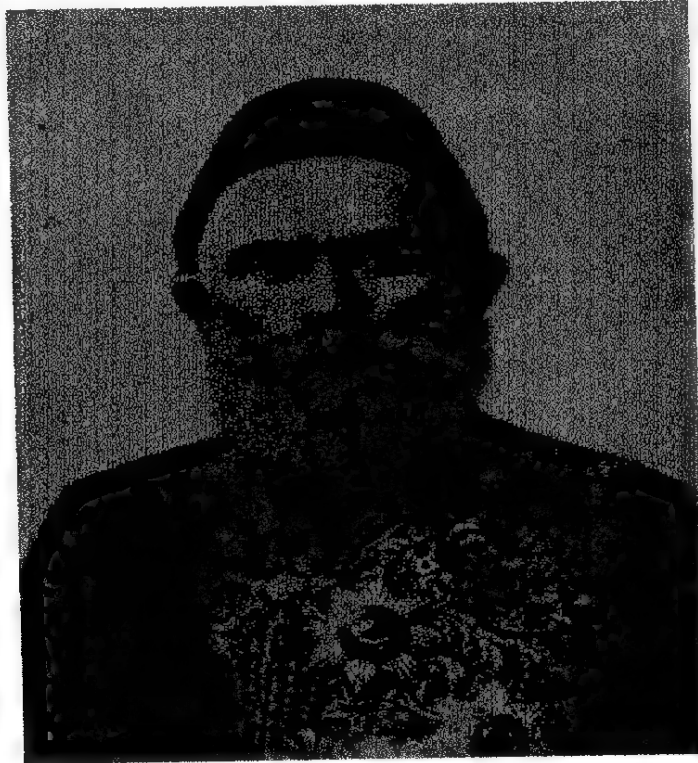
كثيرة . وما زال عاملاً في التأليف والتدريس حتى توفاه الله في بيروت سنة ١٣٠٨ هـ

وكان رحمه الله طويل القامة معتدل الجسم ابيض اللون جميل الصورة . وكان

حسن المجالسة لين الجانب بشوش الوجه واسع الاطلاع في الفقه واللغة وقد وعى

كثيراً من أشعار المتقدمين وأقوالهم وآدابهم ونواذرهم

التنظيمات واحالته الى مجلس الاحكام العدلية  
وانفق اذ ذاك وقوع اختلال في جهات اشفودره افضى الى تشويش الازهان  
فاتدب صاحب الترجمة ان يسير اليها بمهمة خصوصية لاصلاح احوالها عسكرياً وملكياً  
فسار اليها واصلاح شؤونها ورتب احكامها بمدة بسيرة وعاد  
وفي آخر سنة ١٢٧٩ هـ عين مفتشاً في البوسنة والهرسك وقبل سفره وجهت اليه  
باية قاضي عسكر الاناطول وأحسن اليه بالنيشان المجيدي من الرتبة الاولى وكانت  
ولاية البوسنة والهرسك الى ذلك الحين خلواً من التنظيمات العسكرية بنوع استثنائي



(ش ٣٢) : احمد جودت باشا

قادخل اليها التنظيمات ورتب احكامها فقال رضى الباب العالي بنوع خاص قانم عليه  
بالنيشان العثماني من الرتبة الثانية ولم يحز هذا النيشان احد من العلماء قبله واهدي اليه  
بتدقية من الطرز الذي فرقه في الجذر بالبوسنة والهرسك وقد نقش عليها ما معناه  
« تذكرة افتخار من السر عسكرية الى حضرة جودت افندي من أجل المهمة التي  
بذلها في تدريب شجعان بوسنه على الخدمة العسكرية »

## احمد جودت باشا

## الوزير العالم التركي

ولد سنة ١٢٣٨ هـ وتوفي سنة ١٣١٢ هـ

هو الوزير احمد جودت باشا بن الحاج اسماعيل آغا بن الحاج علي افندي بن احمد آغا بن اسماعيل افندي مفتي مدينة لوفجة المشهور ابن احمد آغا أحد ضباط الحملة العثمانية التي ظهرت على بطرس الكبير امبراطور الروس في الحرب المعروفة بحرب بروت

وُلد في مدينة لوفجة التابعة لولاية الطونة سنة ١٢٣٨ هـ وكان والده من أعيان لوفجة وعضواً من أعضاء مجلسها فرقي احمد في حجر والديه وتهذب على يديهما وتلقى مبادئ العلوم البسيطة في وطنه وقد ظهرت عليه مخاتل النجابة منذ نعومة أظفاره فلما شبّ قدم الاستانة العلمية سنة ١٢٥٥ هـ في أواخر ايام المغفور له السلطان محمود الثاني المصلح الشهير . فاقام فيها يتلقى العلوم والاداب على أحسن علمائها فائقن الفقه وأصوله والحديث والتفسير وعلم الكلام والمنطق والفلسفة على أنواعها والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ واللسان الفارسي وابقن اللسان التركي والعربي حتى نظم الشعر فيها جميعاً . وفي سنة ١٢٦٠ عكف على درس القضاء فقال قصب السبق على اقرانه فاحرز في السنة التالية رتبة ينالها السابقون في هذا المضمار يقال لها ( رتبة رؤوس تدريس ) وأخذ في التأليف فذاع صيته فعيّنه الحكومة السنية عضواً في مجلس المعارف العمومة سنة ١٢٦٦ وفي تلك السنة أنعم عليه بالنيشان المرصع من الرتبة الثانية . وفي السنة التالية عين عضواً في المجمع العلمي العثماني ( الاكاديمية ) وفي سنة ١٢٧١ تقلد كتابة وقائع البلاد وفي السنة التالية عين قاضياً لفلطة أحد اقسام الاستانة الثلاثة وكان كلما تقلد منصباً قام بمهامه حق القيام فانهاات عليه الرتب والمناصب والنياشين فقال سنة ١٢٧٣ باية ولاية مكة المكرمة والنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة وتعين عضواً في مجلس التنظيمات ورئيساً للقومسيون المنعقد اذ ذاك لترتيب القوانين والنظامات المتعلقة بالاراضي وكان في جملة أعضاء هذا القومسيون وقتئذ محمد رشدي افندي شوراني الذي صار بعدئذ والياً على سوريا ثم ناظراً للمالية ثم صدوراً أعظم وفي سنة ١٢٧٥ هـ سار الصدر الأعظم محمد باشا القبرصي الى الروم ايلي للتفتيش فساد صاحب الترجمة بعينه . وفي سنة ١٢٧٧ وجهت اليه باية استانبول والنيشان المجيدي من الرتبة الثانية وفي السنة التالية عين عضواً في مجلس الاحكام المدنية على أثر الغاء مجلس

وفي سنة ١٢٨١ هـ أرسل في الفرقة الاصلاحية التي سارت لاصلاح ما اختل من شؤون جبال القوازق وكانت تلك الفرقة تحت قيادة دروبش باشا مشير المعسكر الهمايوني الرابع فاصحاحا الاحوال وضبطا أمور تلك الجبال فلما عادا سنة ١٢٨٢ انعمت الحضرة الشاهانية على صاحب الترجمة بعابة مرصعة اشارة الى نيته رضاها لما بذله من المهمة والاقدام في اصلاح شؤون القوازق . ثم عين عضواً في المجلس العالي وبعد قليل وجهت اليه رتبة الوزارة السامية ثم ضمت ايلات حلب واطنه والوية القوزاق ومرعش واورفه الى ولاية واحدة قصبتها مدينة حلب عهدت حكومتها اليه فقدمها واستلم زمام الاحكام بهمة ونشاط نحو سنتين حتى اذا كان انقسام مجلس الاحكام العدلية العالي سنة ١٢٨٤ الى قسمين وتشكلت منه هيئتان عرفتا بمجلس شورى الدولة وديوان الاحكام العدلية ولي هو رئاسة ديوان الاحكام العدلية ثم تحولت هذه الرئاسة الى نظارة الديوان ثم الى نظارة العدلية وتشكلت تحت رئاسته لجنة علمية لتأليف كتاب في الفتاوى على مذهب أبي حنيفة فألفه وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وعليه المعمول في سائر المحاكم الشرعية النظامية

وفي سنة ١٢٨٨ عين عضواً في مجلس شورى الدولة وفي السنة التالية عهدت اليه ولاية مرعش ولم يلبث بها الا قليلاً ثم استقدم لتولي نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٠ عين ناظراً للمعارف العمومية وفي السنة التالية انخرقت صحة كامل باشا رئيس مجلس شورى الدولة فعين هو نائباً عنه واحيلت اليه ايضاً ولاية يانيه وفي سنة ١٢٩٢ أعيدت اليه نظارة المعارف العمومية . وفي أواخر هذه السنة عهدت اليه نظارة العدلية ثم اقتضت الاحوال ان يتولى تفتيش الروم ايلي مع بقائه على العدلية وفي تلك السنة سمي والياً على سوريا وقبل ان يأتيها أعيد الى نظارة المعارف العمومية وبعد أشهر رجعت اليه نظارة العدلية

وفي سنة ١٢٩٤ تقلد نظارة الداخلية وعهد اليه ان يرتب جنداً من سكان الاستانة باسم الموكب الهمايوني . وفي أواخر تلك السنة نقل من نظارة الداخلية الى نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٥ تعين والياً على سوريا ولسكنه لم يقم فيها طويلاً بسبب اختلال ظهر في قوزان اقتضى مسيره الى اصلاحه وفيما هو طائد منها فصل عن سوريا وتعين ناظراً للتجارة والزراعة في دار السعادة

وفي سنة ١٢٩٦ استعفى خير الدين باشا من مسند الصدارة فقام هو بمهامها مؤقتاً ثم عهدت اليه نظارة العدلية . وفي سنة ١٣٠٠ تغير الوكلاء جميعاً فاعتزل الاعمال واكب على المطالعة والتأليف وفي سنة ١٣٠٣ تعين مأموراً لتفسيرية الروم ايلي الشرقي

ولكنه تأخر عن السفر بسبب تكدير جو السياسة اذ ذاك فعاد الى نظارة المدلية . وفي السنة التالية اتم عليه جلالة السلطان بنيشان الامتياز وفي أواخر سنة ١٣٠٥ انفصل عن نظارة المدلية وبقي من أعضاء مجلس الوكلاء الى ان توفاه الله في ٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وصدرت الارادة الشاهانية ان تنفق حاجيات التجهيز والدفن من الجيب الهايوني وقد دفن في تربة السلطان محمد الفاتح وله من العمر ٧٤ سنة قضاه في خدمة الدولة والامة علماً وعملاً

وكان عالماً فاضلاً اشتهر في كثير من العلوم وخصوصاً العلوم الاسلامية والتاريخ وكان يعرف اللغات التركية والفارسية والعربية معرفة جيدة تكلمها وكتابة مع الملم بالفرنساوية والبلغارية . وكان سهل الخلق كريم الخصال وديعاً متواضعاً واسع العلم عالي الهمة مخلصاً للدولة

( مؤلفاته ) أما مؤلفاته فمعددة في التركية والعربية بين مطبوع وغير مطبوع اشهرها واكبرها تاريخ آل عثمان المعروف بتاريخ جودت طبع بالتركية في تسعة مجلدات وهو جليل في بابه بل هو المرجع الوحيد لتاريخ الدولة العلية . وقد عني في نقله من اللسان التركي الى العربي عبد القادر اقدي الدنيا رئيس محكمة تجارة بيروت فنشر منه الجزء الاول سنة ١٣٠٧ مطبوعاً طبعاً متقناً في بيروت . ومن مؤلفاته رسائل عديدة في العربية وبعض التعاليفات طبعت مجموعة واحدة . وله تمة شرح ديوان صائب المشهور في الدواوين الفارسية . وكان قد شرع في شرحه فهم اقدي وتوفي قبل نجزه . وله ترجمة القسم الثالث من مقدمة ابن خلدون وهي منشورة باسمه والقسم الاولان ترجمهما صائب اقدي . وله بيان العنوان والمعلومات النافعة وتقديم الادوار وكلها رسائل مطبوعة بالتركية . وله في علم المنطق كتاب اسمه ( ميعاد سداد ) وفي علم الادب ( آداب سداد ) ومؤلفات في روايات الانبياء وتواريخ الخلفاء مع ترجمة التاريخ المقدس وقد طبعت وشاعت في المدارس للتدريس . وله رسالة في كيفية تربية التوت والدود وقانون نامه الاراضي والنظام المنفرع عنه مع قانون نامه الجزاء الهايوني وجميع المنظمات وتواريخ القوانين الصادرة من مجلس التنظيمات . وله كتاب في ترتيب وظائف المدلية وابتداء تشكيلها مع تنظيم مجلة الاحكام المدلية تحت رئاسته كما قدمنا . وله تعليمات مخصوصة في نظارة المعارف لتدريس الطلبة على أساليب سهلة جديدة وجميع ذلك باللغة العثمانية على ان بعضها قد ترجم الى اللغة العربية كتاريخ آل عثمان ومجلة الاحكام المدلية وغيرها

- (٦) مختصر في تبیین كيفية حساب التقويم وأوقات الصلاة  
 (٧) رسالة في الكلام على بلاد زبلع وهرر والجالا (بالفرنساوية)  
 (٨) رسالة في بلاد الجاديپورسي (بالفرنساوية)  
 (٩) رسالة في رأس هافون ووادي تهوم (بالفرنساوية)  
 (١٠) رسالة في الكلام على ابتداء الاشهر الهلالية في السنة الاسلامية  
 (بالفرنساوية)



( ش ٣٣ ) : محمد مختار باشا المصري

- (١١) رسالة في السودان الشرقي (بالفرنساوية)  
 (١٢) رسالة في تحديد أطوال المقاييس والمكاييل والاوزان المصرية ومقارنتها بالمقاييس الفرنسية والانكليزية ( طبعت بالعربية والفرنساوية )  
 (١٣) نبذة تتضمن اقامة البرهان على معرفة قدماء المصريين لحقيقة شكل الارض  
 (١٤) مقالة في تخطيط الفائين بإمكان استعمال ساعة عامة او ساعات محددة لجميع  
 أقطار الدنيا . وقد تليت هذه المقالة والتي قبلها على اعضاء المؤتمر العلمي في جنوة



## محمد مختار باشا المصري

ولد سنة ١٨٣٥ وتوفي سنة ١٨٩٧

( ترجمة حاله ) وُلد في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وقرأ مبادئ العلم في مدرسة عباس الاول وفي مدارس أخرى وتلقى الفنون العسكرية في مدرسة البوليتكنيك وانتظم في خدمة الجيش المصري وهو في الثانية والعشرين من عمره وما زال يرتقي في مناصب الجهادية حتى نال رتبة لواء سنة ١٨٨٦

وتولى عدة مناصب مهمة في انحاء السودان قبل ظهور المهدي . فلما فتحت الحكومة المصرية افليم هرر كان صاحب الترجمة اركان حرب الحملة التي سارت لذلك الفتح . ثم تعين رئيس عموم اركان حرب السودان ولما عقد مؤتمر جنوه العلمي انتدب لينوب فيه عن القطر المصري . ويدل ذلك على ثقة الحكومة الخديوية في أهليته وبعد خدمات متوالية في نظارة الحربية عينه الجباب الخديوي مأموراً للخاصة الخديوية وما زال في هذا المنصب حتى توفي وقد حاز النيشان العثماني الثاني والمجدي الثاني والملوكي الايطالي الثاني ومداية الامتياز الذهبية . وكان عاملاً نشيطاً ساهراً على مصالحته وواجباته . وأصيب في اواخر أعوامه بمرض ما زال يتردد عليه حتى قضى انفاسه الاخيرة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧

( مؤلفاته وآثاره ) لصاحب الترجمة عدة مؤلفات اكثرها رياضية فلسكية وهي :  
(١) التوفيقات الالهامية : وهو تقويم كبير لمقارنة السنين الهجرية بالسنين الاخرية والقبطية من السنة الاولى للهجرة الى عام ١٥٠٠ بعدها مرتبة في جداول سنوية . وقد جعل الاشهر في كل سنة منها متناسقة على ما يقارن اول كل شهر عربي . وبازاء كل شهر أهم الحوادث التاريخية التي وقعت فيه وخصوصاً الحوادث الاسلامية والمصرية بحيث يصح ان يكون هذا الكتاب تقويمياً حسابياً يومياً ومجماً تاريخياً لالف وخمسمائة سنة هجرية . وقد جعله مقدمة لسمو الخديوي عباس باشا الثاني

(٢) المجموعة الشافية في علم الجغرافية ومعها اطلس جغرافي

(٣) جداول تحويل المسطحات المترية الى ما يقابلها من الفدان والقيراط والسهم

يبدأ من جزء من مئة من السهم وينتهي الى الف فدان

(٤) ترجمة حال المرحوم محمود باشا الملكي

(٥) رسالة في سيرة الجنرال ستون الاميركاني وخدماته للحكومة المصرية

- (١٥) الطريقة العلمية لاستعمال المسطرة المصرية في قياس القواعد الجيوروزية
- (١٦) جدول لرسم خطوط الاطوال والعروض لاية طريقة جغرافية
- وللمترجم اختراع فلكي يهم المسلمين كثيراً وهو « دليل القبلة الاسلامية العام »
- وضمه بضبط وسعة لم يسبق لهما مثيل وهو آلة دقيقة عرضت على الجناب الخديوي وحازت قبوله
- وبالجملة ان صاحب الترجمة لم يكن يغفل يوماً عن التفكير في تأليف او اختراع .
- وأكثر ما وجه انتباهه اليه الرياضيات كما رأيت

## الشهاب الآلوسي

## العالم العراقي الشهير

ولد سنة ١٢١٧ هـ وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ (١)

هو السيد محمود افندي شهاب الدين ابو اثناء المفسر الشهير بالوسي زاده البغدادي مفتي الحنفية بالعراق ابن صلاح الدين السيد عبد الله افندي رئيس المدرسين في بغداد ومدرس المدرسة العظمى في جامع الامام الاعظم . ابن السيد محمود افندي الخطيب وينتهي نسبه الى الامام الحسين . وأما أمه فصالحة بنت الشيخ حسين افندي العشاري صاحب الديوان المعروف باسمه . وؤلف حاشية شرح الحضرمية في فقه الشافعية .  
وُلد في جانب الكرخ من بغداد في شبان سنة ١٢١٧ هـ وهو من بيت عريق في النسب ضليع في الادب ينسب الى آلوس وهي جزيرة وسط نهر الفرات على مراحل من بغداد فرّاً اليها أجداده من وجه هولاكو التري عندما دهم بغداد وقتك بأهلها

ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع ابناؤه الى بغداد ولبثوا فيها حتى الان . وكان صاحب الترجمة في صفره آية في الذكاء فقرأ العلوم على والده وغيره واستجاز علماء كثيرين كالشيخ علي البغدادي والشيخ علاء الدين الموصللي ومحدث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ومفتي بيروت الشيخ عبد اللطيف وشيخ الاسلام ومفتي الديار الرومية أحمد عارف بك واقف المكتبة العظمى في المدينة المنورة . وقرأ وهو شاب بعض الدروس في علم الكلام على الولي المشهور بمولانا خالد الكردي النقشبندي حينما ورد بغداد . ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى نبغ في عدة علوم ثم أخذ يشتغل بالتدريس والتأليف فتخرج عليه كثير من الفضلاء وقصده الطلبة من كل صقع وناد واستجازه الجلم الغفير من ذوي العلم والادب . وما لبث ان أصبح العلم المفرد وعلامة العراق فتولى المدرسة المرجانية وأوقفها وقد سنة ١٢٤٨ هـ منصب افتاء السادة الاحناف وظل وهو في ذلك المنصب الخطير يشتغل في التأليف وتدريس العلوم وقضاء الحاجات لا يضيع ساعة من وقته ولا يرضن بشيء مما انعم به الله عليه من العلم والجاه والمال . وسنة ١٢٦٢ هـ قصد الاستانة العلية في عهد السلطان عبد المجيد وعاد منها سنة ١٢٦٧ بالمنح السنوية وتفصيل رحلته ذهاباً واياباً مدون في سفرين

(١) اعتمدنا في تحقيق هذه الترجمة على سليمان افندي البستاني ناظم الاياداة العربية

دعاهما نشوة الشمول ونشوة المدام . وله تأليف وتصانيف كثيرة منها :  
 (١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني وهو أعظمها شأنًا  
 وأجلها قدرًا في تسعة أسفار كبار جمع فيه خلاصة ما في سائر التفسير وأزال المشكلات  
 يبراع يدل على ما كان له من غزارة المادة ورأسخ العلم وطول الباع في هذا الموضوع  
 وقد قال فيه أحد تلامذته

ان كان محمود جار الله قد جمعت له المعاني بتفسير وتبيان  
 فان محمودنا الحبر الشهاب له روح الداني وكان الفخر لثاني  
 وقد طبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠١ هـ على عهدة ولده متولي المدرسة المرجانية  
 الشيخ نعمان افندي خير الدين

(٢) الاجوبة العراقية وقد طبع في الاستانة  
 (٣) الطراز المذهب في شرح القصيدة المدوح بها الباز الاشهب : طبع

في مصر

(٤) شرح درة الفواص في اوهام الخواص : طبع في دمشق الشام  
 (٥) كتاب المقامات الخيالية : طبع في كربلاء  
 (٦) كتاب الاجوبة العراقية عن الاسئلة اللاهوتية : طبع في بغداد  
 (٧) نشوة الشمول ونشوة المدام : طبع في بغداد أيضاً  
 (٨) الفيض الوارد في الشيخ خالد : طبع في مصر  
 (٩) شرح القصيدة العينية في مدائح امير المؤمنين علي كرم الله وجهه : طبع

ايضاً في مصر

(١٠) نزهة الالباب : وهي الرحلة الكبرى الجامعة لتراجم الرجال والابحاث  
 العلمية التي جرت بينه وبين شيخ الاسلام

(١١) حاشية شرح الفطر لابن هشام : ألفها في شبابه  
 (١٢) حاشية على شرح ابن عصام في الاستعارة : ألفها في شبابه ايضاً  
 (١٣) حاشية على مير ابني الفتح في علم آداب البحث  
 (١٤) شرح البرهان في اطاعة السلطان  
 (١٥) سفرة الزاد لسفرة الجهاد

(١٦) حاشية على حاشية عبد الحكيم السيالكوتي : في علم المنطق

(١٧) رسالة في الامامة رداً على الشيعة

وله علاوة على ما ذكر رسائل وفتاوى وحواش وتعليقات كثيرة انتهت أيدي

الزمان كثيراً منها والباقي غير مطبوع . وتوفي في ٢٥ هـ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ ودفن قرب والده المتوفى بالطاعون سنة ١٢٤٨ عن عمن الذهاب الى الشيخ معروف الكرخي قريباً من باب مسجده في الشونيزية وقبره الان مشهور يزار

وكان رحمه الله ربيع القامة واسع العينين ضخيم السكراديس ريان الجسم غير سمين كثر اللحية ابيض اللون مشرباً بحمرة يخيل بوجهه اثر الجدرى كريماً مهيباً وقوراً وديماً محباً للفقراء . وكان مجلسه مجماً لأرباب الفضل والعلم . ومن قرأ رسائل علماء زمانه ووقف على دواوين فحول الشعراء كبدا الباقي الفاروقي والسيد عبد الغفار الاخرس ورأى انه بيت قصيدهم والامام الذي يرجع اليه علم ما كان له من علو المنزلة والشأن . وقد كتبت الاسفار المطولة في ترجمته منها كتاب « حديقة الورود في مدائح ابي التناء شهاب الدين السيد محمود » تأليف تلميذه الملا عبد الفتاح افندي المعروف بشواف زاده وهو كتاب كبير في نحو مجلدن وكتاب « أرجاء البد والعود في ترجمة مولانا العلامة شهاب الدين السيد محمود » لبعض تلاميذه أيضاً . وترجمة للسيد محمد ثابت الدين البغدادي

وله فضلاً عن تأليفه الكثيرة شعر لا نعلم انه جمع في ديوان واكثره في الورع والحكم والتصوف فمن ذلك قوله :

أنا مذهب أنا مجرمٌ أما خاطبي      هو غافر هو راحم هو عافي  
قابلتهن ثلاثة      بثلاثة      وستغلبن أوصافه أوصافي

وقد نظم شعراء عصره الفصائد الرنانة في وصفه وتعداد مناقبه . وفي جملة المعجبين به والناظمين في مدحه الشيخ عبد الباقي العمري والشيخ عبد الغفار الاخرس وغيرها من شعراء العراق

وقد نال من المغفور له السلطان عبد المجيد علامات شرف في جملتها الوسام المرصع الملي الشأن

## محمود حمزة الحسيني

العالم الدمشقي الشهير

ولد سنة ١٢٣٦ وتوفي سنة ١٣٠٥ هـ (١)

يتصل نسب السيد محمود حمزة الحسيني بمائلة من أقدم عائلات دمشق حسينية الانتساب أصلها من حران وهاجرت الى دمشق منذ قرون وتوالت رقابة الاشراف فيهم عدة أجيال حتى عرفوا ببیت النقيب . وأول من تولاهم منهم اسماعيل بن حسين المتيف سنة ٢٣٠ هـ ونبغ منهم جماعة من العلماء وأهل الفضل ونالوا الرتب العالية لدى ولاية الامر وقد سموا بيت حمزة نسبة الى حمزة الحراني احد أجدادهم . وقد ذكر الحبي تراجهم بعضهم وأورد سلسلة انسابهم الى النبي

أما صاحب الترجمة فهو محمود بن محمد نسيب ولد في دمشق الشام سنة ١٢٣٦ هـ ونشأ في حجر والده كما ينشأ ربيب العز والمجد . وكانت المدارس في ايامه ضئيفة فتعلم القرآن واتقن الخط في مكتب ابتدائي وهو في الثانية عشرة واشتهر خطه بالجمال من ذلك الحين ثم عكف على اكتساب العلم واكب على المطالعة والتبحر على علماء دمشق فاخذ الفقه والنحو والصرف والاصول والكلام عن الشيخ سعيد الحلبي وتلقى الحديث والمصطلح عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري والتفسير والتصرف عن الشيخ حامد العطار . والمعاني والبيان عن الشيخ عمر الامامي والفرائض والحساب والعروض عن الشيخ حسن الشطي . والحكمة والوضع والآداب عن منلا بكر الكردي واجيز من الجميع . وطالع الامة التركية وبرع فيها وصار من اكبر علمائها والمتبحرين فيها يدرك اسرارها ويروي نكاتها ومنظوماتها وآدابها كاحسن فضلائها . ولما اشتهر فضله وجهت اليه النيابات الشرعية سنة ١٢٦٠ ولبت الى سنة ١٢٦٨ وسافر الى الاستانة والاناطول بعد ان انتظم في سلك الموالي سنة ١٢٦٦ هـ ورجع الى دمشق ثم انتظم في سلك اعضاء مجلسها الكبير الذي توفي سنة ١٢٧٧ بعد الحادثة المشهورة وكان في اثناء هذه المدة قد ألف تفسيره المهمل والقاموس المهمل الذي ألفه للاستعانة به على التفسير المذكور . وقدم تفسيره للسلطان عبد المجيد قائم عليه بالنيشان الحيدي الرابع وكانت النياشين في ذلك الوقت عزيزة لا ينالها الا اصحاب الاعمال العظيمة . وكان يشتغل بالتأليف والتدريس والمطالعة والنظم . وفي سنة ١٢٨٤ تولى افتاء دمشق بل افتاء الديار الشامية

(١) اتمدنا في تحقيق هذه الترجمة على نعمان افندي قساطلي صاحب تاريخ دمشق

لان سوريا كانت ولاية واحدة . وظل في وظيفته هذه الى آخر حياته ونال اسمى المراتب العلمية الرسمية وأوسمة الدولة العلية بجيدية وعثمانية لحد الرتبة الثانية . واهداه نابوليون الثالث امبراطور فرنسا على أثر حادثة دمشق (المشهوره بحادثة سنة ١٨٦٠م) جفتاً بطقم ذهب في صندوق من عاج اقراراً بجميعه لما اتاه من الخير بمساعدته مسيحي دمشق في تلك الحادثة المشؤمة . وحصل بصنيعه المذكور على رضا الدولة العلية واحترام عظماء أوروبا وثقتهم

وكان مع تجره بالعلم واشتغاله به وبمنصبه آية في صناعة اليد يشغل ادق الاشغال اليدوية واتقنها بغاية الضبط والانتظام . وأما في الكتابة فقد كان آية الزمان بها فكان يكتب جميع الخطوط بغاية الضبط والجمال فضلاً عن تفننه بهذه الصنعة . فقد كتب الفاتحة على حبة ارز وبقي ثلث الحبة فارغاً وترى الكتابة بالمدسية واضحة جميلة الخط جداً . واغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم اسماء شهداء وقعة بدر الكبرى وهم ٣١٧ والكتابة مشاغله مال الى الرياضة لتجديد قواه فاختر الصيد ومال اليه وغرم به وكان يصرف به أوقات الفراغ فصار صياداً مشهوراً . وقد بلغ بالرماية مبلغاً عظيماً واشتهر بها فيرمي مئة رمية ولا يخطئ في واحدة وقيل انه ما وجه بندقيته الى شيء واخطأه الا ما ندر جداً وبالأجمال انه اتقن كل ما تعاطاه

وكان مقصوداً في قضاء الحاجات بحبه الناس على اختلاف المراتب والنحل يحترمه رجال الدولة والولاة والاجانب . وكان صادقاً في القول والفعل محباً لوطنه ودولته مستقيماً متضامناً يابى الفخفة . ومع كثرة علامات شرفه وتعداد أوسمته لم يظهر مرة بها الا عند الضرورة

وكان يعتبر الوقت ثميناً لا يضيعه بلا عمل وهذا ما مكنه من القيام بمشاغله الكثيرة وأعماله الخطيرة . ولذلك كان يميل الى الوحدة لا يتداخل فيما لا يعنيه وكان ذا مهابة وجلال اذا مر بطريق وقف له الناس وتسابقوا بتأثير حبه لهم لتقبيل يديه مع ابائه ذلك عليهم لمخالفة طبعه فلذبح هذا كان يختار السلوك في الطرق التي لا يكثر فيها المارة

وقد نظم القصائد الفريدة وصنف التصانيف المفيدة وهاك اسماء ما صنعه :

١ تفسير القرآن بالحرف المهمل في مجلدين كبيرين سماه دور الاسرار

٢ السكمل الى الكلام المهمل الفقه للاستعانة به على التفسير المذكور

٣ كتاب الفتاوي نظماً في مجلد

٤ الفتاوي المحمودية (أو الحزاوية) جلدان ضخمان

٥ نظم الجامع الصغير للامام محمد نحو ثلاثة آلاف بيت من البسيط على قافية واحدة في مجلد أوله

حداً جزيلاً لذي الاحسان والكرم ثم الصلاة على الهادي الى الامم

٦ نظم أصول الفقه نحو ذلك من البحر والفاية المذكورة

٧ القواعد الفقهية

٨ قواعد الاوقاف

٩ تحرير المقالة في الحيلولة والكفالة على مثال لم يسبق اليه

١٠ جدول الاحق بالحضانة للولد

١١ خلال المحاضر والسجلات

١٢ كشف الستور عن المهايه في المايجور

١٣ كشف القناع وهو شرح بدعية والده

١٤ غنية الطالب . وهو شرح رسالة الصديق لعل بن ابي طالب

١٥ تنبيه الخواص على ان الامضاء في الحدود لا في الفصاص

١٦ رسالة في الدرهم والمنقال

١٧ مصباح الدراية في اصطلاح الهداية

١٨ التفاوض في التناقض

١٩ رفع الغشاوة عن جواز أخذ الاجرة على التلاوة

٢٠ السوار اللامع في أصول الجامع

٢١ التحرير في ضمان الامر والمأمور والاجر

٢٢ فتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص

٢٣ فصيح القول في جواز دعوى المرأة بالمهر بعد الدخول

٢٤ كشف المجانة عن الغسل في الاجانة

٢٥ السكواكب الزاهرة في الاحاديث المتواترة

٢٦ شرح صلاة ابن مشيش

٢٧ العقيدة الاسلامية

٢٨ كتاب ترجيح البيئات المسماة بالطريقة الواضحة

٢٩ عنوان الاسانيد

٣٠ الاجوبة الممضاة على اسئلة القضاء



- ٣١ مختصر الجرح والتعديل  
 ٣٢ صحيح الاخبار عن التنقيح ورد المختار  
 ٣٣ اعلام الناس  
 ٣٤ القطوف الدانية في خبث أجر الزانية  
 ٣٥ البرهان على بقاء دولة آل عثمان الى آخر الزمان
- وله غير ذلك عدة رسائل منها أرجوزة في علم الفراسة . واعتراه في أواخر عمره ضعف برجليه فلزم يده ولم يخرج منه الا قليلاً مع ملازمة وظيفته والعمل بموجبها . وفي اليوم التاسع من محرم سنة ١٣٠٥ اخترته المنية عن ٦٩ سنة فكبر خطبه وعظم مصابه وتقفات دوائر الحكومة وتوقفت أشغال المدينة في ذلك اليوم وأذن له بالآذن وعمّ الجزن والاسف عموم الناس
- وكان ربع الفأمة ممتلىء البدن قوي العضل اسود الشعر طفح الوجه عالي الحيا عريض الحاجبين افرقهما اسود العينين حاد النظر دقيق الانف متوسط اللحية وقد وخط الشيب نحو ربهما حنطي اللون أشعر الجسم وكان بالاجمال حسن المنظر عظيم الهية

وقصد القطر المصري واشتغل في التجارة بالاسكندرية ومديرية الغربية فحضر مع  
الفلاحين اثني عشر الف جنيه

على ان فشله في التجارة بما توالى عليه من الخسارة لم يقل عزمه ولا أقعده عن  
العمل وهو يكاد يناهز الستين من عمره فعمد الى استخدام مواهبه العقلية الاخرى  
فعدل عن التجارة الى التعيش من العلم فاختر مهنة المحاماة مع ما تحتاج اليه هذه المهنة  
من التعقل والصبر على المراجعة والمقابلة والتبحر والاستنتاج . واصر سنة ١٨٨٦  
جريدة حقوقية سماها الحقوق وهي أول جريدة صدرت في هذا الموضوع في اللغة



( ش ٣٤ ) : امين شميل

العربية . وبعد وفاته كان يصدرها المرحوم ابراهيم الجبال الحامي وقد تولى معاونة  
صاحب الترجمة بضع عشرة سنة وعليه اعتمدنا في كثير من حقائق هذه الترجمة  
ولم يمض زمن على اشتغال المترجم في المحاماة حتى نال ثمة رجال القضاء خصوصاً  
والناس عموماً بما فطر عليه من الصدق والاجتهاد ولين العريكة وسلامة الطوية . على  
ان المصيبة التي اصابته بفقد ولديه في سنة ١٨٨٦ وهما ارثر في عمر ١٧ سنة وفردريك  
في عمر ٢١ سنة وبين الواحد والاخر ١٢ يوماً فقط اسست في قلبه الاحزان المستمرة

## امين شميل

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٨٩٧

( ترجمته ) هو ابن المرحوم ابراهيم شميل من محمّد كريم وُلد في كفرشما من أعمال لبنان في ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٨ وقد اشتهرت هذه القرية بجماعة من النابغين في العلم والادارة كال اليازجي وآل شميل وآل تقلا وقد وردت تراجم بعضهم في هذا الكتاب

دخل صاحب الترجمة في السنة الحادية عشرة من عمره مدرسة المراسين الاميركانيين فالتقى فيها مبادئ النحو والحساب واللغة الانكليزية ثم تتبع درس اللغة العربية والفقه على اساتذة افاضل نذكر منهم السيد محيي الدين اقبدي اليافي ولم يكدي يافع الحادية والعشرين من عمره حتى صار رجلاً يركن اليه في حل المشاكل فتولى الفصل في خلاف عظيم وقع سنة ١٨٤٩ بين البطريرك مكسيموس مظلوم والمطران اغايوس ففضى من أجل ذلك سنتين في رومية وزمناً في الاستانة حتى صرف المشكل على ما أراد

وفي يوليو سنة ١٨٥٤ قصد انكلترا فتمرف في لوندرا الى أحد تجار المسلمين المشهورين السيد عبد الله ادابي قنصل الدولة العثمانية في مانشستر فأتخذه السيد مديراً لاشغاله التجارية . وفي سنة ١٨٥٦ أرسله الى بيروت بمهمة تجارية فانجزها وعاد الى مانشستر واستأذن السيد عبد الله ادابي بفتح محل تجاري على حسابه الخاص في مدينة ليفربول فاذن له بذلك وشرع من ثم يشتغل بالتجارة . وفي سنة ١٨٦٢ ترك أخاه بإشاره في ليفربول يدير حركة محله وجاء سوريا ثم الاسكندرية وفتح فيها محلاً تجارياً مكث فيه نحو عشرة اشهر ثم أدخل أخاه المرحوم ماحم في الحل وأطلق عليه اسم محل شميل اخوان وشركاهم . وفي سنة ١٨٦٣ عاد الى ليفربول واتسع نطاق تجارته فيها اتساعاً عظيماً حتى كان يستأجر بواخر على حسابه الخاص لنقل بضائمه من سوريا ومصر الى انكلترا ومن انكلترا الى هذين القطرين . وفي تلك الاثناء ارتفعت أسعار الاقطان وكلفه بعض عملائه بالاسكندرية ببيع ثلاثين الف قنطار على التسليم بأسعار تعدل الليبره فيها ٢٥ بنساً ثم ارتفعت الاسعار الى ٣٠ بنساً وقصر تجار الاسكندرية في تسديد ما عليهم فحسر رجل الترجمة بسبب ذلك ما بين فرق كوترانات وخسائر اخرى ثمانين الف جنيه . وفي سنة ١٨٥٩ جدد محله التجاري بشركة اسهم رأس مالها أربعون الف جنيه . وفي سنة ١٨٧٥ صفي أشغال محله في ليفربول وترك تلك المدينة

ثم جاءت وفاة ابنته البكر امينة سنة ١٨٩٦ فقوشت بنيتها المتينة حتى انحلت قواه واناه القدر المحتوم فلباه

( مؤلفاته ) ترى مما تقدم ان المترجم قضى معظم حياته العملية في التجارة ولكنه كان وهو تاجر يشتغل في العلم التماساً للذة البحث والكتابة فكان يؤلف الكتب وينظم القصائد وينشئ المقالات فيقضي ساعات الفراغ بما يلذ ويفيد على ان اشتغال رجال التجارة بالعلم في ساعات الفراغ كثيراً ما يكون عوياً لهم على الارتزاق عند الضرورة كما اتفق لصاحب الترجمة . فلما انقطع للقضاء انصب بكليته اليه فكتب فيه وفي غيره مؤلفات عديدة منها :

- ١ الوافي للمسألة الشرقية في كتابين ينقسمان الى ستة أجزاء كبار تشتمل على تاريخ الاسلام الى حرب الروس طبع منه جزء في نحو ٥٥٠ صفحة كبيرة
- ٢ مقدمات تاريخية علمية . نشرت تباعاً في الحقوق من سنة ١٨٨٦
- ٣ بستان الزهات في فن الخلوقات . وهو ثلاثة اقسام لم يطبع
- ٤ سهام المنايا . وهي رسالة ردّ فيها على بعض المعترضين على الوافي هذا فيها حذر ابن زيدون في رسالته المشهورة
- ٥ المبكر هو كتاب مبتكر في بابه يشتمل على خمس مقامات تدعى مقامات الاوهام الآمال والاحكام وخمس وعشرين قصيدة مؤلفة من الف وستة وخمسين بيتاً شرح فيها درجات حياة الانسان السبع من حين تهوره في الرحم الى موته وتواريه في التراب ( طبع غير مرة )
- ٦ الزفاف السياسي . وهي رواية تشخيصية رمزية تمثل حالة الدول في ابان حرب الروس سنة ١٨٧٧ ( لم تطبع )
- ٧ مشروع البنك الوطني . رسالة عرض فيها على الحكومة المصرية انشاء بنك وطني أهلي تشتمل على تفاصيل وافية في بابها
- ٨ نظام الحكومة الانكليزية
- ٩ السدرة الجاية في المباحث القضائية
- ١٠ جريدة الحقوق المتقدم ذكرها . وكان شاعراً مجيداً نظم كثيراً من القصائد الحكمية والفلسفية

( صفاته الشخصية واخلاقه ) كان ربيع القامة ضخيم العضل أبيض اللون أصلع الجبهة حليق الذقن مهيب المنظر مقداماً على الاعمال جلوداً على النعب صبوراً على المصائب كثير العناية في اشغاله شديد الحبة لبنيه وأفراد عائلته لين العريكة كريم

النفس بادي المروءة حاد الطبع في أواخر عمره سريع الرضا قوي الذاكرة شديد  
الذكاء عزيز النفس صادقاً حر الضمير واللسان . وبالجملة فقد كان مثال الرجولة وعنوان  
رجال الاعمال

وقد رثاه شقيقه الدكتور شبلي بمرثاة فلسفية تذكر منها الايات الآتية

ذعر الناس أنهم مايتونا	جهل الناس أنهم ذاهلونا
حيرة المرء في الوجود حياة	كل يوم تريك منها شؤونا
قال قوم أعياننا باقيات	قال قوم بل اتنا قانونا
ان آثارنا لا ثبت منا	تلك آثارنا تدوم قرونا
قسم الناس بين خلق يجازى	ثم قوم يعدّ ذاك مجونا
هل درينم بما جنيتم فظلو	مون اتم واتم الظالمونا

## الشيخ محمد العباسي المهدي<sup>(١)</sup>

ولد سنة ١٢٤٤ هـ وتوفي سنة ١٣١٥ هـ > ١٨٩٧ <

هو ابن الشيخ محمد امين المهدي مفتي الديار المصرية الاسبق المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ نجل المغفور له شيخ الاسلام الشيخ محمد المهدي — ولد صاحب الترجمة سنة ١٢٤٤ هـ وتوفي والده وهو ابن ثلاث واخوه الشيخ محمد عبد اللطيف المهدي ابن خمس . وكان لايهما شركة مع والي مصر الاسبق المرحوم ابراهيم باشا في مصنوعات القصر من أفشة وغيرها من تجارة الاقطار السودانية . وبعد والد المترجم حصرت المعية تركته باعتبار انه مدين . وقد استمر المترجم واخوه في اضطهاد وضيق عيش بسبب ذلك حتى تأهلا لطلب العلم بالازهر الشريف واجتهدا في تحصيله على المرحوم الشيخ ابراهيم السقا والشيخ البلتاني والشيخ خليل الرشيد . ثم لما ظهر الحق للمغفور له ابراهيم باشا في ادانة والد المترجم افرج عن التركة واستدعى المترجم واسدل عليه خلمة الافتاء في محفل من الاكابر والعلماء ونزل بموكب حافل في ذي القعدة سنة ١٢٦٤ وكان حين ذاك يحضر مقدمة السعد على الشيخ السقا . ومما استلفت انظار الجنب العالي الى اعادة تلك المناصب العالية الى ذلك البيت ان شيخ الاسلام في الاستانة اوصى المرحوم ابراهيم باشا بنجلي المرحوم محمد امين المهدي مفتي مصر الاسبق لما كان يهدده في ايها من الامة وحسن المعاملة والحماية عن الدين

وحيث كان عمر المترجم اذ ذاك احدى وعشرين سنة قد عينه استاذه الشيخ خليل الرشيد اميناً للفتوى ولحدائثه سنة ايضاً لاقى من أهل صناعته ماداه الى التحري والتحرز حتى اصبح اجدر ائمة عصره بهذه المسكنة الرفيعة علماً وسياسة ومن جليل مقترحاته انه اخترع تطبيق الوقائع على النصوص الشرعية كما يشهد بذلك كتابه « الفتاوى المهدية » .

ثم ظهرت فيه الكفاءة التامة لاعظم وظائف الاسلام لما كان له من الادارة ولين العريكة والاعتدال الملمى والحزم والدهاء فاسدلت عليه شياخة الاسلام مع الافتاء في عهد المغفور له اسماعيل باشا في منتصف شهر شوال سنة ١٢٨٧ فدير نظامها واعاد لها ما انحل من مرتباتها الى ان ظهرت الفتنة العراية فعزل عن شياخة الاسلام لتوقفه عن التوقيع على طلب عزل الخديوي السابق توفيق باشا بعد ان بذل من الحزم والدهاء

والسياسة والشهامة ما حير به الالباب . ولم يتمكن احد من أن يمسه بسوء مع تمكن أهل تلك الفتنة من الاستبداد والانتقام من وضع ورفيع ومن حسن تدبير المترجم ظل ناعم البال محبوباً لدى الاكابر والامراء

ثم بعد ما خمدت نار الثورة وراقت سماء السياسة وانجبت تلك الابطال وكانت الدائرة على أهل التضليل اعيدت اليه شياخة الاسلام بالاستحقاق واستمر هكذا مقدماً بكلتا الوظيفتين حتى عزل عنهما لمعارضته الحكومة فيما خالف الشريعة الفراء في عهد المرحوم الحديوي السابق توفيق باشا بومئذ واعيدت شياخة الاسلام للشيخ الامباني وقد افتاء الشيخ البنا

وكان الشيخ البنا المذكور شديد الثقة باقتدار المترجم في العلم وغيرته على الدين حتى كان اذا سأله الحكومة ان يقضي في أمر مهم اعلنها بأنه لا يقول في الامر شيئاً الا بعد ان يعرضه على المترجم . فكانت الحكومة تلج عليه في الطلب وتقول له انت المفتي الرسمي لا هو . فكان يجيب وان كنت ذلك الا انه هو صاحب القول في الدين . واستمر ذلك الى أن عاد الافتاء الى المترجم بعد قليل واستمر معه الى ان اعتراه مرض المنية وقد عين في اثناء تمرضه الشيخ حسونه النواوي وكيلاً عنه ثم أصيلاً بعد حياته واستمر نحو سنتين وعزل عنه وتقلده المرحوم الشيخ محمد عبده

وقد كان المترجم صاحب الحق دون غيره في تعيين القضاة الشرعيين والمفتيين ( بخلاف الآن فان الحفائية هي صاحبة الحق وحدها ) وكان يعين الاكفاء الغيورين ولذا كان يذب عن حقوقهم في كل ما يرى فيه مساساً لكرامتهم فقد اتاه الشيخ حسن العدوي مستفتياً به حينما استصدر شيخ الاسلام الشيخ مصطفى العروسي أمر المغفور له اسماعيل باشا بابعاده فتوسط له في العفو

وقد كان المترجم رحمه الله شديداً في الدين لا يقول غير الصدق ولا يجيد عن الحق لا تشنيه المرفقات ولا تورطه المرجفات — كم رأى في سبيله من العقبات فازالها بسيف هذا الدين وكم اؤمن على أرقى المناصب فاداءها بالامانة وكم هددته الامراء بالقتل والنفي فلم يجدهم منه شيء ولم ير غير تعزيز الاسلام ملاذاً لتطهير ذمته وشفيماً له عند ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون

طلب منه المرحوم عباس باشا الاول فتيا بان ما بأيدي عائلة محمد علي باشا الاكبر من اطيان واملاك هو حق لبيت مال مصر اذ هو حاصل لهم من مال المصريين لما ظنه الوالي من احقية بيت المال به فلم يفت به بل قال « لا يسأل المالك من أين ملك » وقد جوز ذلك وافتاه به بعضهم ولما كان من الرسميات افتاؤه تولى الطلب وهو لا يتحول عما

اجاب به الى ان أمر بئفيه في شهر رمضان الى ابي قير حيث كان بها الوالي يومئذ وكرر عليه الطلب فاجابه اخيراً « ان الامير يأبى ان أترك الشرع حتى يقال عني غير احكام الله وأهان الشريعة السمحاء ومع ذلك انا قابل للنفي والقتل في سبيل تعزيز ديني » فلما رأى الوالي ان ذلك غير مجد وان المترجم مخلص لديه ولا غرض له غير اعلاء كلمته اعاده الى مصر وانعم عليه اقراراً باحقية ما فعل وحزاء له على ما أصاب . وبهذا كان بينه وبين الامراء المودة المكنية بعد عرفانهم بقيمته فقد كان بينه وبين سعيد باشا مودة يضرب بها المثل وخلع عليه الخلع الجريلة ومنحه المنح الجايلة

وقد كان المترجم عضواً في المجلس العلمي مع شيخه الشيخ السقا والشيخ العروسي والشيخ البقلي وكان اسماعيل نائباً عن الوالي سعيد باشا وقد صادفهم أمور معضلة قد توقف هو وحماة الدين الاعضاء المذكورين عن التصديق عليها لجنوحهم عن الاغراض والسير على غير نمط الشريعة الاسلامية

وقد كانت عضوية هؤلاء الافاضل سبباً عظيماً في معرفة الخديوي الاسبق اسماعيل باشا قدر رجال الدين وقدر المترجم حتى ثبتت مودة المترجم في فؤاده ومما رفع مكانته لدى الامير المذكور انه أراد الخاق الاوقاف الاهلية بالاوقاف العمومية حينما كان ناظرها وأراد أن يستعيض اربابها ما يكلف معاشهم وسأله الفتيا بالجواز حتى عظم الامر لدى الامير وتجههر المخالفون له الى أن تواتت اليه الرسائل وازداد التهديد فاعلم المترجم انه ليسهل عليه تجرده مما يملك وما ورث عن آبائه من أن يعلن انه حكم بما لم ينزل الله وانه حابي بدينه أو راعه التهديد فراعى جانب الخلق أو اخذته في الدين لومة . فبعد ذلك دعاه الوالي وعقد مجلساً تحت رئاسته ليقف على حقيقة الخلاف فحضر المترجم ودار حديث الشيخ مع مخالفه الواحد بعد الواحد حتى اجتمع الجميع واقروا بخطأهم فازدادت مكانته رفعة وشكره الوالي لمحافظة على حقوق الشرع الشريف والى افتاء غيره وصار المترجم مورد استشارة الحكومة في المهمات حتى أوصى المرحوم اسماعيل باشا نجله المرحوم توفيق باشا بالمحافظة على المترجم واستشارته في المعضلات لانه رجل الدولة والدين

ثم ان اسماعيل باشا شرع في بيع شركة الهامي باشا لرغبته في أطيافها لدين غير مستغرق فتوقف معه المترجم وأورد اليه سبيلاً حلاً حتى ينال قصده بما هو اظهر واطيب عند الله فاشار باقتران ولي العهد بكريمة المدين . وقد رأى الوالي هذه الطريقة انسب واحفظ فاتبها . وهكذا صار المترجم طول عمره في دفاع عن الدين خصوصاً في وظيفة الافتاء التي استمرت معه اثنتين وخمسين سنة . وأما الشباخة

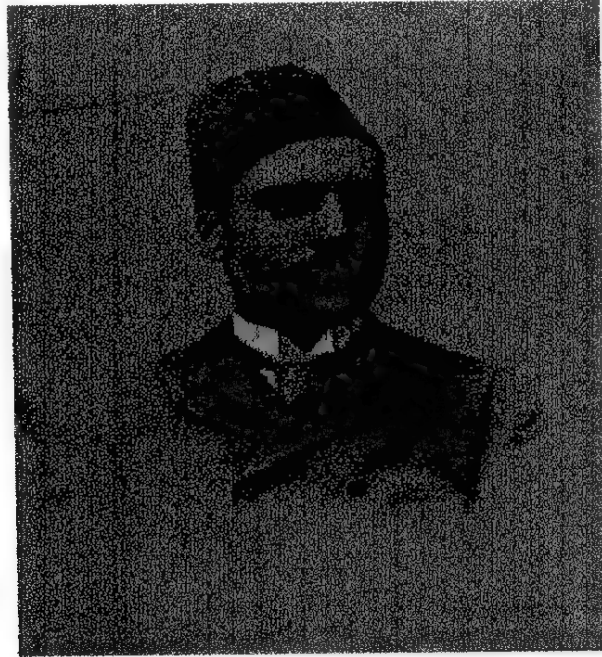


فاستمرت ثمانى عشرة سنة ثم اصاب بنقطة وهو يتوضأ لاداء فريضة الجمعة واحيات  
وظيفة الافتاء الى شيخ الجامع بصفته وكيلاً عنه كما ذكر وقد كان ملازماً لاداء  
الفريضة جماعة طول عمره حتى في ايام مرضه الذي لازمه أربع سنين حتى مات في  
ليلة الاربعاء ١٥ رجب سنة ١٣١٥ لاثنتين وسبعين من العمر ( انتهى )  
وأشهر مؤلفاته كتاب « الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية » وهو كتاب مطول  
في الافتاء طبع بمصر في سبعة اجزاء وهو مشهور ومتداول

## امين باشا فكري

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٩٩

وُلد امين باشا في القاهرة سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦) ورَبِي في حجر والده المرحوم عبد الله باشا فكري وستأنى ترجمته بين الشعراء وكان يومئذ في جملة مستخدمي الدائرة السنية على عهد المنفور له سعيد باشا . فلما بلغ أشده أدخله والده المدارس الأميرية على عهد المرحوم اسماعيل باشا الخديوي السابق ففاق أقرانه ذكاءً واجتهاداً . فكان امتيازُه هذا داعياً الى إرساله في جملة الشبان الذين أرسلهم اسماعيل باشا الى



(ش ٣٥) : امين باشا فكري

اكس بفرنسا لتأني علم الحقوق . فاد من المدرسة حاملاً الشهادة الناطقة بتميزه في هذا الفن فتعين في المحكمة المختلطة ثم ولاء الخديوي السابق رئاسة النيابة في محكمة طنطا ثم ارتقى الى رئاسة النيابة في مصر سنة ١٨٨٨ وقد عرقناه في هذا المنصب نزيهاً نشيطاً قدوة العاملين ومثال اللطف والدعة وهو مع ذلك لا يفتر عن المطالعة والبحث . قالف في أثناء ذلك كتاباً مطولاً في جغرافية مصر والسودان وهو أطول جغرافية في بابها . ثم تعين سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة الاستئناف الاهلية فلم يزد الحكومة الا ثقة به واعتماداً عليه وفي السنة التالية انتدبت المرحوم والده لرئاسة الوفد العلمي المصري في المؤتمر الذي انعقد في عاصمة اسوج اذ ذاك فصحبه نجله صاحب الترجمة في جملة أعضاء

الوفد فشاهد اوربا ودرس أحوالها فلما عاد كتب رحلة والده هذه وسماها « ارشاد  
الالباء الى محاسن اوربا » طبعت بمصر سنة ١٨٩٢ في كتاب ضخيم  
ثم رأت الحكومة المصرية ان تنتدب لخدمة مصالحها الادارية رجالا من أهل  
القضاء فكان صاحب الترجمة في جملة من تولى مصالح الادارة . فتولى محافظة الاسكندرية  
مدة اكنسب بها قلوب اهل الاسكندرية كافة . ثم انتدب لظارة الدائرة السنية سنة  
١٨٩٥ وما زال عاملاً فيها حتى دامه المرض فقضى مأسوفاً عليه في ١٧ يناير سنة ١٨٩٩  
عن ٤٤ عاماً على اثر مرض كان يتردد اليه حيناً بعد آخر وعاوده هذا العام فتحسنت  
حالته وعاد الى مطالعة أوراق اشغاله في منزله والكل فرحون بصحته فبات ليلة ١٧  
يناير والامل ملء صدورهم فاصبحوا فاذا هو قد فاضت روحه وهم لا يشعرون .  
وكانت وفاته بمرض لا علاقة له بالعلة الاصلية

ومن مآثرة فضلا عن الجغرافية المتقدم ذكرها وكتاب ارشاد الالباء انه عني  
بنشر مآثر المرحوم والده فجمع منظوماته ورسائله في كتاب سماه « الاثار الفكرية »  
وطبعه ونشره . وله كثير من الرسائل والمنظومات ولو مد في أجله وأوتي صحة  
لجاء بما يخلد ذكره لانه كان أهلاً للعمل بما طبع عليه من الذكاء والنشاط ولكن  
المنون عاجلته

## الدكتور دري باشا

ولد سنة ١٢٥٧ وتوفي سنة ١٣١٨

(ترجمة حياته) وُلد في القاهرة سنة ١٢٥٧ وقد قام والده المرحوم السيد عبد الرحمن احمد من محلة ابي علي القنطرة (بالغربية) الى مصر بعد ان دخل العسكرية في زمن المغفور له محمد علي باشا الكبير وأقام بها سنوات التحق فيها بالدكتور الطائر الصيت كلوت بك لامتيازاه اذ ذاك بمعرفة الكتابة والقراءة . ثم عوفي من تلك الخدمة واختار الإقامة في مصر واشتغل فيها بالتجارة في الحبوب وغيرها ورزق باولاد منهم صاحب الترجمة رباهم كلهم تربية حسنة بثقيفهم في المدارس واختاروا الطب علماً وعملاً فكان لهم فيه ولاولادهم من بعدهم العمل النافع للبلاد والعباد

ولما بلغ صاحب الترجمة السابعة من عمره (١٢٦٤ هـ) ادخل مدرسة المبتديان المعروفه الان بمدرسة الناصرية ولم يبق فيها سوى بضعة أشهر . ثم ألتها المرحوم عباس باشا الاول في تلك السنة التي عرفت بسنة (البرار والبراماز) أي سنة ما ينفع وما لا ينفع . فانتقل مع من اتخبوا من التلامذة الى المدرسة التجهيزية وكانت في الأوبكية ومكانها الان فندق شبرد . وبعد بضعة اشهر انتقل تلامذة هذه المدرسة الى مدرسة ابي زعبل فاقام فيها صاحب الترجمة الى ان أكمل دروسها او كاد . ثم انتخب تلميذاً في مدرسة المهندسخانة وكانت في بولاق مصر وناظرها المرحوم علي باشا مبارك . على انه كان يميل بطبعه الى الطب فكان يترقب الفرص لنيل مقصده . ولكنه لم يوفق الى ذلك الا سنة ١٢٦٩ هـ بعد صبر وعناء . فالحق بتلامذة الفرقة الخامسة منها (سنة اولى . وفي الامتحان العمومي السنوي نقل الى الفرقة الرابعة وفي مثله من السنة التالية نقل الى الفرقة الثالثة وهو يجد في الطلب لا يعلم ما خبأه القدر له ولسائر التلامذة . فلم تشمر المدرسة الا وقد جاءها المرحوم علي بك علوي يدعو تلامذتها جميعاً الى الديوان الحديوي بالقلمة بامر المغفور له سعيد باشا فخرجوا اليها واعطفوا امام الديوان ينتظرون ما لا يملكون حتى خرج الهم المرحوم سعيد باشا بنفسه في ابهة ملكه ومعه المرحوم الدكتور محمد بك شافعي الحكيم ناظر المدرسة الطبية وغيره وفرز التلامذة بنفسه فجعلهم ثلاثة اقسام بحسب أعمارهم . فحديثو السن جداً أمر بطردهم من المدرسة والمتوسطون ان يلحقوا بالشوشخانة السعيدية (اورطة عسكرية) والمتقدمون ألحقهم بالمدرسة العسكرية الحربية في بلدة طره . وكان صاحب الترجمة من المتوسطين في السن فالحق بالعسكرية . فصرفت لهم الملابس العسكرية والجربنديات

واقفلت مدرسة الطب وخلت المدارس المصرية من علوم الطب والاطباء  
ولكن صاحب الترجمة لم يجيء في خاطره مع ذلك ان يترك ما تعلمه من العلوم بل  
بقي يتذكره ويتعمده بالتفكر فيه طمعاً في أن يعود الحاكم الى صوابه فيعيد المدرسة  
الطبية فيعود هو اليها ويكمل علومها . وغلب اليأس على رفاقه وهو يزيهم وينشطهم  
حتى صدرت الاوامر بالعفو عنهم وجعلهم تخرجية ( مرضين ) في الجيش



( ش ٢٦ ) : الدكتور دري باشا

وبقي صاحب الترجمة تخرجياً ينتقل من أوردطة الى أوردطة ومن آلاي الى آلاي  
حتى فالدرنية الجاويش ثم جاءت الهبضة سنة ١٢٧٢ هـ فاشتغل في معالجة المرضى وتلطيف  
حالهم زمناً طويلاً مع العناية بالمرض والرفق بالمرضى . وابتدأ من ذلك العهد في تأسيس  
آرائه في هذا المرض وتدوين مشاهداته فيه ونشر أكثر ذلك في رسالته المعروفة

بالاسعافات الصحية في الامراض الوبائية الطارئة على مصر في سنة ١٣٠٠ هـ وهي مشهورة طبعت على نفقته في المطبعة الاميرية

وفي سنة ١٢٧٣ هـ عاد الى مصر مؤسس مدارسها الطبية الشهيرة كلوت بك والتس من ولي أمرها المرحوم سعيد باشا اعاد المدرسة الطبية الى ما كانت عليه فاجابه الى ذلك وصدر أمره العالي بجمع تلامذتها من الالات وارجاءهم الى المدرسة فعادوا اليها وامتحنوا فعاد صاحب الترجمة الى الفرقة الثالثة . وما زال في المدرسة حتى اتم الطب وخرج منها طبيباً ماهراً وعالماً مدرساً في فنونها وتعين فيها بوظيفة مساعد ومعيد للم الجراحة بمرتبة قدره ثلاثة جنيهات في كل شهر

وفي عام ١٢٧٨ هـ توجه سعيد باشا الى أوروبا وصحبه في رحلته اليها المرحوم محمد علي باشا الحكيم فشاهد تقدم فن الجراحة في باريس فترك ذلك غير سعيد باشا لارسال فريق من المانعين في المدرسة الطبية المصرية الى باريس ليتقنوا هذا الفن ويهووا الى مصر في زمن قريب التماساً لقلّة النفقات ولا مكان الانتفاع بهم قريباً من جهة أخرى . فبعث بهذه الارسالية في عام ١٢٧٩ هـ وفيها صاحب الترجمة وكان اصغرهم سناً ورتبة . وبعد أقل من عام توفي المرحوم سعيد باشا وخلفه المرحوم اسماعيل باشا فعرض عليه شافعي بك الحكيم ناظر مدرسة الطب استرجاع تلك الارسالية لان مصر في حاجة الى الاطباء فصدر أمر اسماعيل بارجاءهم فعادوا جميعاً ما عدا صاحب الترجمة لصغر سنه

وبعد رجوع رفاقه اشتغل هو بانعام معارفه العلمية والعملية على أشهر الجراحين في ذلك الوقت الدكتور نيلاتون والدكتور نيليو ولازم عيادة الاول الجراحية مدة سنتين كاملتين فظهر من العناية والمهارة بحيث لم يتمالك هذا الاستاذ عن الاعجاب به وتبشيره بمستقبل مجيد وحث رفاقه على الاقتداء به

وظل صاحب الترجمة مقبلاً على العلم والعمل في باريس الى أن نال شهادة الدكتورية فاراد رئيس الارسالية هناك ان يميده الى مصر فلمس بقاء مدة أخرى لانعام العمل في بقية المستشفيات فألح عليه الرئيس في الرجوع الى مصر . وبلغ ذلك الدكتور نيلاتون فكتب الى هذا يقول « يجب الالتفات لدري المصري والعناية بشأنه لانه قل أن يوجد له نظير في الاقبال على العمل والاستفادة مما يشاهده منه واني في غاية الامتنان واني عليه أحسن الشاء » فانتنع رئيس الارسالية بذلك وبعث الى صاحب الترجمة ان يخبره بكل ما يحتاج اليه

وفي هذه الاثناء وصل الخديوي اسماعيل باشا الى فرنسا فلقبه الدكتور نيلاتون

واطنب له كثيراً بصاحب الترجمة واثنى على اعماله واجتهاده وساعده على ذلك جمهور من الحكماء الذين كانوا في حملات فيثي . فحرك ذلك عاطفة الرعاية في الحديوي اسماعيل وأمر بان يعطى لصاحب الترجمة عدة كتب وبعض الآلات الجراحية ومئة يينتو . فاخذ الشكل وضم المال المنعم به عليه الى ما كان معه واشترى به انقطع التشريحية التي أحضرها معه من البلاد الاوربية الى الديار المصرية وبقيت أثرأ له الى الآن

وفي عام ١٢٨٦ هـ وصل الى مصر وانعم عليه برتبة الصاغفول أغاسي وعين حكيماً باشي قسم المطارين في الاسكندرية ثم عين حكيماً ثانياً لقسم الجراحة في مستشفى الاسكندرية . وبقي بها الى أواخر عام ١٢٨٨ ثم نقل الى مصر وعين معلماً ثانياً لم التشريح وجراح باشي استبتالية النساء بالقصر العيني وظل بها الى عام ١٢٩١ ثم عين معلماً أول لفن التشريح وجراح باشي استبتالية النساء وانعم عليه برتبة البكباشي . وبقي كذلك الى عام ١٢٩٤ فانعم عليه برتبة امير آلاي . وما زال في مستشفى القصر العيني بوظيفة جراح باشي وأستاذ أول الجراحة والكلينيك الجراحي الى عام ١٢٩٩ هـ وفيها انعم عليه برتبة الممتاز . وفي عام ١٣١٥ انعم عليه برتبة امير ميران الرفيعة الشأن وفي اثناء هذه المدة قلد عدة نشانات علمية منها نشان الحرب بين الدولة العلية والروسيا فانه كان قد أرسل مع الجيش المصري وعين حكيماً باشي استبتالية صوفيا . وكان له من العمل في هذا السفر والاهتمام بالمرضى ما لم يشاركه فيه سواه

وما زال استاذ أول للجراحة في القصر العيني حتى جعلوا التعليم فيها باللغة الانكليزية فاحيل على المامش فتفرغ لاعماله الخصوصية ثم دهم بفقد صهره وابن اخيه حامد بك صدقي فأثرت وفاته تأثيراً شديداً على صحته فتوالت عليه الملل حتى توفاه الله في ليلة ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٠ ( ١٣١٨ هـ )

( أخلاقه واعماله ) كان رحمه الله محباً لقومه ساهراً على مصلحتهم مستهلكاً في خدمتهم حتى لقد يحمي ليله مفكراً في أحوالهم ومصيرهم . وقد حدا به ذلك الى صرف عنايته وماله وراحته في رفع منار بلاده في السبيل الذي يستطيعه . فانفق معظم ثروته في اختيار الكتب وجمع رسوم مشاهير المصريين وغيرهم وحفرها كلها على النحاس في باريس ولا غرض له من ذلك الا احياء ذكر الفضلاء . ناهيك بما انفق من العناية في رسم صور الامراض التي لها أجسام واشكال . ولم يقف عند هذا الحد ولكنه كلف نفسه عملاً ليس هو من لوازم مصلحته فاحضر مطبعة كاملة الادوات مياها المطبعة الدرية طابع فيها مؤلفاته ومؤلفات غيره . ولا ريب عندنا انه لم يكن يستثمر من

وراء ذلك غير التعب والحساسة ولسكنه كان يفعله مدفوعاً بغيرته على العلم والعلماء ورغبته في خدمة وطنه ومواطنيه

واشتهر الدكتور دري باشا بفن الجراحة وفي منزله مجموعة تشريحية جاء بها من أوروبا وجمع شيئاً آخر هنا . وقد شاهدناها منذ بضع وعشرين سنة وكنا قد جئنا لاتمام درس الطب في مدرسة قصر العيني . وكان هو من جملة اساتذتها ويبدنا كتاب توصية باسمه من صديق له في بيروت . فصحبنا الى منزله أحد اصدقائنا من تلامذة القصر يومئذ ( الدكتور نعمة الله بك طحان من أطباء الجيش المصري الآن ) فاستقبلنا الدكتور دري أحسن استقبال وأحب من باب المباشطة ان يمتحن معرفتنا في فن التشريح فجاءنا بمجموعة صناعية ظهرت فيها الاعصاب أحسن ظهور وسألنا عن العصب الخامس وفروعه وهو من أصعب مسائل التشريح فاجبنا بما حضرنا وهو يسمع ويبتسم . ثم دعانا الى حجرة التشريح واطلعنا على ما عنده من النماثيل التشريحية وغيرها . فعلنا من ذلك اليوم انه ذو ولع شديد في مهنته وقد تحققنا ذلك فيما بعد مما سمعناه عنه وشاهدناه من آثار فضله

وكان مدققاً كثير الانتباه للفرص التي تعرض له في معاظاة مهنته . فاذا جاءه مريض ذكر في دفتر خاص بالمرضى اسم المريض ومرضه والعلاج الذي طالجه به وتاريخ سير العلة بالتفصيل والايضاح . فلما احيل على الماش في آخر حياته جمع ذلك كله في مجموعة اهداها الى قصر العيني . وهي لا تزال محفوظة هناك وقد كتب عليها « مجموعة محمد دري باشا الحكيم »

واشتهر بين الاطباء بدقة التشخيص وصدق الانذار حتى يكاد يقرب ذلك من الالهام . فاذا شاهد مريضاً وانذره أو بشره كان كما قال . وكان متعلق الذهن بمريضه فاذا عمل عملية مهمة وعاد الى بيته لا يهدأ باله على مريضه حتى يفقده مراراً اما برسول خاص واما أن يذهب هو بنفسه . ولا فرق عنده في ذلك بين النبي والفقير وربما كان اكثر عناية بالفقير مما بالثني . ويذكرون من فضله بنوع خاص مواساته الناس في أزمنة الاوبئة الوافدة ومعالجتهم بما سهل ورخص . ومن آرائه الخصوصية في الجراحة ان العمليات الجراحية تكون عاقبتها سليمة اذا عملت في شهر بؤونة وايب ويليها كيمك وطوبه . اما مؤلفاته التي ظهرت في عالم المطبوعات فهي :

١ رسالة في الهيضة الوبائية وفيها وصف الهيضة وطرق معالجتها بالادوية البسيطة

٢ كتاب بلوغ المرام في جراحة الاقسام . هو كتاب في الجراحة مطول مزين



بالرسوم والاشكال ظهر منه ثلاثة مجلدات ضخمة طبعت كلها في مطبعته والرابع كان عند وفاته لا يزال تحت الطبع

٣ كتاب التحفة الدرية في مآثر العائلة المحمدية العلوية جاء فيه على خلاصة تراجم أعضاء العائلة الخديوية مع رسومهم ورسوم انبجالم

٤ كتاب تذكّار الطبيب طبع مرتين اخيرتهما سنة ١٣١٣ يشمل كل التذاكر الطبية التي كان يصفها مشاهير الاطباء في مستشفى قصر العيني. وهو كتاب ضخّم صفحاته ٤٣٦ صفحة ويسهل حمله في الجيب

٥ ترجمة حياة المغفور علي باشا مبارك استخرجه من الخطط التوفيقية وطبعه في مطبعته سنة ١١٣١ وهناك كتب أخرى لم يطبعها. وقد ظهرت في مطبعته كتب أخرى مؤلفين آخرين

## السيد اقليميس يوسف داود

رئيس اساقفة دمشق على السريان

ولد سنة ١٨٢٩ وتوفي سنة ١٨٩٠

هو يوسف بن داود بن بهنام من عائلة زبوني وُلد في العمادية من بلاد كردستان على مسافة ثلاث مراحل من الموصل . وأصل عائلته من الموصل فلما بلغ الخامسة من عمره عاد به أبوه اليها فتلقى مبادئ العلوم في بعض المدارس الابتدائية فظهر من النجابة والذكاء ما جعله في مقدمة رفاقه التلامذة ثم اتفق بعض ذوي الفضل وفي مقدمتهم الاب يوسف والركا ( الذي صار بعد ذلك بطريركا أورشليمياً على اللاتين ) على إرساله الى المدرسة الاربابانية برومية لاتبجر في العلوم اللاهوتية ونيل رتبة السكهنوت . فبرج الموصل سنة ١٨٤٥ وله من العمر ١٦ سنة فر ببيروت وقضى بمدرسة غزير بضمة اشهر ثم سار الى رومية وهناك اكب بكايته على اكتساب العلوم على أنواعها وفيها العلوم النحوية والبيانة والبديعة والمنطق والطبيعات والكيمياء والرياضيات والجبر والهندسة والمساحة والجغرافية والفلك والفلسفة العقلية والادبية واللاهوت الادبي والنظري والفقهاء الكنائسي والتاريخ البيبي والموسيقى وعلم الكتاب المقدس . وتعلم اللغات اللاتينية والايطاليانية والعبرانية واليونانية والافرنسية والالمانية . واكمل اللغة السريانية والعربية والسكدانانية وذاع خبر نجاحه وذكائه وامتيازه على اقرانه فوقع نزاع بين الطائفتين السكدانانية والسريانية من أجله فادعت كل منها انه من ابنائها رغبة في اكتساب خدماته لها . ولما طال النزاع خيروا في الانحياز الى احدهما فاختر الطقس السرياني وفي سنة ١٨٥٥ سيم قسيساً للسريان

وفي منتصف سنة ١٨٥٥ غادر رومية قاصداً الموصل فوصلها في أواخر تلك السنة واستلم الاعمال السكهنوتية وجعل يهتظ ويهلم ووجه اتباعه بنوع خاص الى المدارس لعلهم ان التعاليم اساس كل فضيلة . فاسس بالموصل سنة ١٨٥٦ مدرسة بالاتفاق مع الالباء المرسلين الدومنيكيين كان يعلم فيها النحو والصرف بالعربية ومبادئ اللغتين الايطالية والفرنساوية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والموسيقى . ثم انشأ المرسلون الدمنيكيون مدرسة عالية كان هو استاذها الاول فانت بفوائد يذكرها الدارفون . ويقال بالاجمال ان جميع كهنة الموصل وتوابعها كانوا من تلامذته أو تلامذة تلامذته . ونظراً لقلة المؤلفات التدريسية اذ ذلك اضطر الى تأليف الكتب اللازمة للتدريس وقد طبعت

بعد ذلك وسنذكر بين مؤلفاته . وكان مع كل ذلك لا ينفل لحظة عن رعاية رعيته والقيام بواجباته نحوم دينياً وادبياً  
وفي سنة سنة ١٨٦٢ ترقى الى رتبة الخور فسقفس وعهدت اليه النيابة العامة على  
الابرشية

وفي سنة ١٨٦٧ أوعز اليه بامر البابا بيوس التاسع ان يكون مستشاراً في اللجنة  
المعينة لاعداد الامور المتعلقة بقوانين الكنائس الشرقية ونواريجنهن . وهي احدى  
الاجنات الخمس التي اقامها البابا استعداداً للمجمع الفاتيكاني المسكوني الذي كان في النية  
التثامه وان يستنسخ ما يقع في يده من الكتب الخطية السريانية والعربية فقام بمهمته  
حق القيام حتى استدعى سنة ١٨٦٩ الى المجمع الفاتيكاني فسار وحمل معه ما كان قد



( ش ٣٧ ) : السيد اقليميس يوسف داود

استنسخه من الكتب النفيسة الى مكتبة مدرسة البروفندا وكان زجه الله في جملة  
اللاهوتيين العظام في ذلك المجمع وهو الضوء الشرقي الوحيد هناك . وقد سمي ترجماناً  
فيه فنال على اثر اعماله هذه شهرة عظيمة جداً وكان لا يضيع فرصة لا يؤلف فيها  
أر يطالع

وفي سنة ١٨٧٠ عاد الى الموصل وعمل على تصحيح ترجمة التوراة العربية بمقابلتها  
على الترجمات السريانية واليونانية واللاتينية والعبرانية وعلق الحواشي على بعض الايات  
الغامضة وقد طبعت هذه الترجمة في مطبعة المرسلين الدومنيكيين بالموصل مرتين وراجع  
ايضاً الترجمة السريانية البسيطة وطبعها بالمطبعة المذكورة باحرف كلدانية ولولا هذه  
الطبعة لفسدت الترجمة البسيطة

وفي سنة ١٨٧٦ توفي المطران يعقوب حلياني اسقف دمشق على السريان وبقيت طائفة السريان هناك بلا أسقف سنتين . وفي سنة ١٨٧٨ انتخب صاحب الترجمة اسقفاً لها باجماع الطائفة وتكريض البطريرك ولكنه كان ميالاً الى الابتعاد عن مهام الاسقفية لعمده بما يترتب على قبولها من التبعية وكثيراً ما عرضت عليه قبل ذلك ولم يقبلها . أما هذه المرة فاعتذر وتردد مدة حتى ملّ المسكوبة وورد عليه كتاب من البطريرك يقول فيه « ان الحضرة البابوية تريد منك ان تدعن لصوت الجمهور وتسلم للارادة الالهية التي تدعوك لتلك الوظيفة السامية وان تقبل الانتخاب » فلم ير بداً اذ ذاك من القبول فسار في أوائل سنة ١٨٧٩ من الموصل الى دمشق لتولي مهام منصبه الجديد وقد غادر الاهل والحلان والرفاق والجمعيات والمدارس والاخويات والكنائس والمطابع واكثرها من غرس عينه وهو لم يكد يحني ثمار اتعابه . فر بحلب وهناك رقي الى رتبة الاسقفية ولقب اقليميس فصار من ذلك الحين يدعى السيد اقليميس يوسف داود . وسار من حلب الى دمشق ولا تسلم عن فرح الدمشقيين بنيل تلك الامنية التي لم يكونوا يرجون الحصول عليها لعلمهم بابائه قبلاً عن قبول الاسقفية

أما هو فاخذ يدير شؤون الطائفة بهمة ونشاط فانشأ الاخويات ومجالساً طائفيّاً للنظر في أمور الابرشية وشيد بعض الكنائس ورسم البعض الآخر وانشأ كثيراً من المدارس الصغيرة للقرى ووجه التفاته الى جمع الكتب فجمع مكتبة يمز وجود مثلها لما حوته من الكتب الخطية المتعلقة بالمشرق التي يندر وجودها . وأخذ في التأليف والتصنيف واصلح الكتب الطقسية فعانى في اصلاحها مشقات جسيمة

ومما لا تنساه الطائفة السريانية سعيه في انشاء مجمع السريان اللبناني فانه هو الذي هياً مواد . والمجمع المذكور انعقد في الشرفة ببلبنان سنة ١٨٨٨ ونظر في أحوال الطائفة السريانية وضبط أمورها الطقسية وقوانينها الشرعية وكانت الطائفة قد حاولت عقد هذا المجمع غير مرة ولم تنجح الا على يده

وفي أوائل سنة ١٨٨٩ اصيب رحمه الله بداء القلب فقامى فيه أهوالاً جسيمة وفي ١٤ اغسطس ( آب ) سنة ١٨٩٠ توفي الى رحمه الله وله من العمر ٦١ سنة وبضعة أشهر

مؤلفاته

لصاحب الترجمة مؤلفات كثيرة بين مطبوع وغير مطبوع في لغات مختلفة وهاك اسماء مؤلفاته التي طبعت مع اسم اللغة التي ألفها فيها

- ١ كتاب التمرنة في الاصول النحوية مع مقدمتين في أصول الكتابة والقراءة  
( مجلدين ) عربية
- ٢ التمرين في التمرنة ( مجلدين ) »
- ٣ غراماطيق افرنسي مع الشرح العربي افرنسية وعربية
- ٤ اللمعة الشبيهة في نحو اللغة السريانية مع الشرح العربي بطريقة جديدة أي  
بالمقابلة مع اللغة العربية واللغة العبرانية خاصة سريانية عربية
- ٥ نحو اللغة السريانية مع الشرح اللاتيني لاتينية
- ٦ نبذتان في العروض والشعر ( الحفها بكتاب التمرنة ) عربية
- ٧ مدخل الطلاب في علم الحساب ( مختصر ) »
- ٨ ترويض الطلاب في علم الحساب ( مطول ) »
- ٩ علم الجغرافيا »
- ١٠ التواريخ البيعية »
- ١١ مختصر التواريخ البيعية »
- ١٢ تاريخ مجمع السريان اللبثاني المعقود سنة ١٨٨٨ في الشرفة افرنسية
- ١٣ بيان رئاسة بطرس زعيم الرسل وخلفائه الاحبار الرومانيين من تقليد البيعة  
الريانية ( طبع رومية ) لاتينية
- ١٤ مقالة في تعليم البيعة السريانية في انبثاق روح القدس سريانية
- ١٥ خطبة تاريخية في رئاسة بطرس الرسول مع تأييدها بنصوص من آباء  
الكنيسة السريانية عربية
- ١٦ الفصاري في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعاقب ببلاد الشام وما يجاورها »
- ١٧ بيان طقس البيعة الانطاكية السريانية ونافورته افرنسية
- ١٨ المقابلة بين نافورة القديس يعقوب المستعملة عند السريان ونافورة القديس  
يوحنا فم الذهب المستعملة عند اليونان ( ويحلها شرح طويل عن الطقوس اللاتينية  
والسكادانية والارمنية والمارونية والحبشة والقبطية ) افرنسية
- ١٩ مقالات شتى طقسية وتهذيبية الفها وطبعها في رومية لاتينية ايطالية
- ٢٠ بيان لغة أهل دمشق العربية في أيامنا افرنسية
- ٢١ بيان اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح على الارض »

- ٢٢ بحث عن لغة أهل سوريا وفلسطين حين ظهور اللغة العربية فيها وبيان أنها كانت اللغة السريانية  
افرلسية
- ٢٣ مواد مجمع السريان اللبناني المعقود في الشرفة  
عربية لاتفنية
- ٢٤ طقوس جديدة سريانية لاعياد مستحدثة في البيعة الكاثوليكية سريانية
- ٢٥ كalendar عام للبيعة السريانية على مدار السنة  
عربية
- ٢٦ كalendar عام لجميع الطقوس غربية وشرقية (الحقه بكتاب تحفة الزهور)  
»
- ٢٧ نبذة من القوانين البيعية لكهنة ابرشية الموصل  
»
- ٢٨ المقدمة والنتيجة في الخطبة والزيجة  
عربية وسريانية
- ٢٩ الكنارة الصهيونية  
عربية وسريانية
- ٣٠ خدمة القديس الاشعيمي  
عربية وسريانية
- ٣١ فهرست القراءات من العهدين القديم والجديد التي تقال على مدار السنة بحسب الطقس السرياني  
عربية
- ٣٢ تروتض في آلام المسيح لكل يوم جمعة من الصوم الكبير  
»
- ٣٣ الرسالتان الاولى والثانية  
»
- ٣٥ التعليم المسيحي  
»
- ٣٦ التصاريف العربية  
»
- ٣٧ تصاريف الافعال الكلدانية  
كلدانية
- ٣٨ كراسة الاشتقاقات  
عربية
- ٣٩ تعليم القراءة السريانية  
»

وهذه اسماء مؤلفاته التي لم تطبع

- ٤٠ جامع الحجج الراهنة  
عربية
- ٤١ تاريخ السريان  
»
- ٤٢ علم الهندسة  
»
- ٤٣ علم الجبر  
»
- ٤٤ اغلاط ترجمة العهد الجديد العربية التي انشأها البروتستنت في بيروت  
»
- ٤٥ رياضة درب الصليب ( وهي مؤثرة للغاية )  
»
- ٤٦ مجموع خطبه أو مواعظه الدينية  
»

- ٤٧ مقالات في حقيقة سر الاوخرستيا عربية وفرنسية  
 ٤٨ قداس حبري سرياني على أصول الموسيقى الاوربية » سريانية  
 ٤٩ تصانيف موسيقية شتى عربية سريانية  
 ٥٠ مجموع المناشير أو الرسائل الرعوية التي انفذها من حين اسقفيته عربية  
 ٥١ التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة ( فوائد تاريخية مهمة ) »  
 وله فضلاً عن ذلك خدمات جزيلة خدم بها العلم كتتميع بعض الكتب أو ترجمتها أو ضبطها ومنها ما قد طبع كالكتاب المقدس وكتاب الصلوات السريانية وغيرها وبعضها لم يطبع . وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها أو نقحها أو ضبطها ٣١ كتاباً بعضها يزيد على عدة مجلدات فيكون عدد كتبه بين تأليف وتصنيف وترجمة وضبط ٨٢ كتاباً في لغات مختلفة اكثرها في مواضيع وعرة المسالك صفاته

كان رحمه الله ربع الفامة بشوش الوجه سريع الخاطر رقيق الجانب واسع العلم في سائر العلوم التاريخية واللغوية والدينية وكان يعرف من اللغات ١٥ لغة ولكنه كان مغرمًا بنوع خاص باللغات الشرقية وتحليلها بما يسمى علم الفيلولوجيا أو الفلسفة اللغوية وكان عمدة هذا العلم ومورد قصاده . فلما طبعنا كتابنا « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » سنة ١٨٨٦ ارسلنا اليه نسخة منه على سبيل الهدية فكتب اليها كتاباً يدل على حسن ظنه بنا ورغبته في تنشيطنا وهاك نص الكتاب بعد الديباجة نشره اقراراً بفضلته ودليلاً على رفته ودعته قال :

« أما بعد فاقول اني قرأت كتابك النفيس الذي عنوانه الالفاظ العربية الخ في النسخة الذي تفضلت باهدائها اليّ فوجدته مؤلفاً كاملاً في فنه وافياً بكل الشروط على اتم وجه ودالاً على طول باع مؤلفه في هذا الفن الجديد من العلوم اللغوية الذي لم ينتبه اليه قبل اليوم أهل وطننا . فلهه درك كم تجرت في هذا الباب الصافي وكم استخرجت منه من الدر الثمين . فحقت ان اهنئك واشكرك باسم الجمهور كله ولا سيما أهل وطننا اذ انك على ما أعهد اول من فتح لهم هذا الباب الجليل والسلام

الحب الشاكر

اقليميس يوسف داود

عن دمشق الشام في ٤ شباط سنة ١٨٨٨

مطران دمشق على السريان »

وقد دارت يدينا وبينه بعد ذلك مكاتبات بشؤون مختلفة مرجعها الى مبحث اللغات وفلسفتها لا محل لها هنا وكم تمنينا ان نلقاه وجهاً لوجه وقد عزمنا على ذلك وقصدنا زيارة دمشق سنة ١٨٩٠ لهذه الغاية فانبتنا بوقاته ونحن في منتصف الطريق في بلدة زحلة فعدنا ولم نزل وطراً

أما في التاريخ فكانت له باع طولى ولا سيما في تاريخ الدول القديمة كالفارسية والاشورية والبابلية والمصرية والفنونية واليونانية والرومانية . وكان ورعاً تقياً سليم القلب مخلصاً غيوراً متواضعاً محافظاً على الفروض الدينية كارهاً لنعيم الدنيا راغباً عنها



## مارون النقاش

مؤسس فن التمثيل في اللغة العربية

ولد حنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٥٥ م

ولد رحمه الله في صيدا وتربى في بيروت وكان من حوادثه ميالاً الى العلم فاتقن الآداب اللسانية وغيرها كالصرف والنحو والعروض والبيان والمنطق وأخذ في نظم الشعر وهو في الثامنة عشرة وتعلم الحسابات التجارية على الاصول الا فرنجية وعلمها لكثيرين فكان امام هذا الفن في بيروت . وتعلم ايضاً القوانين التجارية وكان التجار يرجعون الى رأيه فيها . واتقن اللغة التركية والايطالية والفرنساوية . وكان له ولع بالموسيقى . وارتقى في مبدأ عمره الى رئاسة كتاب جرك بيروت ثم انقطع للتجارة الى آخر حياته

وكان فيه ميل الى السفر مع صعوبته في ذلك الحين فساح في سوريا كلها . ثم جاء الاسكندرية ومصر سنة ١٨٤٦ في أواخر ايام محمد علي وشخص منها الى ايطاليا وهي يومئذ لا تزال اكثر ممالك اوربا علاقة بالشرق وحضر فيها تمثيل الروايات على المراسح فادهشه ما في ذلك من اللذة والفائدة بتمثيل العبرة حتى يراها الناس رأي العين . وخطر له ان ينقل هذا الفن الى العربية لفائدة ابناء وطنه واخذ في العمل حال رجوعه الى بيروت . فضم اليه جماعة من اصدقائه الشبان النجباء الادباء وأخذ يعلمهم التمثيل وألف لهم رواية « البخيل » وهي اول رواية تمثيلية الفت في اللغة العربية . فعلمهم أدوارها حتى اتقنوها ومثلوها في بيته سنة ١٨٤٨ في ليلة حضرها قناصل المدينة واعيانها فاعجبوا بما شاهدوه من دقة التمثيل واتقان التأليف مع حداثة هذا الفن . فشاع خبر ذلك حتى تناقلته الصحف الا فرنجية . فزاد نشاطاً واقداماً فألف رواية « ابي الحسن المغفل » او « هارون الرشيد » مثلها في بيته ايضاً في اواخر سنة ١٨٥٠ ودعا اليها والي سوريا وبعض الوزراء ورجال الدولة وكانوا يومئذ في بيروت فاعجبوا به واثنوا على نشاطه . فلما تحقق نجاح عمله انشأ مسرحاً خاصاً بالتمثيل بجانب منزله خارج باب المرامي بفرمان سلطاني — وقد تحول بعد موته الى كنيسة عملاً بوصيته . وفي هذا المسرح شخص رواية الحسود السليط وهي كثيرة الفكاهة والعبرة . وكان مع ذلك يتعاطى أشغاله التجارية وانما يشتغل بالتمثيل حباً في الفن وكذلك سائر اصدقائه الممثلين . وكانوا في بادئ الرأي يتزلفون الى الناس ويمتلقونهم ليحضروا تمثيلهم ثم صار الناس يتقاطرون اليهم وقد نبغ منهم بعد ذلك جماعة

من كبار الوجهاء وأهل الأدب . ولو مدَّ الله بأجل النقاش لكان لفن التمثيل شأن آخر ولكنه توفي سنة ١٨٥٥ في طرسوس وكان قد ذهب إليها لبعض أشغاله التجارية وهو لم يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره .

تخلف النقاش في أهل بلاده حب التمثيل ورغب بعض أدباء بيروت في هذه الصناعة فعملوا يمثلون الروايات في المراسح الخصوصية أو المدارس الكبرى أو المراسح العمومية وأشهرها مرسح سوريا ولا يزال باقياً إلى اليوم . ومن قدماء المشتغلين بالتمثيل في سوريا بعد النقاش سعد الله البستاني مثل رواية انتظم في سلكها جماعة من نوابغ الشبان يومئذٍ ومنهم الآن غير واحد من العلماء وأهل الواجهة

## ناصيف المعلوف

ولد سنة ١٨٢٣ م وتوفي سنة ١٨٦٥ م

هو ناصيف بن الياس منم المعلوف وُلد في قرية زبوغه في ٢٠ آذار (مارس) سنة ١٨٢٣ م ومال منذ نعومة اظفاره الى العلوم وشغف بها لانه كان وهو صغير يرافق والده الى دار الامير بشير الشهابي الكبير وكان مجلسه حافلاً بالشعراء والعلماء كالشيخ ناصيف اليازجي وبطرس كرامة والشيخ رشيد الدحداح وغيرهم . فكان الامير وأولاده يقولون لوالده « علم ناصيف فننظمه في سلك كتبة هذا الديوان » وهو يسمع مقامهم فيزداد رغبة . فتلقى مبادئ العلوم على أحد السكينة في دير القديس سمعان العمودي واتصل بالطيب الذكر المطران اغايوس الرياشي فكان يكتب له لحسن خطه وانشائه قائم بعض علومه على الخوري اغايوس البناء في بيروت . واتصل ببعض علماء عصره ودرس مبادئ اللغتين الفرنسية والايطالية على بعض المرسلين ومال الى توسيع معارفه وحدثته نفسه بالسفر ولا سيما بعد ان انقطع حبل آماله لخروج الامير بشير الكبير من سورية

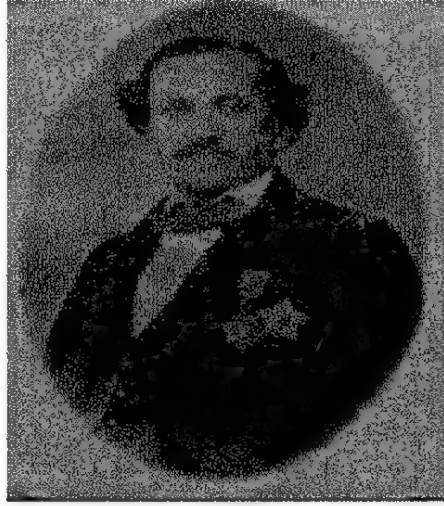
وفي تلك الاثناء قدم التاجر المشهور يوحنا العرقنتجي من مدينة أزمير لترويج تجارته في بيروت اذ كانت قد بدأت حياتها التجارية . فكان يختلف الى الدار الاسقفية لزيارة السيد اغايوس صديق نسيبه الطيب الذي ذكر المطران باسيلوس العرقنتجي مطران حلب فصادقه ناصيف وعرف منه ترقى أزمير العلمي فرغبه في السفر معه ولما كان اليوم التاسع عشر من ايار (مايو) سنة ١٨٤٣ ابجرا من بيروت الى أزمير وكانت المدينة الثانية في عمراتها بين مدن الممالك المحروسة وعدد سكانها نحو مائة الف نفس واكثر ابنيها خشبية . ولما وصلها اتخذ يوحنا ناصيف مدرساً لأولاده العربية والفرنسية واعتمد عليه بادره شؤونه التجارية لمهارته في فن الحساب فاغتنم ناصيف الفرصة لاستزادة علومه فدخل مدرسة اخوة التعاليم المسيحية سنة ١٨٤٤ م ومارس الفرنسية والتركية . وسنة ١٨٤٥ انتظم في سلك اساتذة اللغات الشرقية في مدرسة البروباغنده التي كانت بادره الآباء العازاريين . وكانت له رغبة شديدة بتحصيل اللغات فالتقى التركية والانكليزية واليونانية الحديثة فوق ما كان يعرفه منها واكب على التأليف في بعضها فقال منزلة لدى العلماء ورؤساء تلك المدرسة فائقوا عليه كثيراً ولا سيما الاب اوجان بوره رئيسها الشهير فانه اثنى مراراً على براعته وحسن اسلوبه في التدريس . وبقي ناصيف زهاء عشر سنوات يلقي العلوم ويضع بعض التأليف وقد زار باثنائها

الاول ( اكتوبر ) من تلك السنة فبرحها الى مدينة بخارست حاضرة بلاد رومانيا وانضم الى السر هنري بلور معتمد انكلترة وظل في خدمته ثم رافقه الى الاستانة العلية في حزيران ( يونيو ) سنة ١٨٥٨ وكان ترجاناً له يدرسه اللغة التركية فاهدى اليه معجمه التركي الفرنسي . وفي العام التالي بينما كان يتأهب للسفر الى بر الاناطول قنصلاً للدولة الانكليزية فيها فرغ منصب الترجان الاول لقنصلية انكلترا في ازميز ففضله على منصبه الاول لاسباب صحية وناله برخصة الدولة العلية وبأشر القيام به في شهر ايار ( مايو ) فخدمه خدمة اكسبته رضى هاتين الدولتين وغيرهما من الدول الشرقية والغربية . وكان مع انهما كه هذا المنصب مكياً على التأليف وتصحيح المطبوع من مؤلفاته بمجلد غريب حتى كثيراً ما كان يفسخها بخط يده مرتين أو ثلاثاً . وفي أول تشرين الاول سنة ١٨٦٣ م نشر بعض علماء عصره سيرته باللغة الفرنسية في جريدة رائد الشرق ( Courrier D'orient ) ثم طبعت على حدة في ١٩ صفحة

وبقي مثاراً على العمل والتأليف الى أن قضى الهواء الاصفر في مصر وسوريا واتصل بازميز فاشار عليه الاطباء ان يبرحها الى أوروبا ترويحاً للنفس فشخص الى بعض عواصمها حتى انقطع دابر الوباء فعاد الى ازميز مريضاً واصطفاف في قرية كوتجه من ضواحيها فتوفي في ١٤ ايار ( مايو ) سنة ١٨٦٥ م غريباً عزيزاً فنقل الى ازميز ودفن في كنيسة الآباء العازاريين بضريح خاص وقد ارخت وفاته بقولي الذي كتب تحت رسمه الفوتوغرافي :

فقيدي المملوف ناصيف منم ولكن لاهليه وللم تكدير  
ونفس اديب المصر كالشمس ارخت فمطلها لبنان والغرب ازميز  
وكان ربعة القوام الى الطول رقيق الجسم أبيض اللون يضرب لونه الى السمرة  
خفيف الشعر لطيف المنظر حلو الحديث . وقد نال لدى معاصريه شهرة ذائعة . أما  
اخلاصه لدولتنا العلية ايدها الله فاشهر من ان يذكر اذ كافاته بالوسام المجيدي الخامس  
ببراءة سلطانية في أواسط ذي القعدة سنة ١٢٧٢ هـ ( ١٨٥٥ م ) وتنازل ساكن  
الجنان السلطان عبد المجيد خان فقبل هدية تأليفه وانتظم في سلك أعضاء جمعية العلوم  
والآداب التركية ( انجمن دانش ) التي انشئت في الاستانة سنة ١٨٥١ م وفي الجمعيتين  
الاسيويتين الفرنسية والبريطانية . واتقن من اللغات العربية والتركية والفارسية  
والفرنسية والانكليزية والايطالية واليونانية والف في جميعها . واهدا المغمور له  
ناصر الدين شاه المعجم وسام الاسد والشمس ( شيرخورشيد ) من الطبقة الرابعة ببراءة

الاستانة العلية وباريس ولندن وغيرها من عواصم اوربا ومدنها  
وفي صيف سنة ١٨٤٨ م اغتنم فرصة العطلة المدرسية ورافق بعض السياح  
الاوربيين القادمين الى سورية لتفقد آثارها وجاء مسقط رأسه زبوجة في شهر تموز (يوليو)  
فشاهد أسرته ثم ذهب الى زحلة للاقائهم يوم الثلاثاء في ٢٧ منه وفيها بلغهم ان الهواة  
الاصفر تقشى في حلب قادماً من مصر ويوم الخميس في ٢٩ منه كانت الاسر الكثيرة  
من دمشق تتقاطر الى زحلة هرباً من الوباء . فذهب ناصيف مع رفقائه الى بعلبك  
وعادوا بسرعة الى بيروت وبرحوها قاصدين ازمير فواصلوها حتى بلغهم ان الوباء  
تقشى في بيروت في منتصف آب (اوغسطس) . ومنذ ذاك الحين اختبر ناصيف بنفسه



(ش ٣٨) : ناصيف المفلوف

حاجة السياح الى معرفة اللغات الشرقية فشرع في وضع بعض المؤلفات باللغات التي  
اتقنها واشتهر بتضلعه بالشرقية منها

ولما ذاعت معارفه في انحاء الممالك المحروسة واتصلت باوربا استقدمه اليه اللورد  
ركلن ( L. Raglan ) قائد الجيوش المتحدة في حرب الدولة العلية وروسية فلي  
طلبه مستأزناً الدولة العلية ورافقه في أسفاره في أول آب (اوغسطس) سنة ١٨٥٥  
وبقي الى ٣٠ ايلول (سبتمبر) من السنة التالية بمهنة ترجمان فشهد الوقائع الكبيرة  
وكان يدرس الضباط اللغة التركية وأظهر اخلاصه لدولتنا العثمانية العلية

وفي سنة ١٨٥٦ م ذهب الى مدينة لندن فقال لدى كبار علمائها مقاماً رفيعاً ونظّمته  
جمعية الاثنيوم العلية في سلاك أعضائها فشكر لهم حفاوتهم هذه برسالة مؤرخة في  
تب سنة ١٨٥٧ لا تزال نسخة منها في مكتبتنا . وبقي في عاصمة الإنكليز الى شهر تشرين

مؤرخة في ربيع الاخر سنة ١٢٧٦ هـ ( ١٨٥٩ م ) وفتحت جرائد الممالك المحروسة العربية والتركية والارمنية ابوابها لمقالاته وتقريرط مؤلفاته والثناء عليه . وتكرر اسمه في الجرائد الاوربية ومجلاتها ولا سيما في باريس ولندن وبخارست ومالطة ولقبته بالعالم المتضلع باللغات الشرقية وبالمستشرق الشهير القانع الشهرة ليس في الممالك المحروسة فقط بل في عواصم أوروبا أيضاً . وقال غرسان دي ناسي من مشاهير علماء فرنسا « ان تأليف ناصيف المعلوف تنطق بسعة معارفه واجتهاده » . ولما اعاد الطباع ميروتوف في باريس طبع معجمه الفرنسي التركي الذي طبع أولاً في أزمير سنة ١٨٤٩ م تولى مراجعة مسوداته العلامة أويديشيني فصدره بمقدمة بين فيها فضل الكتاب وافاض في وصف صاحبه وتوسع في اظهار مزايا مؤلفاته ولا سيما سهولة طريقته ووضوح عبارته وتضلعه باللغات الشرقية . واعظم هذه الشهادات ما قاله المسيو بيانكي وكان أول من عني من المستشرقين في وضع معجم فرنسي تركي طبعه سنة ١٨٣١ م فاحرز رواجاً مذكوراً في أوروبا وبقي نسيج وحده فيها الى ان نشأ ناصيف فوضع معجمه واحتذى طريقة بيانكي وتوسع في ذكر المصطلحات اللغوية للفنون والاداب والعلوم فقال رضى العلماء ولا سيما بعد ما جدد طبعه وأعاد النظر فيه - قال بيانكي في كتاب أرسله من باريس الى المترجم سنة ١٨٥٤ م اثنى فيه على تأليفه وخصوصاً على كتابه الفوائد الشرقية . « فأت أول شرقي يشغل بهذه الاعمال لان مؤلفاتك الكثيرة النافعة قد ساعدت على تقدم الدروس العربية والتركية والفارسية .. الخ » وكتب اليه مثل ذلك العلامة الفرنسي رينو ( J. Reinaud ) وغيره من كبار العلماء ومما هو جدير بالذكر ما كتبه بعضهم في مقدمة غراماطيقه التركي الفرنسي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ م تقتطف من قوله ما تعريبه : « ان السكتب الكثيرة التي مثلها الموسيو معلوف بالطبع قوبات جميعها بحفاوة وانالته شهرة واسعة فيبينها كان يشغل بتدريس التركية في مدرسة البروباغنده الفرنسية في أزمير وبرئاسة كتابة ( باش كاتب ) قومندان الفرمان العثمانيين وباعباء الترجمان الاول لفنصلية امكثرة في أزمير ما انقطع قط عن سعيه في نشر تأليفه التي سهلت دوس اللغات الشرقية على الاوربيين ولا سيما التركية منها . كيف لا وانه في مطاوي اثنتي عشرة سنة فقط الف ومثل بالطبع اكثر من خمسة وعشرين مصنفاً كانت مرشداً للسياح في الشرق ومرجعاً للعلماء الاشتقاق » الى أن قال : « ان المؤلفين لم يعثروا حتى الان على أسلوب أسهل واكمل من الاسلوب الذي ابتكره المسيو معلوف فانه بعد ان يشرح القواعد بامضاح يمرن الطلاب بمحاورات وأمثلة من مألوف الرسائل وذلك بلا نكير من أسد الطرق وأقوم المناهج للتوصل الى اتقان التكلم بكل لغة الخ »

أما تأليفه التي طبعت فهي وفقاً لبرنامج مكتبة ميزونوف في باريس سنة ١٩٠٠ وغيرها مع ما وجد من المتحف البريطاني ومكتبة الالباء اليسوعيين الشرقية ومكتبة المدرسة السككية السورية في بيروت كما يأتي :

- (١) مفتاح اللغة التركية طبع في ازمير سنة ١٨٤٦ م (٢) محاورات فرنسية وعربية وانكليزية في ازمير سنة ١٨٤٦ (٣) محاورات فرنسية وتركية . ازمير سنة ١٨٤٧ م (٤) تمارين تركية . الاستانة سنة ١٨٤٧ (٥) محاورات تركية وعربية باللغة الدامية . الاستانة سنة ١٨٤٧ (٦) فكاكات شرقية بالتركية لنصرالدين خوجه . ازمير ١٨٤٧ والاستانة ١٨٥٩ (٧) مجموع جديد لجل ومحاورات بالفرنسية والتركية . ازمير ١٨٤٩ (٨) مبادئ القراءة بالعربية والتركية والفارسية . ازمير ١٨٤٩ (٩) معجم بالفرنسية والتركية طبع أولاً في ازمير سنة ١٨٤٩ وثانية في باريس سنة ١٨٥٦ وثالثة في باريس في مجلدين بعد تنقيحه واطافة اكثر من ستة آلاف كلمة جديدة اليه من علمية وفنية وصناعية وتجارية وسياسية وحقوقية سنة ١٨٦٣ وقد قدمه للسرا بلوير كما مرّ (١٠) محاورات ومنتخبات تاريخية وقصصية مختصرة بالتركية والفرنسية . ازمير ١٨٥٠ (١١) الوادي الطيب بالتركية والعربية . ازمير ١٨٥١ (١٢) مختصر الجغرافية القديمة والحديثة . ازمير ١٨٥١ (١٣) كتاب المراسلات التركية ( انشائي جديد ) . الاستانة ١٨٥٢ (١٤) مختصر التاريخ العثماني بالفرنسية . ازمير سنة ١٨٥٢ (١٥) دليل المحادثات بالتركية والعربية والفارسية . ازمير ١٨٥٣ (١٦) محاورات بالتركية والفرنسية وبالفرنسية والتركية . ازمير ١٨٥٤ (١٧) فوائد شرقية في اللغات التركية والعربية والفارسية . ازمير ١٨٥٤ (١٨) الهجاء العثماني طبع اولاً في ازمير ١٨٥٤ وثانية في باريس ١٨٦٣ (١٩) الخطابات المملوكية بالتركية والعربية . الاستانة ١٨٥٦ (٢٠) دليل المحادثات باللغات الخمس الايطالية واليونانية والتركية والفرنسية والانكليزية طبع مرتين في باريس سنة ١٨٥٧ و ١٨٨٠ (٢١) دليل المحادثات باللغات الاربع الفرنسية واليونانية الحديثة والانكليزية والتركية طبع ثلاثاً في باريس سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٣ و ١٨٨٠ (٢٢) دليل المحادثات باللغات الاربع الايطالية والتركية والفرنسية والانكليزية . باريس سنة ١٨٥٩ (٢٣) دليل المحادثات باللغتين الانكليزية والتركية طبع مرتين في باريس ١٨٥٩ و ١٨٨٠ (٢٤) دليل المحادثات باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والتركية طبع في باريس مرتين سنة ١٨٦٠ و ١٨٨٠ (٢٥) غرامطيق اللغة التركية بالعربية طبع في باريس سنة ١٨٦٢ ثم ١٨٨٩ بعد ان نظرفيه المسيو كليمان هوارت ( C. Huart ) ترجمان

السفارة الروسية الثاني في الاستانة العلية قبلاً ومدرس في مدرسة اللغات الشرقية حالا وهو مصنف كتاب تاريخ آداب اللغة العربية بالفرنسية (٢٦) معجم تركي وفرنسي بمجلد واحد . باريس سنة ١٨٦٣ و ١٨٦٧ (٢٧) دليل الحادثات باللغات اثلاث الفرنسية والانكليزية والعربية طبع في باريس سنة ١٨٦٢ ثم سنة ١٨٨٠ فيها — هذا وهناك مؤلفات له لم ننثر على اسمها وزمن طبعها اخضا نقل حكايات باركن ( Berquin ) من الفرنسية الى التركية وما رواه صاحب راشد سورية في الصفحة ٨٠ ولعله الجغرافية التي وصفت بعدد ١٢ فضلاً عما بقي مخطوطاً

وهالك بعض ألقابه المطبوعة تحت اسمه في الغراماطيق التركي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ وفي بعض مؤلفاته الأخرى كالمعجم الفرنسي التركي المطبوع في باريس سنة ١٨٥٦ وهي : « استاذ اللغات الشرقية وعضو الجمعية الآسيوية في باريس وواضع التأليف الكثيرة بالتركية والعربية والفارسية والفرنسية وغيرها المؤذنة بنشرها جمعية العلوم والآداب الملكية في الاستانة العلية . وكاتم أسرار وترجمان قومندان الفرسان الانكليزيين العثمانيين وممتحن الضباط الانكليزيين باللغات الشرقية ومدرسهم اللغة التركية . والترجمان الاول لقنصلية بريطانيا في ازمير وعضو الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية العظمى وايرلانده . وناقل الوسام المجيدي العثماني ووسام الاسد والشمس الايراني الخ »

« عن دواني القطوف »

في تاريخ بني المملوك



## سليم دي نوفل

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٩٠٢

نعي الينا من مدينة بطرسبورج عاصمة الروس رجلٌ من خيرة رجال سوريا الذين اخرجتهم أحوالها فلتَمسوا العمل في بلاد الغرب فنالوا ما شاءوا من الثروة والجاه والمقام الرفيع في ممالك اوربا واميركا . والسوري مقدم لا يبالي بالاسفار في طلب العلى — ورت ذلك من اسلافه الفيزيقيين . على اننا لا نظنه كان عرضة للمهاجرة وتجنهم الاخطار في عصر من العصور السالفة مثل تعرضه لذلك في هذا العصر بالنظر الى سهولة الاسفار واتساع أبواب الرزق

وفي جملة الذين قضوا حياتهم في ديار الغرب ونالوا جزاء اجتهادهم وفضاهم المرحوم سليم دي نوفل مستشار الدولة الروسية وترجمان امبراطوريتها واستاذ اللغتين العربية والفرنساوية والفقه الاسلامي في قسم اللغات الشرقية بنظارة الخارجية الروسية — وهاك خلاصة ترجمة حاله مما نقله الينا أحد اصدقائه القدماء قال :

وُلد رحمه الله نحو سنة ١٨٢٨ في طرابلس الشام من عائلة عريقة في الفضل والوجاهة والعلم ومنها المرحوم نوفل نعمة الله نوفل صاحب المؤلفات الشهيرة في آداب العرب وعلومهم ( راجع ترجمته في هذا الكتاب ) تلقى مبادئ القراءة في بعض المدارس الابتدائية وهي قليلة في ذلك العهد ثم كان أكثر ما اكتسبه من العلم بعد ذلك بجده واجتهاده فظهرت مخايل النجابة عليه من نعومة أظفاره . فلما شب نال ثمرة أتعابه فتعين وكيلا لشركة البواخر الروسية في طرابلس الشام ثم تافت نفسه الى السياحة فخرج الى اوربا فطاف بممالكها وخصوصاً بمملكة الانكليز ورجع الى طرابلس واتفق نحو سنة ١٨٧٠ ان دولة الروس طلبت من قنصلها في بيروت ان يعث اليها برجل يحسن اللغة العربية ليعلمها للشبان الروسيين الذين يتهاون لخدمة السياسية في الشرق . فوقع الاختيار على صاحب الترجمة فشخص الى بطرسبورج ومعه عائلته وأقام مدة في التدريس نال في اثنائها ثقة أهل البلاط وكبار رجال الحكومة فعملوا يرقونه ويزيدون راتبه ويحملون عليه حتى صار من مستشاري الدولة فضلاً عن منصبه في تعليم اللغتين العربية والفرنسوية . وانتدبه جلاله القيصر غير مرة لينوب عنه في مهمات سياسية بباريس ورومية . وبعضها للمخابرة بشأن الكاثوليك في بولونيا نظراً لما كان له من سعة الاطلاع في تاريخ الاديان والآداب الشرقية . وانتدب غير مرة

## محمد بيرم

ولد سنة ١٢٥٦ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو من علماء تونس ووجهائها ومن أكثر المسلمين تفانياً في نصرة الاسلام . ولد في تونس سنة ١٢٥٦ هـ ( ١٨٤٠ م ) ويتصل نسبه ببيرم أحد قواد الجند العثماني الذي جاء تونس بقيادة سنان باشا سنة ٩٨١ هـ تفقه في جامع الزيتونة ونشأ حر الضمير يكره الاستبداد فسرّه انشاء مجلس الشورى في الحكومة التونسية على عهد الصادق باشا وكان من اكبر نصرائه وتولى رئاسة المجلس الوزير خير الدين باشا

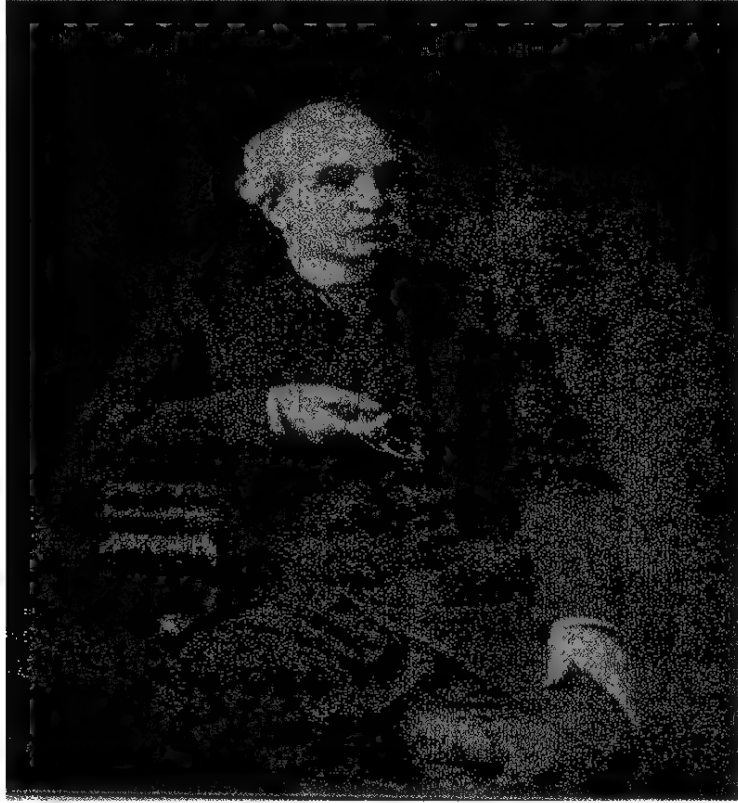
وتعين بيرم سنة ١٢٨٧ هـ مدرساً في الجامع المذكور وبعد سنتين توفي والده عن ثروة طائلة وظهرت في أثناء ذلك فتنة عمومية في الايالة التونسية على أثر انحلال مجلس الشورى فشق ذلك عليه وتمكنت علاقاته مع خير الدين باشا من ذلك الحين لاتفاقها في النقمة على الحكومة

وفي سنة ١٢٩٠ هـ عاد خير الدين باشا الى الوزارة الكبرى في تونس فجاهر بيرم بنصرتة وصرح بأرائه السياسية على صفحات الجرائد وهو أول من تجاسر على ذلك هناك . وأعجب الوزير بنشاطه وتمقله فعهده اليه ادارة الاوقاف سنة ١٢٩١ هـ فاحسن ادارتها ونظمها وأصيب في السنة التالية بانحراف حمله على السفر الى أوروبا للاستشفاء ولقي في باريس المارشال مكماهون فأكرمه وحضر المعرض العام وشاهد كثيراً من تمارق أهل هذا التمدن فلما عاد الى تونس اخذ في تنظيم مستشفياتها على نحو ما رآه في مستشفيات أوروبا

ووقع في أثناء ذلك بين قنصل فرنسا الكونت دوساندي والحكومة التونسية نزاع على قطعة أرض كانت الحكومة منحتها اياها لتربية الخيل على شروط أدخل بها قرارات استرجاعها قابي وبينما هي تنازعه وتجادله عليها ذهب الوزير وهو يومئذ مصطفى ابن اسماعيل الى تلك الارض ودخلها عنوة في زمرة من اعوانه . فاغتم القنصل هذا التعدي لتسكين سيادة دولته في تونس فرفع أمره اليها وطلب عزل الوزير تخاف هذا وامرّع الى الترضية فعينوا لجنة تحكيم كان بيرم أحد أعضائها فآخذ جانب الدفاع عن الحكومة بكل قواه وكان يحيف البنية مصاباً بمرض في الاعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم يستخدم المورفين لتسكين آلامه

للحضور في المؤتمرات الشرقية التي كانت تعقد في أوروبا للبحث في اللغات الشرقية وآدابها

وكان يعرف اللغات العربية والفرنساوية والانكليزية والايطالية والروسية والتركية واليونانية وبعض اللغات الشرقية القديمة . وكانت له مهارة خصوصية بالانشاء



( ش ٣٩ ) - ايم دي نوبل

الفرنساوي وكانت حكومة الروس تراعي جانبه وتمكرمه فاعطته نصراً في أحسن احياء بطرسبورج للاقامة فيه مع امرأته وأولاده . وله عدة مؤلفات في الفرنسية منها كتاب الزواج والطلاق وكتاب سيرة النبي طبعاً بنفقة نظارة المعارف الروسية

فأثر ذلك في صحته واضطر ان يشخص الى باريس للاستشفاء وأما اللجنة فصدر حكمها لمصلحة القنصل

ونهب التونسيون على أثر ذلك يطالبون الجنوح من الحكم الاستبدادي الى الشورى وسعوا في ذلك سعياً حثيثاً لم يأت بنتيجة لان أمير البلاد يومئذ لم يعضد مطالبهم . ويقال ان ذلك كان بتحرير فرنسا لانها تعتقد ان الحكومة الدستورية تخالف مصالحها هناك . وأما بيرم فقد كان في مقدمة الراغبين في الشورى وعاتبه الأمير على تعصده الاهالي في مطالبهم فاجابه بحرية لم يعهد مثلها وبين له خطأه

وتوجه تلك السنة الى باريس كأمادة واغتم وحوده هناك فرفع الى غمينا تقريراً مسهباً يشكر فيه سوء تصرف القنصل ووقوفه في سبيل كل مشروع نافع للبلاد . وبلغ خبر ذلك الى القنصل فراد غضباً ونقمة وافق في اثناء طلب التونسيين الشورى ان الدول كانت مشغولة بجماع اسماعيل باشا خديوي مصر وكان الصدر الاعظم في الاستانة يومئذ خير الدين باشا ونظراً لما يعلمونه من علائق بيرم بخير الدين استنح الفرنسيون ان مطالب التونسيين لم يكن الغرض منها الا فتح السبيل لمداخلة الباب العالي واتهموا صاحب الترجمة انه الواسطة بذلك . ولما بلغه الخبر استعفى من منصبه في تونس وعزم على البقاء بميداً عنها لسكنه عاد اليها بعد الحاح أصدقائه . وكان قد فهم وهو في باريس رغبة فرنسا في ضم تونس الى املاكها ضماً كلياً وانها أغرت الوزير مصطفى فلأها طمعاً بالترقي فذهبت آمال صاحب الترجمة بانقاذ بلاده فزم على الخروج منها فلم تأذن الحكومة بسفره فاحتال بطلب الرخصة للحج فاذن له فخرج سنة ١٢٩٦ وجاء مصر وسافر منها الى الحرمين ثم يم سورياً فالتسطينية فاحسنت الدولة وقادته . ولكن الوزير التونسي كتب الى الباب العالي بارجاع الشيخ بيرم لانه لم يقدم حساباً عن ادارة الاوقاف التي كانت في عهده فنصره خير الدين ولم يسلمه . ولما تم لفرنسا ضم تونس الى املاكها سنة ١٢٩٨ عزلت الوزير مصداقي وعاملته معاملة الخائن

واشتغل الشيخ محمد بيرم في اثناء اقامته في الاستانة بالكتابة والتحرير وراعى صحته فتحسنت كثيراً وقل استماله للمورفين وكانت وجهته النظر في ما آل اليه حال البلاد الاسلامية من طمع الأجانب ووصف الادوية للافاة ذلك ولم يجد الكلام نفعا

ولما تحقق رسوخ قدم فرنسا بتونس ينس من العودة اليها فاراد ان يكون قريباً من أهله فانتقل الى مصر بعد الحوادث المرامية سنة ١٨٨٤ وقد باع املاكه في تونس ونقل عائلته منها وانشأ في مصر جريدة سياسية اسمها «الاعلام» تصدر ثلاث مرات

في الاسبوع ثم صارت اسبوعية وكانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم فانتقد بعضهم عليه هذه الحطة لانها تخالف ما كان عليه في تونس وانه انما هجرها قراراً من الحكم الاجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك ؟ ولكن الذين يرون رأيه كانوا يتذرون بأنه انما حث على محاسنة الانكليز والاستفادة منهم لان معا كستهم وأمر البلاد في ايديهم لا يجدي نفعا وان مجافاة الفرنسيين أوجدت اسباباً ساعدتهم على ضم تونس الى بلادهم . وقد ألجأه الى انتهاج هذا المسلك ايضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس وما آتاه من العوامل المحركة في مصر باغراء بعض الاجانب الذين يفرون صدور الناس على حكامهم مما يعود بالضرر

واخطر بهد اقامته سنتين بمصر أن يعود الى أوروبا فتمم سياحاته فيها وعاد الى مصر فعينته الحكومة سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة مصر الابتدائية وكثيراً ما كلفته الوزارة كتابة ملاحظاته على القضاء الشرعي لانه كان واسع الاطلاع فيه وما زال عاملاً مجتهداً رغم ما يتورده من المرض حتى توفي سنة ١٣٠٧ ( ١٨٨٩ )

وقد خلف آثاراً كتابية اكبرها كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار طبع بمصر في خمسة اجزاء وهو عبارة عن رحلة عامة في أوروبا ومصر والشام والجزائر وغيرها وذكر فيها كثيراً من الحقائق التاريخية والاجتماعية عن بلاد العرب وتونس والجزائر لا تجدها في كتاب آخر واكثرها شاهده بنفسه أو كان داخلاً فيه ولا سيما تاريخ تونس والجزائر

وله ما خلا ذلك رسالة « تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص » ومختصر في فن العروض . ورسالة في « التحقيق في شأن الرقيق » بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسيحية وان منع الحكومات الاسلامية لتجارة الرقيق شرعي وكتاب « تجريد الاسنان لارد على الخطيب رينان » رد فيه على ما كتبه رينان في الاسلام والعلم . ورسالة في جواز ابتاع أوراق الديون التي تصدرها الممالك . لاسلامية حتى تبقى أموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الربا وهو لا ينطبق في هذه الحالة عليها . وalf كتاباً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى وجوب انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين طبقات الناس

وله كتابات أخرى لم نقف على اسمائها ويؤخذ من مجملها ان صاحب الترجمة كان من محبي الاصلاح وتقريب المسلمين الى عوامل التمدن الحديث وازالة ما قد يعترضهم من أشباه الموانع الدينية على نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده رحمه الله

قصيدة رفعها اليه فامر له بمجازة على جاري المادة فرفضها فاستغرب الوالي ذلك منه واستقدمه وسأله عن سبب الرفض فقال «اني رفعت اليك مديحي التمس منك ان تستخدمني في بعض دوائر الحكومة للقيام بأود عائلتي» وقص عليه حديث والده فاعجب الوالي بنباهته فوظفه في قلم الاملاك والنفوس في قاعة قامية صور والتقى هناك بزوجة عمه له اسمه تقولا الزهار كان عالماً بالفقه فاحس بميل الى هذا العلم فدرسه عليه ثم أخذ يتبحر به لنفسه حتى كثيراً ما كانوا يستقضونه في بعض الشؤون . وكان من حوادثه ميالاً الى الاعراب في كلامه فاذا تكلم انكلم فصيحاً معرباً وتود ذلك حتى صار ملكاً فيه الى آخر ايامه



( ش ٤٠ ) : تقولا توما

قضى تلك الحداثة الضيقة ونفسه تطلب المزيد ومطامعه لا ترضى غير العلى والاحوال تقعده وتغنيه فاتفق استقالة الوالي الذي استخدمه ورأى مقاومة من رئيسه فذهب الى بيروت وقدم استمفاه فاعفوه فطلبه المطران اغايوس الرياني ان يتولى التدريس في مدرسة عين القش ببلنان فاجاب ووجد في تلك المدرسة مكتبة حافلة بالكتب المنطقية والفلسفية والتاريخية فاستفاد من مطالعتها كثيراً . ولكنه عاد الى مطامعه ورأى نفسه اكبر من ان تسعها تلك الحالة فاستعفى ونزح الى الاسكندرية في

## نقولا توما

ولد سنة ١٨٥٣ وتوفي سنة ١٩٠٥

وُلد في صور وقد نفدت ثروة والده ونشأ وهو يسمع ما كان لهم من سعة الرزق وكان فيه نشاط وهمّة وذكاء، فانصرفت أفكاره الى انهاض عائلته والاخذ بيد والده الشيخ . وقبل أن يدرك السادسة من عمره أخذ في تآقي العلم ببعض المدارس الصغرى ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين فظهر ذكاؤه ونبوغ بين أقرانه وسبق كثيرين منهم وكان من حدائنه ميالا الى القاء الخطب والاساتذة يلاحظون ذلك فيه ويبشرون والده ان ابنه سينبع خطيباً

وكأنه رأى من والده عجزاً عن القيام بأجرة تعليمه ( ريال مجيدي في الشهر ) فعرض على الآباء اليسوعيين ان يعلم بعض صفوف المبتدئين في مقابل أجرة تعليمه فاجابوه . واتفق انه سيعلم بعض رفاقه من آل اييلا يتباحثون في بعض المسائل النحوية فرغب في النحو والتوسع فيه فوق ما تدرسه تلك المدرسة فبث أمره الى والده فاخذ يبحث عن المعلم وأجرة التعليم فوجد ان المعلم هو عم أولئك التلامذة الخواجه ميخائيل اييلا فمضى اليه وقص رغبة ابنه عليه فتبرع الخواجه اييلا بتعليمه مجاناً وصاحب الترجمة يومئذ في الثانية عشرة وقد كبر عليه أن يتعلم بدون أجرة أو ما يقوم مقامها فجعل يخدم معلمه في جميع مصالحه جهده طاقته . وكان قوي الحافظة فتعلم النحو وبرع فيه ومال الى الشعر فدرس العروض . ولم تمض عليه سنة في هذه الدروس حتى عزل والده من وظيفته بالكمرك وزادت ماليته ضيقاً فتنقص الغلام فاستشار والده في الذهاب الى بيروت ليعمل عملاً يمينه فيه على المعاش فإبى الا ان يتم دروسه فادخله مدرسة المعلم بطرس البستاني في بيروت . واتفق ان أخته كانت مقيمة مع زوجها هناك ورأت في اخيها ذكاء ورغبة في العلم فرتبت له معلماً يعلمه الفرنسية في بيتها وحاطته أحسن حياطة وهو راغب في العمل فلم بعد نصف سنة أن جريدة التقدم تحتاج الى محرر او مترجم فتقدم اليها فاستخدموه فيها براتب زهيد فكان ذلك اول اشتغاله بالصحافة وهو لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره

وأخذت مواهبه تظهر من ذلك الحين وعمد الى استحداث رفاقه على تأسيس جمعية وطنية لم يتم له انشاؤها . وكان خاطره مع ذلك قلقاً على حال عائلته بعد ان اقبل والده من وظيفته فاغتم قدوم والي سوريا لتمضية فصل الشتاء في بيروت ونظم

## حسن باشا محمود

ولد سنة ١٧٤٧ هـ وتوفي سنة ١٩٠٦ هـ

هو من أهل الدور الثاني للنهضة الطبية الأخيرة باعتبار تفاوتهم في أسلوب التأليف واختلافهم في المصادر التي تلقوا العلم عنها . نبغ من بين العامة وارتقى بمجده واجتهاده حتى صار من أرقى طبقات الخاصة علماً ووجاهة . ونبوغ العامة الى طبقة الخاصة يكثر



( ش ٤١ ) . حسن باشا محمود

على الخصوص في اثناء الانتقال من عصر الى آخر او من دولة الى اخرى . اذ تصبح السعادة فوضى يتنازع الناس في اغتنامها فينالون منها على مقادير قوامهم وحظوظهم  
ولد حسن باشا محمود في قرية صغيرة على طريق الاهرام يقال لها الطالبة وتلقى مبادئ العلم في المدرسة الحربية حتى اذا آن زمن الارشالية العلمية لعام سنة ١٨٦٢ بعد وفاة المسيو جومار أرسلوها الى المانيا وكان صاحب الترجمة في جملة أعضائها للتفقه في الطب فاقاموا حيناً في مونيخ يتعلمون بالالمانية ثم انتقلوا لدروسهم في فرنسا لاسباب اوجبت ذلك الانتقال . فعاد صاحب الترجمة الى مصر سنة ١٨٧٠ ويده الدبلومة



آخر سنة ١٨٧٤ وأخذ يبحث عن عمل يرتزق به فوفق الى وظيفة مترجم بمصلحة الملح وظل ملازماً للتدريس في أوقات الفراغ فرأى في تلك المصلحة فساداً فانتقده فعزلوه فأتى القاهرة ونظم قصيدة رنمها الى رياض باشا ارفقها بكتاب ذكر فيه انه يستطيع عرض نظام مفيد لمصلحة الملح والوزير حر بقبوله أو رفضه . فاستحسن الوزير عزة نفسه واجاب طلبه فرفع عدة تقارير كان لها وقع حسن عند الحكومة وعملت بمقتضاها فاصدرت أمرها باحتكار الملح سنة ١٨٧٩ واعتمدت على صاحب الترجمة في كثير من مهامها وارتقى في هذه المصلحة الى وظيفة مفتش في المديرية ولكن نفسه ما زالت تطلب المزيد فاستقال سنة ١٨٨٥

وكانت الصحافة العربية يومئذ لا تزال طفلة ولها مع ذلك تأثير في دوائر الحكومة والنفس الكبيرة ترى في صناعة القلم باباً لسد مطامعها في سبيل الشهرة فضلاً عن لذة الكتابة فأخذ صاحب الترجمة يشتغل في تحرير جريدة مرآة الشرق . ثم سافر الى باريس للسياحة فاتي هناك المرحومين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ورحل منها الى لندن وعرف في رحلته هذه عدداً من رجال الفضل واطلع على حقيقة التمدن ورأى الدنيا كما هي فعاد الى مصر وقد عدل عن الصحافة الى المحاماة فاتي مشقة كبرى فاز في آخرها ونفسه لا تزال تميل الى القلم فاستخدمه في سبيل المحاماة فانشأ مجلة الاحكام المصرية وكان لها شأن حسن في عالم الصحافة على أن سمة اعماله في المحاماة أدت الى ايقافها من عامها الثاني . وظل مثابراً على تلك المهنة ونبغ فيها حتى عد من اكبر رجالها وامتاز عن معظم زملائه بفصاحة العبارة واعرابها فقد شهدناه في بعض مجالس القضاء يعرب الكلام ويلقيه فصيحاً بليغاً لا يتوقف ولا يتلعجج مع جرأة واستقلال فذكر فلا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يبالي ان يتول للمخطيء اخطأت ولو كان قاضياً أو اميراً فاضطفت عليه صدور البعض حتى اذا سنحت لهم فرصة حاسبوه فيها على عمل لا يعد في عرف المحامين ذنباً وان كان القانون لا يسوغه ورافق ذلك قرائن أخرى آلت الى اخراجه من سلك المحامين وهو في ابان الحاجة الى الراحة وكان الاطباء قد أشاروا عليه بما منذ أعوام وهو لا يستطيع ايقاف تيار أعماله بعد ان اتسعت اشغاله وحام اصحاب القضايا حوله . فلما حكم عليه بالراحة كان ذلك لازماً لصحته بعد ان أنهكها الجهاد في طلب العلى . وكان الراحة اتت بعد فوات الفرصة فذهب للاستشفاء في بعض مدن أوروبا ف قضى هناك في مدينة افيان في ٢٥ اوغسطس سنة ١٩٠٥ وحملت جثته الى مصر

الطبية فعيّنته الحكومة المصرية استاذاً للتشريح في مدرسة القصر العيني ثم تولى تدريس علوم أخرى وراتبه يزداد والانعام تتوالى عليه وكان راغباً في الشهرة فانتظم عضواً في جمعيتين قبل رجوعه من باريس فلما صار استاذاً في مدرسة قصر العيني انتدبته الاكاديمية البرازيلية لعضويتها وعين عضواً في عدة مؤتمرات طبية وتقلب في مناصب كثيرة بدوائر الامراء وفي الماية السنية وفي مصلحة الصحة والمدرسة الطبية . وما زال يرتقي في ذلك حتى تولى ادارة مجلس الصحة ثم رئاسة مدرسة الطب وكان كثير التفكير في العمل والسعي في التقدم . ومن مساعيه انه انشأ مجعماً طبياً بمصر لم يطل عمره كثيراً

وكان مع ذلك كثير الاشتغال في الكتابة والتأليف وله مقالات طبية وعلمية تناولها الجرائد والمجلات وتباحث بها الاندية والجمعيات . أما مؤلفاته فاكثرها منقول او ملخص عن الالمية ولكنه كان كثيراً ما يث آراءه واختبارات فيه . أولها كتاب أنفه في الفرنسية قبل رجوعه من باريس موضوعه « داء الفقاع » أتى فيه على تاريخ هذا الداء من أول عهد الطب الى الآن وذكر رأيه في كثير من ابوابه وكان له وقع حسن عند أطباء الافرنج

وأكثر ما ألفه من الكتب بعد ذلك منشور بمصر في العربية ككتاب الفرائد الطبية في الامراض الجلدية ذكر فيه كثيراً من الامراض الجلدية الشائعة في القطر المصري وكتاب الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية . وكتاب البواسير ومعالجتها وتحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري . والف رسائل في حمى الدنج وحمامات حلوان والكوليرا والنزلة الوافدة ومقالات كثيرة نشر أهمها في المقتطف منها مقالة ضافية في النباتات المصرية ومقالات في الزراعة بوادي النيل والحشيش والدمل المصري والتراخوما والسل غير ما نشر من قلمه في المجلات الطبية بمصر وغيرها وبالجملة فقد كان رحمه الله عاملاً نشيطاً مجتهداً مع رقة طباعه وسهولة اخلاقه ورغبته في خدمة وطنه بما يبلغ اليه امكانه

## جميل المدور

توفي سنة ١٩٠٧

هو جميل بن نخلة المدور ولد في بيروت بيت مجد وأدب وخدم آداب هذا اللسان خدمة حسنة يذكرها له التاريخ ما بقيت اللغة العربية تعني كتابه « حضارة الاسلام في دار السلام » فانه من الآثار الباقية وقد مثل به ما بلغت اليه الدولة العباسية من أسباب الثروة والترف والعز والسؤدد برسائل على لسان رحالة فارسي قدم بغداد في أوائل تلك الدولة فلقى المهدي والرشيد وغيرها ووصف حال تلك الدولة سياسياً واجتماعياً وأديباً وتجارياً على أسلوب بليغ تلذ مطالعه وأشار في الحاشية الى المآخذ التي نقل عنها . من ذلك قوله على لسان ذلك الرحالة يصف دار الخلافة وداخلية بيت الرشيد : —

« لقد مضى بي في بغداد بعد العودة من خراسان نحو من ست سنين ما زلت منقطاً فيها الى البرامكة وحافظاً لمقامي في الدولة تحت ظاهم وعنايتهم . وكنت اتردد في خدمتهم الى دور الخلافة فاقف على أحوال الرشيد في داخلته وأهل بيته فرأيت أنه أعزّه الله صالح السيرة شديد الاعراق في الدين محافظاً على أوقات الصلاة <sup>(١)</sup> وشهود الصبح لاول وقتها يصلي في كل يوم وليلة مئة ركعة لا يتركها الا لمة تطراً عليه <sup>(٢)</sup> وأذكر انه لما حصل في العام لزنة وغلاء سعر للناس واشتد الكرب عليهم اشتداداً عظيماً أمرهم بكسر الملاحى وكثرة الدعاء والتوبة <sup>(٣)</sup> فذلك دليل فيه على حسن العبادة ار مظهر يروم منه تأييد الدولة بايها المائمة والعلماء ان الاسلام مغتبط بمناحيه . . .

« وابن كنت رأيت له في تدبير المملكة ذلك التصرف الجليل فاني ما وجدته له في تدبير أهل بيته ومواليه وانما يرجع الرأي في ذلك الى زوجه أم جعفر وهي انفذ نساء العباسيين كلمة في الدولة اذ كانت خير بنات بني هاشم وقد ربيت على مهاد الدعة والدلال كما يشير اسمها اليه فانها سميت بزيادة لغضاة بدنها <sup>(٤)</sup> وكان جدّها ابو جعفر يرقصها تلهلاً بها <sup>(٥)</sup> وينظر الى غضاها وملاحتها فسميها بزيادة لذلك . فلما بنى بها الرشيد ووجدها طرفة حديث وصدور رأي جميل لم ير بداً من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومه من الحوائج <sup>(٦)</sup> حتى اذا مكنتها من بيوت المال انفقت من سعة

(١) الفخري ٢٣٠ (٢) المقدمة ١٥ (٣) المستطرف ١ \* ٨٢

(٤) اغانى ٩ \* ١٠٢ (٥) الشريشي ٢ \* ٢٤٥ (٦) اتليدي

ما ينيف عن ثلاثين ألف ألف دينار . فبنت مسجداً مباركا على ضفة دجلة بمقربة من دور الخلافة يسمى بمسجد زبيدة <sup>(١)</sup> ومسجداً سامي الحسن في قطيعتها المعروفة بقطيعة أم جعفر <sup>(٢)</sup> بين باب خراسان وشارع دار الرقيق <sup>(٣)</sup> وحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ومهدت الطرق لئلا في كل خفض ورفع وسهل ووعر <sup>(٤)</sup> حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة <sup>(٥)</sup> فبلغ جملة ما انفقت عليها ألف ألف دينار وسبعماية ألف دينار <sup>(٦)</sup> وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام الا الخيزران ام الرشيد فانها عمرت كثيراً من المساجد <sup>(٧)</sup> ايضاً وبنت دار ابن يوسف بمكة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً جزيلاً البركة <sup>(٨)</sup> وتوفرت عندها الاموال حتى بلغ الذي خلفته مع ما توسعت فيه من النفقة مئة ألف ألف درهم <sup>(٩)</sup> . فان لم يكن لزبيدة من الاموال الخاصة ما يبلغ هذا القدر الجسيم فان لها بالسياسة رأياً يسمونها الى التداخل في امور الدولة كافتن ما يكون من الرجال

« وقد صير الرشيد الامر في داخلية بيته بعد زبيدة الى مسرور خادمه العبد <sup>(١٠)</sup> وهو حاجبه وسيد مواليه <sup>(١١)</sup> وله في قصور الخلافة دواوين يقيم فيها حوزته من خدم وحرس وغللمان والكتاب له هو زياد بن ابي الخطاب <sup>(١٢)</sup> يقيم بمقربة من مجلس يوسف بن القاسم صاحب ديوان الانشاء والذي قام <sup>(١٣)</sup> بين يدي الرشيد حين اخذت له البيعة على المسلمين . وفي ذلك دليل على مكان كتابه من الشرف وعلو المرتبة ولا غرو فان له من نفاذ الكلمة في الدولة ما ليس للامراء والحكام مثله اذ كان سيد دور الخلافة والحارس لها لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء الا بعلمه واذنه . وكثيراً ما كنت أرى الملوك يتزلقون بالهدايا اليه ليخاطب الرشيد في حاجاتهم اذ ليس في اهل بيته من ينجرأ عليه سواه <sup>(١٤)</sup> حتى كان اذ ركب لا يجسر أحد على سؤاله الى اين يذهب غيره <sup>(١٥)</sup> »

« والى مسرور هذا الخصى الامر فيما هو خاص بالسراري والقبائل وانهم لكثيرات في دار الرشيد يبلغن زهاء ألفي <sup>(١٦)</sup> جارية يرفلن في أحسن زي من كل

(١) ألف ليلة وليلة ١ \* ٨٣ (٢) ياقوت ٤ \* ١٤١

(٣) ابن حلكان ١ \* ١٨٩ والمستطرف ١ \* ٢٨٩ (٤) المسعودي ٣ \* ٤٠٢

(٥) ابن جبير ١٧٣ (٦) الشريشي ٢ \* ٢٤٥ (٧) ابن جبير ٢٧٦

(٨) المسعودي ١ \* ٣٠٦ (٩) المسعودي ٢ \* ٣٠٧

(١٠) ألف ليلة وليلة (١١) ابن خلدون ٣ \* ٢٢٣ (١٢) أغاني ٤ \* ٩٩

(١٣) المحضرة ٢ \* ١٣٢ (١٤) الاتليدي (١٥) أغاني ٩ \* ٩١

(١٦) أغاني ٨٨ \* ٨٩

نوع من انواع الثياب والجوهر . . . غير ان المقدم عليهن ثلاث اهداهن اليه الفضل ابن الربيع سحر وضياء وخنت ذات الحال لمن صورة تستنطق الافواه بالتسبيح وعيون لا ترتد الا باقتناص النفس وهن اللواتي يرواهن ويقول فيهن الشعر<sup>(١)</sup> ومن ذلك قوله :

أخذت سحرًا ولا ذنب لها ثائي قلبي وترباها الثلث  
ان سحرًا وضياء وخنت هن سحرًا وضياء وخنت

« وكنت اذا حضرت مجلسه وهن يغنين له من وراء الستارة ومعهن غانية منقطعة الى حمدونة بنته يقال لها دقاق لم يطق الستر ان يحجبهن عن نظره فيخرجهن اليه ويقول والله لا صبر لي على الحجاب وانما هو ضعف يميل بي مع هوى النفس » اما حريم الخلافة فانه دوائر كبيرة لا اتصال لها في بعض ولعل هاشمية من بنات الخلفاء دائرة منفردة عما سواها من الدوائر وأعظمها دائرة ام جعفر ودائرة اولاد المهدي ودائرة اولاد الهادي ودائرة اولاد الرشيد من غير زبيدة وزوجه . ولهن جميعاً من الخدم والعلمان والخصيان ما ينهي اليه اسراف الملوك في السعة ويتجلى به جمال السلطان بالزينة والاشراق . وحشي من انغاسهن في النسيم وتقلبن على مهاد الدعة والرخاء انهن يجلسن على فرش الحرير ويتخذن الخدات حشوها من الورد الشير . . . وكنت أرى الجواري من خدم الحاشية يلبسن الوشي المنسوج بالذهب ويتخذن المصائب مكالة بالجوهر وهذه هي الزينة التي عمت نساء القصر اقتداء بعلية اخت الرشيد اذ كانت اول من اتخذ المصائب لميب في جبينها فسترته بها فكان ذلك أحسن ما ابتدعته النساء ثم اتخذها بعدها سحاء جارية اسحق النديم وفريدة ومنة من مغنيات البرامكة حتى انطلق استعمالها في جميع النساء وصرن يكتبن عليهن الكلام الذي يروق لاهل الهوى . . . اه

وكل الكتاب على هذا الذوق البديع . والمؤلف كتاب في تاريخ بابل وأشور صححه الشيخ ابراهيم اليازجي . وحب الفقيه لالم والادب موروث من المرحوم والده نخله للمدور وللولد فضل كبير على آداب الثقة العربية بطبع كتاب « مجمع البحرين » ليازجي الكبير طبعه على نفقته يوم كانت بضاعة الادب كاسدة فبذل المال الكثير في نشر ذلك الكتاب رغبة في نشر العلم فنظم الشيخ ناصيف اليازجي يومئذ في الثناء عليه قصيدة قال في جماتها :

اذا عدت رجال العصر يوماً فانك واحد مقام الف

(١) أغاني ٥ \* ٦٧ و ١٥ \* ٨١

المنظرات الطائفية التي يافها أهل هذا الجيل . واشهر ما ظهر من آثار صاحب الترجمة في سبيل الدفاع كتاب روح الردود وقد ترجم الى اللاتينية والفرنساوية وطبع غير مرة

وقد زاد الطائفة تمسكاً به وتفانياً في تعظيمه سعي بعض حساده في تحقيره بوشاية رقدوها الى رومية فلما ظهرت براءته عاد مكرماً مبعجلاً واحتفل رعاياه باستقباله احتفالاً احتشدت فيه الجموع من لبنان وبيروت فقيلت الخطب ونظمت القصائد وتواردت عليه رسائل التهنئة بما لم يسبق مثله مثله - وذلك طبعاً في سير الرجال العظام فان ما يلاقونه من المشاق او يقام في طريقهم من العقبات يضاعف شهرتهم لانه



(ش ٤٢) : المطران يوسف الدبس

يحمل مريدتهم على المناداة بفضاهم واذا عاة آثارهم وينشطهم على العمل . فمن من عظيم لولا العقبات التي أقامها أعداؤه في سبيله لظل خامل الذكر او اقتصر في جهاده على بعض ما يستطيعه من الاعمال . فالرجل العاقل اذا كان على ثقة من نفسه وجب عليه ان يسر بما يقيمه أعداؤه او حساده من العقبات في طريقه لان بالضغط والمقاومة تظهر القوى السكينة ويوافق ذلك قول الشاعر :

عداي لهم فضل عليّ ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعدايا

## المطران يوسف الدبس

ولد سنة ١٨٢٢ و صار مطراناً سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٩٠٧

١ — ترجمة حاله

أصل عائلته من غزير بلبنان وانتقل جده في اواخر القرن الثامن عشر الى كيفا ثم استقر ابوه في كفرزينا من زواية طرابلس فولد له صاحب الترجمة سنة ١٨٣٣ فتلقى مبادئ العلم في مدرسة القرية فلما بلغ الرابعة عشرة أدخل مدرسة عين ورقة وهي ارقى مدارس الطائفة المارونية في ذلك العهد فتلقى فيها اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية والمنطق واللاهوت الادبي في مدة اقصر مما تقدره لها المدرسة واضطر مع ذلك ان يغادر المدرسة سنة ١٨٥٠ ولم يمكث فيها الا ثلاث سنوات فانهم ما ينقصه من العلم بالدرس على نفسه لانه كان عالي الهمة ثابتاً صبوراً . ومدارس لبنان في ذلك العهد كانت تعد تلامذتها على الغالب اما للتعليم او للكهانة الا من رحل منهم في طلب الرزق . ولم يكن صاحب الترجمة انتظم بالكهانة فعمد الى التدريس فافتتح سنة ١٨٥١ مدرسة بطرابلس يعلم بها العربية ويقتنم الفراغ للمطالعة والدرس وعرف بين أقرانه بالنشاط وتوقد الذهن فاستقدمه مطران ابرشية طرابلس سنة ١٨٥٣ وكلفه ترجمة كتاب اللدع ودحضها ففعل

وانفق في السنة التالية وفاة البطريرك يوسف الخازن وقيام البطريرك بولس مسعد وكانت للدبس صحبة مع احد مطارنته فاستقدمه البطريرك واقامه معلماً في مدرسة ماري يوحنا مارون ثم آانس منه نفعاً للطائفة اذا انتظم في خدمتها فخله سنة ١٨٥٤ شماساً واخذ يرتقي في رتب الكهنوت فلم يمض عليه ثمانى عشرة سنة حتى صار مطراناً على بيروت وهو المنصب الذي توفي فيه . وانما ارتقى اليه على اثر ما بدا من غيرته على الطائفة وسميه في خدمتها بالدفاع عنها بلسانه وقلمه بما خطبه او ترجمه او الفه . وازداد بعد توليه ذلك المنصب اجتهاداً في هذا السبيل فارتقت الطائفة على عهده واجتمعت كلمها بما كان يبثه فيها من روح الفيرة وما كانوا يرونه من سهره على مصالحهم ودفاعه عن حياضهم

وبما زاده رفعة في أعينهم حتى استمالوا في خدمته انه كان لا يطعن طاعن على المارونية الا انبرى للدفاع عنها بتأليف الردود وأشهر حرب من هذا القبيل انتشبت بينه وبين المطران يوسف داود . فقد احتدم الجدل بين الرجلين نحو سنة ١٨٧١ وكلاهما عالم قوي الحجة فاجادوا في الاخذ والرد بما يلام روح ذلك العصر من

هم عرّفوني ذاتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبت المعالي  
وفي سنة ١٨٩٧ انقضت السنة الخامسة والعشرين من مطرانيته فاحتفلت الطائفة  
يويبه . وكان قدرة حسنة لابناء ملته فتسابقوا الى الاعمال المبرورة بانشاء الجمعيات  
الخيرية والاخذ بيده في مشروعاته وما زال عاملاً حتى توفاه الله . وقد رحل الى  
اوربا خمس رحلات زار بها رومية ومرّ بالاستانة ونال كثيراً من أوسمة الدولة العلية  
وفرنسا وغيرها

## ٢ - مآثره

مكث صاحب الترجمة في مطرانية بيروت ٢٥ سنة أنى في انائها أعمالاً تليق بذكره  
بعضها كتب والبعض الآخر ابدية كالمدراس والكمائس والاديرة غير ما خلفه من الأثر  
الحسن في نفوس رعيته من الاقتداء باجتهاده وفضله . اما الكتب فبعضها من تأليفه  
او ترجمته قبل المطرانية وبعدها والبعض الآخر نقحه وهدبه ومجموع ذلك ٣٥ كتاباً  
اليك اشهرها :

## مؤلفاته

- (١) تحفة الجليل في تفسير الاناجيل
- (٢) معجم للفقهاء لم يطبع
- (٣) مغني المتعلم عن المعلم بالنحو ( مدرسي )
- (٤) مربى الصغار ومربي الكبار »
- (٥) سفر الاخبار في سفر الاخبار ( رحلة )
- (٦) روح الردود على المطران يوسف داوود
- (٧) خطبة في الفلسفة واللاهوت ثلاثة اجزاء
- (٨) تاريخ سوريا مطول ومزين بالرسوم في تسعة مجلدات

## ترجماته

- (١) كتاب البدع ودحضها
- (٢) » الرسوم الفلسفية لم يطبع
- (٣) » اللاهوت الاعتقادي ٤ مجلدات
- (٤) » الحق القانوني لم يطبع

## ما نقحه وطبعه

- (١) كتاب تفسير رؤيا يوحنا للقس يوسف الباني
- (٢) القديس



(٣) الرسائل وكتب الجنازات والافراميات والحسابات والشحيم الكبير

(٤) الكانيكزمو الروماني وذخيرة الالباب وغيرها

مشروعاته

(١) مدرسة الحكمة وهي من أكبر مدارس بيروت تمّ بناؤها سنة ١٨٧٨ وقد مضى عليها نحو ٤٤ سنة وهي تعلم العلوم واللغات فتخرج منها جماعة كبيرة من شبان هذه النهضة وانشأ من تلامذتها وكتبتها جمعية علمية لها حفلات وأعمال

(٢) الكنيسة الكاندرائية الكبرى في بيروت فرغ من بنائها سنة ١٨٩٤ وقد انفق عليها نحو ٢٠.٠٠٠ ليرة وبنى كنائس اخرى ومدارس ونحوها فبلغ مجموع ما انفق عليها كلها وعلى مدرسة الحكمة ٧٠.٠٠٠ ليرة ولم يكلف الابرشية من هذه النفقات قرشاً واحداً وانما كان يجمعه بسميه وحسن أسلوبه

## سليم مخائيل شحادة

ولد سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٩٠٧

وُلد في بيروت يوم الثلاثاء في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٤٨ م في بيت عرف بالفضل والعلم فدرس في المدرسة الارثوذكسية الكبرى المعروفة بالثلاثة اقر التي أسست أولاً في سوق الغرب نحو سنة ١٨٠٢ م) على أشهر اساتذة عهده ولا سيما الياس حبالين فأتقن عليه الفرنسية والعربية على بعض الاساتذة ثم درس الاسكيزية والعلوم على بعض المرسلين وتعمق في التاريخ والجغرافية وانقطع الى مكتبته الغنية بالوثائق المطبوعة والمخطوطة ( مجلة المشرق ١٠ : ٩٦١ ) وتجر في المعارف وتبسط في التاريخ تبسطاً كافياً وكان يتمرن بمساعدة والده مخائيل شحادة في القنصلية الروسية التي دخلها في سنة ١٨٦٦ م وعرف باصالة رأيه وحصافة عقله ومقدرته في اللغتين العربية والفرنسية وله مع والده اليد الطولى في تأسيس الجمعية الخيرية الارثوذكسية في مدينة بيروت فترأسها نحو سبع عشرة سنة وتولى ادارة شؤون مدارسها نحو عشر سنوات فتجسحت وازهرت . وفي اثناء ذلك تجددت الجمعية السورية العلمية سنة ١٨٦٨ م بعهد المغفور لها راشد ناشد باشا والي سورية وكامل باشا متصرف لواء بيروت فانتظم المترجم في سلك اعضاءها الداميين . ونحو سنة ١٨٨٠ م تجدد انتظامها ثالثة باسم المجمع العلمي الشرقي وكان من أهم اعضاءها من نذكرهم بحسب الحروف الهجائية ابراهيم الحوراني ابراهيم اليازجي اسبر شقير الدكتور اسكندر بك البارودي بطرس البستاني جرجس همام جرجي زيدان جرجي بني سليم البستاني سليم شحادة سليم نوفل الدكتور فارس عمر الدكتور كرنيلديوس فان ديك مرا- بك البارودي نعمة يافت الدكتور يعقوب صروف الدكتور يوحنا ورتبات وغيرهم . فالقي المترجم مثل كثير من زملائه الاعضاء خطباً شائقة منها رسالات سفيكا الفيلاسوف الروماني الى لوسيليوس نشرت في المجموعتين الثامنة والتاسعة لاعمالها . ولما نشرت جريدة حديقة الاخبار لصديقه المرحوم خليل الحوري باللغتين الفرنسية والعربية سنة ١٨٧٠ م حسب طلب المغفور له فرنكو باشا ثاني متصرفي لبنان كان المترجم ينشيء القسم الفرنسي مع زميله المرحوم سليم شقيق صاحب الحديقة . وله فيها مقالات تشهد بطول باعه في السياسة والانشاء . وعلى منضدة مكتب تلك الجريدة اتفق السامان على وضع « آثار الادهار » في التاريخ والجغرافية وساعدهما في بعض أبوابه المرحوم اديب اسحق السكاتب الشهير . فطبعا الجزء الاول

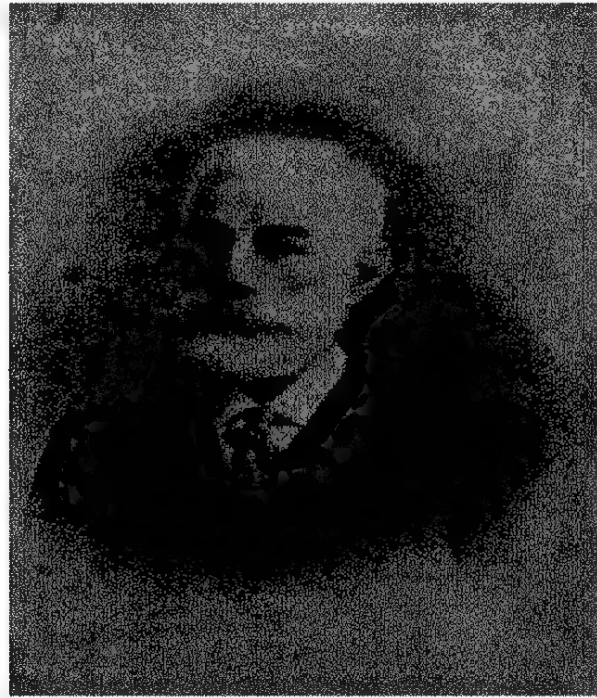
من القسم الجغرافي في أوائل سنة ١٨٧٥ م بالمطبعة السورية في ١٩٢ صفحة ثم على أثر ذلك هصرت المنية زميل المترجم بالهواء الاصفر فبقي هو مثابراً وحده على العمل وطبع الجزء الثاني في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ م والثالث في ١٢ مارس سنة ١٨٧٦ م ثم الجزئين الرابع والخامس . وجميعها الآن في مجلد واحد لم يتجاوز حرف الباء وصفحاتها ٩٨٠ صفحة بقطع كبير في عمودين بحرف من الجنس الثاني ونهاية مباحثه بعض تاريخ بلجيكا . ومن فوائده انه ذكر فيه جميع قرى ومدن سورية وأوربا وأميركا الخ القديمة والحديثة وما تقلب عليها وتاريخ نشأتها وسمياتها . ومن انصاف المترجم انه ابقى جميع الاجزاء باسمه واسم زميله الذي عاجلته المنية على اثر انجاز الجزء الاول . أما القسم التاريخي فطبع الجزء الاول منه سنة ١٨٧٧ م في ٣٨٤ صفحة وحفظ فيه اسم زميله بعد ان مضى على وفاته سنتان وفاء بحقوق الاخاء . ورفع الكتاب بتسميه خدمة للاعتاب السلطانية . وصدر القسم التاريخي بمقدمة في فاسفة العمران صدرها بالبحث عن الانسان وشؤونهم ثم استرسل الى علم التاريخ وأحواله ومنشأه ونتائجه وتقسيمه في ١٤ صفحة بقطع الكتاب وحرفه وجاء بما لم يجيء به الا كبار علماء العمران

وعلى الجملة فان آثار الادهار هو أول دائرة للمعارف التاريخية والجغرافية في اللغة العربية مرتبة على الحروف الهجائية وافية المباحث المفيدة وعلى انقاضه قامت دائرة المعارف العربية التي أسسها المرحوم بطرس البستاني وولده سليم . ولقد ذكر الآثار كثيرون من المستشرقين

ولما انشأ الصحافي الشهير خليل افندي سر كيس اللبناني مجلة ( المشكاة ) انشأ المترجم فيها مقالات هامة في تاريخ الاندلس وتراجم أهله ونواديرهم وانشر في المقتطف مقالة ضافية في الجغرافية وجغرافي الاسلام . وانشأ سنة ١٨٨٥ مجلة ديوان الفكاهة الروائية القصصية بشركة صديقه المرحوم سليم نولس طراد

وكان رفيع المنزلة بين أصدقائه وجيهاً في قومه تولى الترجمة في الفنصلية الروسية أعواماً عديدة فانعم عليه القيصر نوسام المدينة حنة الثالث سنة ١٩٠٢ ففضى حياته بخدمة السياسة والعلم واشتغل في أواخر أيامه بوضع تاريخ مطول للكنيسة لم يتمه . وتوالت عليه الحزن في أواخر عمره بوفاة معظم اخوته ووالديه فآثر به الحزن فأصيب بعملة قلبية ذهبت بحياته في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٧ في سوق الغرب فحمل الى بيروت ودفن فيها

اخيراً الى استنجد بطرس الاكبر قيصر الروس فخام — ولا تزال كنيستهم تحت  
حماية روسيا مثل سائر الكنائس الارثوذكسية في الشرق الاسلامي  
والكنيسة الارمنية ثلاث طبقات من الاكليروس وهي الاساقفة والكهنة  
والشماسة . والاساقفة ثلاث درجات (١) رئيس الاساقفة (٢) الاسقف (٣) نائب  
الاسقف ويسمونه في اصطلاحهم « ورتباد » وهو في الاصل يقابل لقب « دكتور  
في اللاهوت » في أواخر القرن الثامن عشر أو اوائل التاسع عشر حدث في أرمينيا  
حادث بعث على مهاجرة جماعة من كبار الاكليروس الارمني نزحوا من أرمينيا الى بر



( ش ٤٣ ) : الدكتور يوحنا ورتبات

الاناطول وصل اليها اسماء ثلاثة منهم وهم اسقفان أحدهما قرايت ديونيسيوس والثاني  
يعقوب ابكار يوس والثالث كان برتبة ورتباد التي تقدم ذكرها ثم قيل بالتحريف  
« ورتبات » ولم تقف على اسمه

. لا نعلم سبب تلك المهاجرة وقد يكون السبب اختلافاً في المذهب أو الرأي ويقال  
ان الكنيسة الارمنية ادعت عليهم انهم تصرفوا باموال دير أو كنيسة هناك .  
فلم يجدوا من ينصفهم فانضموا الى الكنيسة الانجيلية ولجأوا الى سفير انكلترا في

## الدكتور يوحنا ورتبات

استاذ التشريح والفسولوجيا في المدرسة السكلية السورية

ولد سنة ١٨٢٧ وتوفي سنة ١٩٠٨

١ — فضل الارسالية الاميركية في سورية

لسكل الارساليات الدينية فضل على سوريا ولكن الارسالية الاميركية ما عدا مدارسها العالية التي تخرج فيها الالوف من الشبان والشابات في العلم والطب والصيدلة والتجارة ومشروعاتها الخيرية التي اعالت الالوف من الموزين وذوي الاسقام فضلاً برؤي في نظر الباحث الاجتماعي على كل ما تقدم تعني تربية الاخلاق. ان فضل المرسلين الاميركان في هذا السبيل لا يمكن تقديره حق قدره . انهم بلا خلاف من اكبر دعام هذه النهضة العلمية . ولعلنا لا نقالي اذا قلنا ان هذه التربية كانت في جملة الاسباب التي مهدت السبيل لاعلان الدستور لانها ترقى نفوس الشبان وتعودهم استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في القول والمجاهرة بالرأي فيخرج الطالب من مدرستهم رجلاً يثق بنفسه فيبث هذه الروح بين أهله وينشأ مقداماً لا يبالي بالاسفار في استدراار الرزق أو طاب العنى . ناهيك بما استفاداه السوريون من جوارهم بالقذوة ولا سيما في أوائل هذا العصر لمسيس الحاجة الى الاصلاح . ولنفرد بعض المرسلين يومئذ بمقايب تجذب القلوب وتستهوئ العقول فيحلون للنفس تقليدها والافتداء باصحابها — اذا جمعت هذه الحسنات وغيرها مما لا محل له هنا هان عليك تصور فضل الارسالية الاميركية وانما عمدنا الى ذكر هذا الفضل الآن لتطرق منه الى سبب ظهور صاحب الترجمة استاذنا المرحوم الدكتور ورتبات لان ظهوره من جملة افضال تلك الرسالة كما ستري

٢ — أصله ارمني

كان للرسالة الاميركية عمل في بر الاماطول قبل عملها في سوريا وكان الانكليز قد سبقوها الى هناك وفيهم القسيس والفنصل والتاجر والسكاتب فاخذوا ينامروها واصبح ممرحع الاميركان في شؤونهم الى سفير انكلترا في الاستانة . ولكن الاباء اليسوعيين كانوا اسبق الجميع الى التعليم والتبشير هناك . ولهم شأن خاص في ارمينيا فقد دخلوها ونشروا الكنييسة فيها من أواسط القرن الخامس عشر فظهرت طائفة الارمن الكاثوليك وعرف الباقون باسم الارمن الارثوذكس وكانوا أقل علماء واضف عزيمة لتفوق الكاثوليك بالعلم والنظام واجتماع الكلمة مع ارتباطهم برومية . فاضطر الارثوذكس

الاستانة اللورد ستراتفورد فلما تفحص قضيتهم اعتقد براءتهم فاخذ بناصرهم وتوسط في اطلاق سراحتهم وأشار عليهم بالذهاب الى سوريا وارفقهم بكتب توصية الى قنصل الانكليز في بيروت واسمه بطرس ابوت وهو هو استاذنا الدكتور قنديك وجد صديقنا المستر ادوار قنديك لأمه وعليه مولانا في تحقيق اصل عائلة صاحب الترجمة ونشأته الاولى

شخص هؤلاء الى سوريا والمرسلون الاميركان لاول عهدهم فيها فرحبوا بهم فاقاموا فيها وتزوجوا . فاقام يعقوب ابكاربوس في بيروت وعرف بـ يعقوب آغا واشترى منزلاً قرب القشلاق عرف باسمه . ثم اشتراه الارمن وجملوه ديراً لهم ولا يزال الى الآن وعائلة ابكاربوس مشهورة

واما ديونيسيوس فتزوج واولد وعرفت عائلته في بيروت باسم قرايت . واما ورتبات فتزوج واولد يوحنا صاحب الترجمة وكركور ويعقوب . ومات ابوام وهم اطفال فعنيت بتربيتهم مسز هوانين المرسلات الاميركانية أحسن تربية وعلمتهم . فلم يصب الى الدين منهم الا يوحنا . واما اخواه فاحدها يعقوب تزح في شبابه الى أميركا واختفى خبره وكركور تعلم الطب في بلاد الانكليز وتمامه في السكرتينات فاقام رئيساً لسكرتينا كر بلاه عدة سنين ثم نقل الى جدة ومات فيها

## ٢ — سيرة حياته

أما يوحنا ورتبات فقد وُلد سنة ١٨٢٧ وتلقى مبادئ العلم في مدارس المرسلين الاميركان في بيروت وكانوا لا يزالون حديثي العهد في التعليم يعلمونه كل شيء في اللغة الانكليزية فساعد ذلك على اتقانه هذا اللسان تفهما وتلفظاً . وقرأ آداب اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي وتفقه بالمنطق والعروض على الشيخ عقل من علماء حلب . وقرأ على المرسلين ايضاً بعض اللغات القديمة كالعبرانية واللاتينية واليونانية في أثناء درسه علم اللاهوت . وكانت التقوى قد ظهرت فيه منذ نعومة أظفاره فتفقه بالدين على أن يتعاطى التبشير . ورأى ان عمله يكون أكثر نفعاً اذا تعلم الطب فلتقى معظمه على المرحوم الدكتور قنديك . ولم يكن يشترط بالطبيب لمعاطة الطب ان يكون في يده شهادة فارسله المرسلون مبشراً الى حاصبيا . فاقام في هذا المنصب مدة طويلة تزوج في اثناها بسالومي ابنة قرايت المتقدم ذكره . واشتغل وهو في حاصبيا بالعلوم الدينية ودرس لاديان الشائعة في سوريا وخصوصاً الدرزية . وقد وفق الى الاجادة في ذلك بمطالعة كتب وقعت لاحد الفرنسيين على أثر حادثة سنة ١٨٦٠ وهو ينهب بعض الحلوات . فوصلت هذه الكتب الى ورتبات واستفاد منها كثيراً في هذا الموضوع .

وادت الحادثة المشار اليها الى تشتت شمل الناس فنزل جماعات من أهل لبنان وحاصبيا وسائر سوريا الى بيروت وفي جملتهم يوحنا ورتبات وترك مهنة التبشير أو التعليم . فاشار عليه استاذنا الدكتور فنديك ان يتم دروسه الطبية في بلاد الانكليز فيسهل عليه الارتزاق من الطب فسافر الى ايدنبرج واتم الطب في مدرستها . وعاد الى سوريا ويده الدبلوما الطبية فاستخدمته جمعية التبشير C. W. S. طبيباً ومبشراً في حلب مكث فيها بضع سنين وعاد الى بيروت . وكانت المدرسة السكلية في أول نشأتها وتعليمها في اللغة العربية فهي تحتاج الى اساتذة من الاطباء يعرفون الانكليزية والعربية جيداً فوجدوا في صاحب الترجمة الرجل المطلوب وانما ينقصه الاختصاص بفن يتقنه لاجل التعليم . فاقترحوا عليه ان يتخصص للتشريح والفسيولوجيا و اشار عليه الدكتور فنديك أن يتقنها في أميركا ويحصل على الدبلوما الاميركية ليسهل على اللجنة تعيينه في عمدة المدرسة فذهب الى نيويورك وتفقه بالتشريح والفيسيولوجيا وعاد الى سوريا فعيّنته عمدة المدرسة السكلية استاذاً للتشريح والفيسيولوجيا فيها

قضى في هذا المنصب نيفاً وعشرين سنة وهو موضوع احترام التلامذة فتخرج تحت يده مئات من الشبان وكلهم يحبونه ويحلمون قدره . وقد كنا في جملة الذين قرأوا عليه التشريح والفيسيولوجيا الى سنة ١٨٨٣ درسناهما في كتابيه اللذين الفهما في هذين العلمين باللغة العربية وهما مشهوران وعبارتهما سهلة ممتعة . وقد عانى المشاق الجسيمة في تأليفهما وان كان اكثرهما منقولاً عن الانكليزية وانما المشقة في ايجاد الاوضاع العربية الملائمة للمصطلحات الافرنجية في ذينك اللغتين . وكان يعتقد ان عبارة كتاب الفيسيولوجيا أحسن من عبارة كتاب التشريح واكثر التلامذة يرون عكس ذلك فكنا اذا اردنا مداعبته قلنا له « ان عبارة كتاب التشريح أحسن » فيظهر استغرابه

وما زال استاذاً لهذين الفنين حتى جرى في المدرسة السكلية الخلاف المشهور بين العمدة وطلبة الطب سنة ١٨٨٣ واستقال الدكتور فنديك من منصبه وكان يعلم الباثولوجيا فعهدوا بتعليمها الى الدكتور ورتبات فعملها اربع سنوات . أي حتى خرج الطلبة الذين كانوا بدأوا الطب باللغة العربية ثم جملوا يعلمون الطب في اللغة الانكليزية فلم تبق حاجة الى أستاذ يعرف العربية

وقد اولد ثلاثة ابناء هم هنري وأمين ووليم توفي هذا الاخير في شبابه وابنتين هما لومي وادلا ولما توفي في بيروت لم يكن في منزله من أهله الا ابنته ادلا لان ولديه كانا

بعيدين . فتولى نعيه جماعة من نخبة وجهاء بيروت واكثرهم من تلامذته واصدقائه  
فنعوه الى الناس فاحتفل أهل المدينة بتشجيع جنازته احتفالاً يليق بمنزلته  
وكان له مقام رفيع بين العلماء والوجهاء واحرز من علامات الشرف وسام الاستحقاق  
الذهبي وساعة من أصحاب المستشفى البروسيان في بيروت بعد تطيبه فيه ١٥ سنة  
والجدي الرابع من الدولة العثمانية مكافأة على خدمته في السكوليرا التي تفتت سنة  
١٨٧٥ ثم العثماني الرابع جزاء عمله في نشر العلم  
٤ — مناقبه ومؤلفاته

كان ربيع القامة مع ميل الى القصر ممثليء الجسم . عرفناه في كهولته وقد وخطه  
الشيب وزاده هيبة ووقاراً . وكان ذكي الفؤاد حسن النظر لكنه كان ضعيف الذاكرة  
الى ما يفوق التصديق ولا سيما في اسماء الاشخاص — فقد يلتقي باحد تلامذته الذين  
تلقوا العلم عليه وعاشروه سنتين في الصفوف على الاقل وسنتين آخرين في المستشفى  
ولا يذكر اسمه وانما يذكر صورته فيقول له « انك من تلامذتي ولكنني لا اذكر  
اسمك » فاذا تسمى تذكر كل ما يعرفه عنه . ومن أمثلة ذلك اننا بعد ان تركنا المدرسة  
الكلية في أثناء حائتها المشار اليها اخذنا في درس اللغة العبرانية فعلمنا ان عند الدكتور  
وربات كتاباً مطولاً في نحو هذا اللسان فاستعمرناه منه للمطالعة ثم درهنا بالسفر الى  
بلاد الانكليز وبقي الكتاب معنا سهواً . وفي السنة التالية عدنا الى مصر واعدناه اليه  
مع بعض الاعدقاء لكنه لم يسلمه اليه بيده فلم يكن يعلم انه جاءه . واتفق اتنا جئنا  
بيروت بعد سبع سنوات فالتقينا بالاستاذ في منزل أحد الاعدقاء فلم مخاطبنا لأنه نسينا  
على عادته لكنه لم يكذب بسمع اسمنا حتى التفت الينا وقال « ماذا جرى بالكتاب  
العبراني ؟ فاخبرناه الواقع

وكان طيب المريرة مخلص الطوية يميل الى البساطة في كل شيء حتى في اعتقاده  
وآرائه وفي عشرته وسيرته . فاذا استوصفه مريض وصف له أبسط العلاجات ولم يكن  
يعول في الطب الا على الوسائل الهيجينية كالاستحمام بالماء البارد وتبديل الهواء والاعتماد  
على التغذية البسيطة ويميل في انذاره الطبي الى التهوين على المريض . وكان قنوعاً في  
مطالبه لا يهتم جمع المال انما يهتم ان يشفى المريض وأن يكون وسيلة لتخفيف الآلام  
والمصائب . فاذا كان مريضه فقيراً أحسن اليه بما يستعين به على الغذاء والدواء لا يفرق  
بين المسيحي وغير المسيحي ولذلك سموه قديك الثاني لاشتهار صديقه استاذنا الدكتور  
قنديك بهذه المناقب من قبل

وله مؤلفات عديدة بعضها كتب مطبوعة والبعض الآخر رسائل نشرت في المجلات



أو على حدة . وكتبه أكثرها طبي وبعضها غير طبي . أما الكتب الطبية فهي :  
١ كتاب أصول التشريح . وهو كتاب كبير فيه مئات من الرسوم كان عليه معموله في اقراء هذا العلم بالمدرسة السكلية

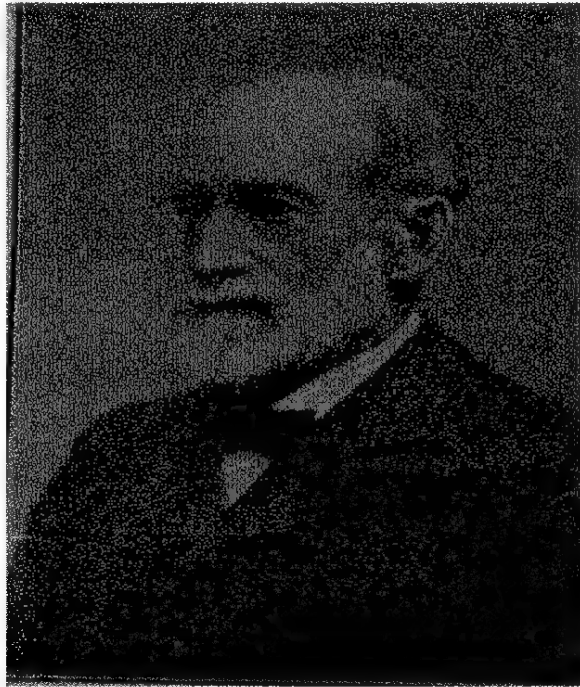
٢ كتاب الفيسيولوجيا : وهو مزين بالرسوم وقد تقدم ذكره  
٣ حفظ الصحة : سماه كفاية العوام في حفظ الصحة وتدير الاسقام وهو مجموع فوائد عامة لحفظ الصحة وتدير المرض عند غياب الطبيب  
٤ كتاب التشريح الصغير في مبادئ هذا العلم وهو جزيل الفائدة وممه أطلس كبير فيه صور الاعضاء لافادة غير تلامذة الطب  
٥ رسائل عديدة أكثرها صدر بالانكليزية وكل رسالة في مرض خاص كالجزام والطاعون والكوليرا والحمى التيفوئيدية والتريخينيا وغيرها  
أما مؤلفاته في غير الطب فمنها :

١ كتاب في اديان سوريا نشر في اللغة الانكليزية واسمه Researches into the religions of Syria وهو بحث في الاديان الشائعة في سوريا بحثاً تاريخياً واعتقادياً ويشتمل بحثه بضمنه عشر ديناً أو مذهباً  
٢ قاموس انكليزي عربي : هو منسوب الى ابنه ولكن له فضلاً كبيراً في تأليفه

٣ قاموس انكليزي وعربي وعربي وانكليزي له ولدكتور بورت  
٤ كتاب حكمه العرب في اللغة الانكليزية  
٥ رسائل عديدة في الوصايا والتربية وغيرها نشرت في المقتطف وغيره يضيق المقام عن تعدادها

وله رسائل في اللغة الانكليزية وترجمات كثيرة في مواضيع مختلفة . وكان وسيلة في نشر بعض الآثار الشرقية الدينية منها الكتب والاوراق التي استخرج منها كتابه في اديان سوريا فانه دفعها الى جان هدرسن أوف برك الكويكري في لندن فطبعها

والدكتور ورتبات قد باشرا تأسيس المدرسة الطبية وأخذوا في العمل فمئنت اللجنة المركزية الدكتور بوست استاذاً للنبات والمواد الطبية والجراحة فيها فعاد الى سوريا وأخذ في العمل مع رفيقيه المذكورين وقد جعلوا تعليم الطب في اللغة العربية ولم يكن فيها كتب تلائم التدريس فآخذوا يشغلون ساعات الفراغ بالتأليف ويلقنون التلامذة ما يؤلفونه فينسخونه في دقائرهم ويدرسونه في منازلهم . ولذلك كان تلامذة مدرسة الطب في السنين الاولى من انشاء هذه المدرسة ينسخون الكتب بأيديهم لا يجدون في ذلك مشقة لان اساتذتهم كانوا قدوة لهم بالنشاط والهمة والمواظبة . وما زال الدكتور بوست يعلم في هذه المدرسة ويطبب في المستشفى



(ش ٤٤) . الدكتور جورج بوست

البروسياتي ويمالج في المنازل ويخطب على المنابر ويؤلف الكتب الى سنة ١٩٠٨ قاتمس اقالته فاقبل وعينوا ابنه الدكتور الفريد مكانه ففاجأه المرض ولم يجد حيلة في دفعه فمات مأسوفاً عليه

أعماله وآثاره

قضى ٤١ سنة وهو يعلم الجراحة وغيرها في المدرسة ويمالج المرضى في المستشفى بالجراحة - وهو الفرع الذي خصص نفسه له وأشهر به بين الخاصة والعامة حتى أصبح لفظ « بوست » في عرف البعض مرادفاً للفظ « جراح » لانه أول من اشتهر بينهم بهذا الفن في أثناء هذه النهضة . ولم يكن عمله قاصراً على التعليم والتطبيب والتأليف

## الدكتور جورج بوست

استاذ الجراحة في المدرسة السكلية الاميركية في بيروت

ولد سنة ١٨٣٨ وتوفي سنة ١٩٠٩

ترجمة حاله

وُلد في نيويورك سنة ١٨٣٨ وكان أبوه الدكتور الفريد بوست من مشاهير الجراحين وعضواً في اللجنة المركزية التي انشأت المدرسة السكلية الاميركية باموالها ومساعدتها . انتظم الدكتور الفريد في سلك هذه اللجنة في نيويورك سنة ١٨٧٣ — ١٨٨٦ واشترك في عملها بمال وقفه لتنشيط القسم الطبي من هذه المدرسة بما ينتج من ريعه . فكان ينفق من هذا الريع حسب الحاجة في سبيل المدرسة الطبية وما زاد منه يحفظ . وبلغ ما اجتمع من ذلك الريع ١٠ لم ينفق نحو ٧٠ ٠٠٠ ريال أميركاني ( ١٤٠٠٠ جنيه ) وهي مرصودة لعمل الخير في سبيل الطب وعهد بانفاقها بهذا السبيل الى ابنه صاحب الترجمة ولعالمها تصير الآن الى حفيدء

تلقى الدكتور جورج بوست العلم في كلية نيويورك وتعلم الطب في جامعتها وكان أبوه من أساتذتها فنال شهادتها سنة ١٨٦٠ ثم تعلم اللاهوت فصار من المبشرين الاطباء وقضى مدة في خدمة الامة الاميركية أثناء الحرب الاهلية . وفي سنة ١٨٦٣ قدم الى سوريا للتبشير والتطبيب فتطلى طرابلس وأخذ في انفاق اللغة العربية ليسهل عليه مخالطة الناس وتبشيرهم او معالجتهم فمال منها حظاً وافراً . وكان يستعين على حفظ المفردات العربية بقوائم من الفاعلها يماقها على جدران غرفة بحيث يراها كيفما اتجه . وما زالت لهجته عند التكلم كثيرة الشبه باهجة الطرابلسيين الى آخر ايامه

وكان المبشرون الاميركان في سوريا لا يزالون مضطهدين يخافون على حياتهم من القتل لان رؤساء النصرانية هناك كانوا يسيئون الظن بهم ويمدونهم غرماء ينافسونهم على السيادة . فكثيراً ما أصاب المتقدمين من مبشري الاميركان اذى أو لحق بهم اهانة في سبيل التبشير ومن هذا القبيل ان الدكتور بوست خرج يوماً الى دوما للوعظ بدلاً من الدكتور جسب لانه كان مريضاً . فحضر الوعظ رجال من بسكتنا صاحوا به وهموا بقتله فضربه احدهم بالمصا على كتفه وأطلق آخر الرصاص عليه فأخطاه فاسرع بعض الاصدقاء وحملوه الى البيت وقد تمطلت كتفه

وبعد بضع سنوات عاد الى نيويورك سنة ١٨٦٧ وكان المرحومان الدكتور وفنديك

فقد كان يشتغل بمعلوم اخرى يساق اليها شغفاً بالعلم ورغبة في العمل كاشتغاله بالنبات وكان مواعداً به وله فيه وفي علم الحيوان آراء واكتشافات مهمة وخصوصاً في النبات . فانه اكتشف كثيراً من انواعه في سياحاته بسوريا وفلسطين ومصر وسينا والاناطول وقد سمي بعضها باسمه « پوست » وألف على أثر ذلك كتابه في نبات فلسطين وسوريا وأصبح نعمة بجغرافية فلسطين الطبيعية

وقد جمع بتوالي الاعواء معرضاً نباتياً بالمدرسة الكلية يعدُّ من المعارض الثمينة وكان رحمه الله يقضي اكثر ساعات الفراغ فيه وقد أعانه في جمعه تلاميذه في النبات لانه كان يفرض على كل منهم أن يجمع أمثلة من النبات ويحفظها ويقدمها له فيختار هو ما يستحسنه منها ويضيفه الى معرضه وكما في جملة من فعل ذلك . فهو بهذا الفن وحده يستحق لقب العالم العامل ويعد من كبار علماء النبات . وقد عرف فضله علماء أوروبا وأميركا فادخلوه في جمعياتهم الطبية والعلمية . فهو عضو في جمعية لينوس في لندن وفي نادي النباتيين وعضو في أكاديمية الطب في نيويورك . ونال النيشان العثماني من الدولة العثمانية ونيشان آل دوكان السكسوني والنسر الاحمر من حكومة المانيا ولقب فارس من جمعية فرسان اورشليم الالمانية جراه خدمته في المستشفى البروسياني في بيروت وكان له في المدرسة فضلاً عن معرض النبات معارض للمواد الطبية والمستحضرات الجراحية وفيها آثار ما اجراه من العمليات الجراحية كالخصى المثانية والاورام والعظام وكان مع ذلك يجد فراغاً يشتغل فيه بهندسة أبنية المدرسة فقد رسم بعضها بيده وكثيراً ما كان يتعهد ببناءها ويذقده وخصوصاً قاعة العلم فانه تتبع بناءها بنفسه ولم يكن يضيع فرصة لا يفيد بها تلاميذه حينما التقي بهم من شرح عملية في المستشفى أو تفسير حادثة على الطريق أو في المنزل . وكان رابط الجأش وهو يعمل العمليات فكثيراً ما سمعناه يتحدث في السياسة أو الادب أو الاجتماع ويداه غائستان في الدم لا يظهر عليه الارتباك مهما يكن من خطر العملية التي يشتغل بها فضلاً عن خفه يده في العمل

• وكان يرحل الى أميركا سعيّاً في جمع الاموال للمدرسة وخصوصاً للقسم الطبي ومن ثمار سعيه في هذا السبيل انشاء قاعة العلم التي جعلوها داراً للمعارض العلمية وقد سميت باسمه G. E. Post Science Hall ومن آثاره الادبية في خدمة هذه المدرسة انه أنشأ لتلاميذ الطب جمعية سماها الجمعية الكلية يتباحث فيها التلامذة في المواضيع المفيدة . وقد تولى رئاستها مدة طويلة ووضع لها نظامات كانت مثالا لكثير من الجمعيات التي نشأت في سوريا بعد ذلك . أما آثاره القلمية فأهمها في الطب وفروعه

وبعضها في سبيل الكتاب المقدس وهي :

- (١) مبادئ التشريح والهيكل والفسولوجيا
  - (٢) علم الحيوان في جزئين : الاول في نظام الحلقاات في سلسلة ذوات الفقرات والثاني في الطيور
  - (٣) مبادئ علم النبات ويتضمن شرح بنيته ووظائفه ووصف الفصائل الطبيعية
  - (٤) نبات سوريا وفلسطين الذي ألفه بعد رحلته التي تقدم ذكرها وهو من أهم مؤلفاته وقد خدم فيه علم النبات خدمة جزيلة
  - (٥) كتاب الاقرباذين او المواد الطبية
  - (٦) المصباح الواضح في صناعة الجراح وهو مطول في الجراحة العلمية
  - (٧) مجلة الطبيب انشأها وحررها هو بنفسه بضع سنين . ثم حررها المرحومان الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور زلزل والدكتور خليل سعادة سنة واحدة ثم تولى رئاسة تحريرها المرحوم الدكتور اسكندر بك البارودي
  - (٨) فهرس الكتاب المقدس وهو فهرس ابجدي مطول اكل الالفاظ الواردة في التوراة والانجيل والزبور
  - (٩) قاموس الكتاب المقدس في مجلدين كبيرين
- غير ما كان يتلوه من الخطب او ينشئه من المقالات مما نشر في المجلات العلمية وغيرها

#### أخلاقه ومناقبه

قد رأيت مما تقدم انه كان مثالا في النشاط والهمة والثبات والمواظبة على العمل مع المحافظة على الوقت وكان يعد التقصير في ذلك رذيلة . وينضبه الاخلال في الوقت لاي سبب من الاسباب . ذكروا من امثلة ذلك انه كان في سفر بعيد فلما رجع ذهب اصدقاؤه لملاقاته ولم يذهب معهم ولده لا اشتغاله بدرس كان عليه في تلك الساعة فسألوه عن سبب تخلفه فقال « لان والدي لا يرضى ان اترك درسي في هذا السبيل » وكان مدققاً في سائر معاملاته لا يقصر في ما عليه للآخرين ولا يحتمل تقصير الآخرين في حقه . وهذا هو السبب في ما أشيع عنه من التدقيق في اقتضاء حقه من مرضاه . فلم يكن يتجاوز عن شيء من اجرة العيادة او العملية . وربما نقص المبلغ المطلوب قرشاً او بعض القرش فلا يتحول ما لم يقبضه ولو كان المريض فقيراً معوزاً ويعدون ذلك بخلاً منه . وظهر هذا البخل مجسماً بالمقابلة مع اريحية زميله الدكتور

فنديك وسخائه فقد كان رحمه الله كثير التساهل مع مرضاه يعين بعضهم بثن الدواء والطعام فضلاً عن اجرة العيادة . فظهر تدقيق صاحب الترجمة بخلا قبيحاً وتحدث الناس به . والحقيقة انه انما كان يفعل ذلك جرياً على طبيعته في دقة المعاملة كما تقدم بدليل ما علمناه عن ثمة انه كان اذا دعي لاعانة في مشروع خيري تبرع باضعاف ما يتبرع به سواء والتبس ان لا يذكر اسمه في قائمة المتبرعين

وكان عصبي المزاج حاد الطبع يتسرع الى سوء الظن — ربما بعنه على ذلك بالاكثر صمم كان في احدى اذنيه فاذا رأى اثنين يتخاطبان سبق الى ذهنه انهما يتكلمان عنه فيحكم بالظن وقد يمانب على الشبهة . وكثيراً ما جرّ ذلك الى التنافر بينه وبين تلامذته حتى آل الى التقاضي لدى عمدة المدرسة . ونجسم الخلاف مرة حتى اشتكاه طلبة الطب كافة الى لجنة المبشرين الكبرى في سوريا على اثر الخلاف الذي وقع بين الطلبة وعمدة المدرسة سنة ١٨٨٢ وكنا من اولئك الطلبة . فاجتمعت تلك اللجنة من انحاء سوريا للنظر في ذلك الخلاف لاسكنها لم تحسن السياسة في حكمها فخرج معظم طلبة الطب من المدرسة واستعفى الدكتور فنديك انتصاراً لهم في حديث طويل لا محل له هنا — والكمال لله وحده

## الشعراء

## الشيخ امين الجندي الحمصي

توفي سنة ١٨٤١ م

هو أشهر من نظم المقطعات او الادوار الغنائية في سوريا ووقعها على الالحان  
وُلد في مدينة حمص في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة ونشأ فيها وطالب العلم على  
علمائها وتردد الى دمشق وقرأ على أئمتها وفي جماعتهم الشيخ عمر اليافي الشهير ثم عاد  
الى موطنه وأقام فيه ومارس الشعر فنبغ به

وفي سنة ١٢٤٦ هـ جاء الى حمص عامل من قبل المغفور له السلطان محمود الثاني  
فوشى اليه بعض أعوانه ان الشيخ امين الجندي هجاء وطعن فيه وبلغ ذلك الشيخ فقر  
الى حماء فبعث العامل في طلبه بعض رجاله فقبضوا عليه وحبسوه في اصطبل الدواب  
ومنعوا عنه الطعام الا قليلا من خبز الشعير وبعض الماء . وانفق بعد ايام قليلة ان رجلا  
من قبيلة الدنادشة يقال له سليم بن باكير غشي مدينة حمص بمئتي فارس من عشيرته  
ودخلها عنوة وقتل طامها واخرج الشيخ من السجن بعد أربعة أيام من سجنه وفرح  
به الناس وظل موقراً محترماً حتى توفاه الله سنة ١٢٥٦ ( ١٨٤١ م ) ودفن في حمص  
وقد عني بعضهم في جمع منظوماته في كتاب يعرف بديوانه جمع فيه كثيراً من  
القصائد والمقامات والموشحات تنقل بعض الاغاني على سبيل المثال لان أهل الشام  
ومصر ظلوا يتغنون بمنظوماته معظم القرن الماضي . من ذلك قوله على نعم ابيات

يا بدر حسن تبتدى من ورا الحجب يفتري يا قوته عن لؤلؤء رطب  
ويا غزالاً زها بالثيه والمعجب أراش عمداً لقتلي أسهم الهدب  
سل بنديه . عن عطفية . في برديه . ليلاً اذا بانا  
من جفنيه . ام لحظيه . ام كفيه . دارت حيانا

دور

يا ذا الرضاب الشهي والمبسم الحالي سل كل من تشتهي في الحى عن حالي  
يا بدر لا اتهي ان لامني الحالي حيرت للمنتهي في نقطة الحالي  
خف مولاك . في اهلاك . من يهواك . وارفق بمفتونك  
من افتاك . يا فتاك . او اغراك . في قتل محزونك

وله من عروض حجاز :

هيمنتي	عن سواها اشغلتني
أخت شمس ذات انس	لا بكأس أسكرتني
لست اسلوها ولو في	ناز هجران سلتي
كعبة ليبت اسعى	للصفا لما دعيتني
لنظام الحسن ابدت	طرة فيها سبتني
ام رماح من لحين	نحت رايات غزتني
جدل الشال السليمي	فوق اعطاف شجعتني

وله من عروض صبا :

ان انعمت ليلايا	بالقرب يا بشرايا
شمس الى الاقار	تهدي سنا الانوار
يا نسمة الاسحار	ابدي لها شكوايا
سلت على العشاق	سيفاً من الاحداق
لا تنكروا اشواقي	فيها ولا بلوايا

وله من قدّ لحنه رصد :

اقبل الساقى علينا	وهو كالبدر التمام
وانثنى عجباً لدينا	حاملاً كأس المدام
بالخذ المورد	والثغر المتضد
ولديه ايه ايه قم واطرب واسكر	ولديه ايه ايه كم بدر اسفر
دور تحسد الاغصان طولك	كلما حيث طولك
والهوا يثني قوامك	والصفا يحلو شموسك
يا ذا القد الامد	وانا محظ المهند
بجمال خال حال في روض الزهر	وبشال سال طال مال يزهو بالجر

وقال مخمساً :

افدي التي لو رآها الفصن مال لها شوقاً ولو قتلت صباً حلّ لها  
 حورية لو رآها عابدٌ لها مرت بحارس بستان فقال لها  
 سرقت رمانتي نهديك من شجري  
 قالت وقد بهتت من قوله خجلاً فتش قيصي حتى تذهب الوجلا



فهمّ ان يقبض النهدين ما مهلا فصاح من وجنتها الجلتار على  
قضيبي قامتها لا بل هما ثمري

وقال مشطراً :

يا ناقل المصباح لا تمرر على	ربيع به صبح المحاسن اسفرا
واحذر بان تفشي اشعة نوره	وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى
اخشى خيال الهرب يجرح خده	فييث مسك الخال منه العنبرا
او ان يدب لفيه نمل عذاره	فيقوم من سنة الكرى متذعرا

## المعلم بطرس كرامة

ولد سنة ١٧٧٤ وتوفي سنة ١٨٥١

هو بطرس بن ابراهيم كرامة من أعيان حمص وُلد فيها سنة ١٧٧٤ ونشأ وتأدب فيها ثم حدث اضطراب واضطهاد للطائفة الكاثوليكية . وكان عمه المطران ارميا كرامة على قلاية دمشق ارتسم عليها سنة ١٧٦١ فقدم السيد ارميا المذكور الى حمص ونزل نيفاً على أخيه ابراهيم . ووفد في تلك السنة على حمص مطران من السريان الكاثوليك أصله من ( حدد ) ولم يقبله السريان اليعقوبيون فنزل على المطران ارميا في بيت أخيه ابراهيم واقام القديس هناك بضعة ايام ثم سافر الى الحبل فاغتاز من ذلك شيخ صدد وانغرى مسعود آغا سويدان حاكم حمص يومئذ ان يشكوه الى بطل باشا عند قدومه الى حمص ويقول له ان ابراهيم كرامة - مل بيته كميصة ويشكو سائر الكهنة الكاثوليكين اضطهاداً للكاثوليك على الاجمال . فقبضوا عليهم وسجنوهم واهانوهم وضربوا عليهم مالا لا يخرجون الا بعد دفعه فجمعوه ودفعوه . فکرد ابراهيم الإقامة في حمص بسبب ذلك فخرج الى عكا . ثم ابنه بطرس ومنها الى لبنان

وكان بطرس ذكياً من حدائته يقول الشعر ويحسن اللغة التركية وكان ذلك عزيزاً في تلك الايام . واتفق ان الامير بشيراً الشهابي الكبير أمير لبنان الشهير احتاج الى من يعلم ولديه خايلاً وأميناً وبلغه خبر بطرس المذكور فاستقدمه اليه سنة ١٨١٠ فرأى من كفايته وتمتعه ما حبيبه اليه فقربه وجعله معتمداً من قبله في المسير الى عكا اذا اقتضت الحاجة مخارة واليها . وكانت وقتئذ خزانة حكومة لبنان بلا نظام فوضع لها القوانين ورتبها على أسلوب اعجب الامير بشيراً فرفع منزلته وجعله كتمخذه أي نائبه فاصبح نائز الكلمة لا يراجعه الامير في أمراحيه فوقعت في القلوب هيئته وانتشرت شهرته . وما زال يدير أعمال لبنان بحكمة وسياسة حتى قضت الاحوال بنفي الامير بشير سنة ١٨٤٠ الى الاستانة فرافقه المعلم بطرس وكان له اكبر تمزية في تلك الغربة وتقرب هناك من رجال الدولة فتعين مترجماً في المابين الهايوني وما زال في ذلك المنصب حتى توفي سنة ١٨٥١

وكان رحمه الله شاعراً مجيداً كثير المحفوظ متوقد الذهن فصيح اللسان بليغ القول

هيباً مكرم الجانب . وله مصنفان لم يطبعا . وأما منظوماته فهي في ثلاثة دواوين أحدها  
نظوم في سوريا والثاني في مصر والثالث في الأستانة وقد طبع منها ديوان سنة ١٨٩٨  
أكثر ما فيه من منظومات سوريا عدد أبياته نحو سبعة آلاف بيت أكثرها في مدح  
لامير بشير ووصف أعماله ومدح من عاصره من الأمراء والعظماء ومكاتبة الشعراء  
الآداب — من ذلك قوله من قصيدة غزلية :

فتن القلوب وقد تمنطق خصره      من أعين العشاق أي نطق  
أسمى يداعبني بورد خدوده      لما رآه يفيض من آماقي  
يترن عن درّ قابكي مثله      لله در الطرف من سراقـ  
وقال يصف رشحاً ألم به :

وليلة بت أشكو الرشح من ضرر      حتى فنيت وحال الحال وانسابا  
قالوا اترشح يا هذا فقامت لهم      كلا ولكن أني صار ميزابا  
كأن عيني عين الماء في هطل      وصار اني دلو الماء صبابا  
وقال من موشح يصف به قناة أجراها الأمير بشير من ينبوع اسمه الفوار واهل  
بعرف ينبع القاع ونهر يسمى الصفا :

دور

جا . بسم الله مجراه الى      بيت دين المجد منقاداً مطيع  
كانفجار الصبح يبدو من على      ذلك السفح الى الروض البديع  
وتباهى جارياً يعلو على      كل طود شاخ الآنف منيع  
ملئت منه السواقي فظما      دافعاً كالعارض المنبجس  
فقد بالخصب يزهو منعا      كل ربع مقفر مندوس

دور

دار في دار السنى مثل العريس      يتهدى في رداء جوهري  
حوله السرو كعشاق تيمس      في رداء من حرير اخضر  
تبتني ثم يحياه النفيس      والحيا يمنعهما بالنظر  
خلهن قائمات خدما      حوله منعطفات اذ رؤس  
وعليه ساهرات هيا      تلتوي اعناقها بالنعس

دور

اطلع الزنبق يستقي الياسمين      من ندا أقداحه صرف المقار

فاعتلى المضعف بالحسن الممين  
وشذا النسرين بالاطر الثمين  
نقل النمام ابن العنما  
والاقاخي قد أعار الخزما

دور

غرد الميزاب كالصب الولوع  
رقصت تلك السواقي والربوع  
لاعب الطالع من تلك النبوع  
وسبيل الصفو منه قسمها  
وتصابى حين صب الدرا  
وتفتت جاريات سحرا  
نوفرات مسفرات غررا  
موكب الحزن بأفراح القسي  
شاهد البدر لديه يحتمي  
طفع الانبوب شوقاً عندما

وله قصيدة خالية تكرر لفظ الحال في كل قافية وكل منها بمعنى وهي :

أمن خدتها الوردي افتتك الحال  
وأومض برق من محيا جمالها  
رعى الله ذياك القوام وان يكن  
ولله هاتيك الجفون فانها  
مهابة بامي اقتديها ووالدي  
ارتقا كثيراً فوقه خيزرانة  
غلائلها والدراضحى بجيدها  
ولما تولى طرفها كل مهجة  
إذا فتكت أهل الجلال فانما  
وليس الهوى الا المروءة والوفا  
وكم يدعي بالحب من ليس أهله  
معذبتى لا تجعدي الحب يبتنا  
ولي شيمة طابت ثناء وعفة  
سلي عن غرامي كل من يعرف الهوى  
ولا تسمعي قول العذول فانه  
سعى يبتنا سعي الحسود فايته  
وظبية حسن مذكرايت ابتسامها  
توسم طرفي في محاسن وجهها

فسح من الاجفان مدمعك الحال  
لمينيك أم من ثمرها أومض الحال  
تلاعب في أعطافه التيه والحال  
على الفتك يهاها اخوالعشق والحال  
وان لام عمي الطيب الاصل والحال  
بروحى تلك الخيزرانة والحال  
نسيجان ديباج الملاحه والحال  
على قدما من فرعها عقد الحال  
لهن على أهل الهوى الملك والحال  
وليس له الا امرؤ ماجد خال  
وهيات اين الحب والاحق الحال  
لما آتهم الواشي قاني الفتى الحال  
تصاحبني حتى يصاحبني الحال  
تري انني رب الصباية والحال  
لقد ساء فينا ظنه السوء والحال  
اشل وفي رجليه أوثقه خال  
عشقت ولم تخط الفراسة والحال  
فلاح له في بدر مياها خال

الى مثلها يرنو الحليم صباية	ويعشقها سامي النباعة والخال
ايا راكباً يطوي الفلاة بيكرة	يباع بها النهدي المطهم والخال
بميشك ان جئت الشام فميج الى	مهب الصبا الغربي يمن لك الخال
وسلم باشواقي على مربع عفا	كأن رباه بعدنا الاقفر الخال
وان ناشدتك الغيد عني فقل على	عهد الهوى فهو المحافظ والخال
وان قلن هل سام التصبر بعدنا	فقل صبره ولي وفرط الجوى خال
اكل جراح ان تعادي شكيمة	ولكن جراح الدهر ليس له خال

## عبد الباقي العمري

شاعر العراق

ولد سنة ١٢٠٤ هـ وتوفي سنة ١٢٧٨ هـ ( ١٨٦٢ م )

هو عبد الباقي العمري الفاروقي الموصل الشاعر الشهير المولود بالموصل سنة ١٢٠٤ هـ ( ١٧٩٠ م ) والمتوفى ببغداد سنة ١٢٧٨ هـ ( ١٨٦٢ م ) يتصل نسب أبيه سليمان العمري بالخليفة عمر بن الخطاب ولهذا يعرف هو وسائر أبناء أسرته بالعمريين والفاروقيين . ولهم وجاهة ومكانة سامية في بلدتهم الموصل وسائر بلاد العراق وبينهم بيت علم وفضل انتج كثيرين من الشعراء والادباء . وقد اتصف عبد الباقي منذ صغره بالحدق والذكاء واشتغل بالادب ونظم الشعر وهو بعد فتى وتقلد المناصب السامية ولم يتجاوز العشرين من عمره . وكان أعيان الموصل ينتدبونه لمظالم المهام ويوجهونه في معضلات الامور . فاشتهر أمره لدى الولاة والحكام . وكان تعيين والي الموصل في تلك الايام منوطاً بوالي بغداد قبل ان يقره الباب العالي على ولايته . واتفق اتصال والي الموصل في اثناء ولاية داود باشا على بغداد فانتدب أعيان الموصل عبد الباقي للتوجه الى بغداد والتوسط بتعيين يحيى باشا فصار الى بغداد وكان داود باشا من أهل العلم ومروّجي بضاعة الادب فآكرمه وسأل عن سبب قدومه فاجابه بهذين البيتين

يا مليك البلاد امنيتي جا شاك مثلي يعود منك كسيرا

أنت هارون وقته ورجائي ان ارى في حاك يحيى وزيرا

فاستحسن داود باشا ذلك وبادر الى طلب الوزارة ليحيى باشا . وبعد أعوام انتفض داود باشا على الدولة وكان والي الموصل اذ ذاك قاسم باشا ابن عم صاحب الترجمة فاتته الاوامر من الاستانة بالمسير في جيش كثيف الى بغداد والقبض على الممالك وداود باشا من جملتهم . فصار قاسم باشا الى بغداد يصحبه عبد الباقي فظهر الممالك الطاعة حتى اتاهم قاسم باشا بنفر قليل فغدروا به ورجع عسكر الموصل ومعه عبد الباقي فسيرت الدولة علي باشا اللاز من الاستانة الى بغداد لقمع ثورتها وقتل داود باشا . فلما بلغ الموصل ورأى صاحب الترجمة اعجب بذكائه واصططحبه به الى بغداد . ولما استتب له الامر وقبض على داود باشا اقرّ عبد الباقي وقده

سمى مناصبها وجبله كتحدا الولاية أي معاونا له . وبقي من ثم في بغداد الى آخر  
يامه وكان نافذ الكلمة مرعي الجانب يعهد اليه الولاية بالمهام الخطيرة وهو على اشتغاله  
مخدمة حكومته يصرف همه في اثناء المظلة والفراغ للاشتغال بالآداب ومجلسه حافل  
بالادباء وصراة الاعيان

وكان رحمه الله شاعراً مجيداً قوي البديهة سريع الخاطر متفتناً في شعره ميالاً  
الى التصوف كثير المدح لآل البيت محباً لعلماء عصره وادباءهم باراً بهم وبغيرهم من  
ذوي الحاجات ومن مؤلفاته :

١ : ديوان أهلة الافكار في معاني الابتكار

٢ : نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر

٣ : ديوان طبعه بمصر الشيخ عثمان الموصلي وصماه « الترياق الفاروقي من  
منشآت الفاروقي » وذيله بترجمة له مسهبة لخصنا منها معظم ما تقدم

وحسبنا ان نورد مثالا من شعره مقطوعة نظمها عند ما شخص بياخرة من بغداد

لى الكوفة يؤم ضريح الامام علي بن ابي طالب

بنا من بنات الماء للكوفة الغراء	سبح سرت ليلاً فسبحان من اسرى
تمد جناحاً من قوادمه الصبا	تروم باكناف الغري لها وكرا
كساها الامسى ثوب الحداد ومن حلى	تجماها بالصبر لاعجها اجري
جرت فجرى كل الى خير موقف	يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى
وكم غمرة خضنا اليه وائما	ينحوض بباب البحر من يطلب الدرأ
نؤم ضريحاً ما الضراح وان علا	بارفع منه لا وساكنه قدرا
حوى المرتضى سيف القضاء اسدا شري	علي الذرى بل زوج فاطمة الزهرا
مقام علي شرف الله وجهه	مقام علي رد عين العلى حسرى
أثير مع الافلاك خالف دوره	فن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا
احطنا به وهو المحيط حقيقة	بنا قعالي ان نحيط به خبرا
تطوف من الافلاك طائفة به	فتسجد في محراب جامعه شكرا
وحزب من العالمين يهتف بالتنا	عليه يوحى كدت اسمه جهرا
جدير بان يأوي الحبيب لبابه	ويلبس من اركان كعبته الجدوا
حري بتقسيم الفيوض وما سوى	ابي الحسينين الاحسينين بها اخرى

ترى منه بالدنيا الثراء لم تر  
 باهداب اجفان واحد اذ أعين  
 و للمذنب الجاني الشفاعة في الاخرى  
 وجرت وجوه شفرتها يد الغبرا  
 امطنا القذى عن جفن وجه مذكر  
 اجل سيوف الله اشهرها ذكر  
 فوالله ما ندري وقد سطع السنا  
 جلونا قراباً ام جلينا له قبرا  
 وخلف عبد الباقي ثلثة ابناء سليمان فهم افندي وحسين حسني بك ومحمد وجيهي  
 بك اتمام الاول في الموصل واما الاخيران فانهما قدما مصر سنة ١٢٨١ هـ وتنقلا  
 اعواماً في اسمى مناصب الحكومة المصرية ( سليمان البستاني )



## فرنسيس فتح الله مراش

ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٨٧٣

هو فرنسيس بن فتح الله مراش وُلد بمدينة حلب في ٢٩ يونيو سنة ١٨٣٦ من ارومة طيبة الاصل . ولما بلغ الرابعة من عمره أصيب بداء الحصبة وثقلت وطأتها عليه حتى كادت تؤدي به ثم من الله عليه بالشفاء الا انه بقي من آثارها في جسمه وبصره ما نفص عليه عيشه وأوهن قواه مدى العمر . ولبت في حلب الى ان يقع يتلقن القراءة ثم مبادئ العلوم الى ان كانت سنة ١٨٥٠ فسار والده الى اوربا واستصحبه معه فتجول فيها مدة تضيف على السنة ثم رأى والده ان يطيل مكثه في فرنسا لضرورة دعت الى ذلك فارجمه الى حلب وبقي فيها الى سنة ١٨٥٣ . ولما عاد والده من اوربا في هذه السنة دعتهم مقتضيات تجارته الى التعرّيج على بيروت فعرج عليها واستدعاه من حلب فسار منها الى بيروت وأقام معه بها نحواً من سنة ثم عاد الى مسقط رأسه والقي به عصا التسيار مدة مديدة وأقبل يشتغل في خلالها بالادب وهو الفن الذي كان قد ولع به منذ صباه حتى انه عُرف له نظم على طريقة الصبيان نظمه وهو ابن تسع سنين ودونها . ولكنه لم يقصر درسه على الادب وحده بل اقبل يدرس غيره من العلوم وكان يتخرّج في كل علم منها على من يلقاه من الاساتذة . ولما رأى آخر الامر ان علم الطب لا يبلغ احد منه ارباً ما لم ينل الاجازة في تعاطيه عملاً وتيقن ان أعظم الاجازات اعتباراً في تلك الايام ما كان صادراً منها من مدرسة باريز رحل في طلب ذلك الى هذه المدينة حوالي سنة ١٨٦٧ وأقام بها نحواً من سنتين يتردد على مدرسة الطب فيها اتماماً لدروسه واستعداداً للامتحان ولكن صروف الدهر عاندته وخاتته الجدود العوار من وجوه اخرى فاعتراه من أسقام البدن وضعف البصر ما صرفه عن المثابرة على الدرس فلم يظفر بمراده من التقدم للفحص لنيل الاجازة بل اضطر ان يقفل راجعاً الى حلب وهو عليل ومكفوف البصر او يكاد ولم يزل مقيماً بحلب الى ان توفاه الله في أواسط سنة ١٨٧٣

اما تصانيفه فالمطبوع منها « غابة الحق » و « مشهد الاحوال » وكلاهما مطبوع في بيروت وله ديوان سماه « مرآة الحسناء » أرسله بحياته الى المرحوم سليم البستاني فطبعه له في مطبعة المعارف في بيروت . اما الكتابان الاولان فقد سلك فيهما مسالك فلسفية وبث فيهما آراءه بأسلوب بديع . صنف معظم الاول منهما في باريز والثاني في حلب وله ايضاً رسائل موجزة في مواضيع شتى ولكنها لم تطبع فلذلك لم نعرف

وان يقول :

صدقوني كل الانام سواء  
كل نفس لها سرورٌ وحزنٌ  
كم أُمير في دسته بات يشقى  
اصغر الخلق مثل اكبرها جر .  
هذه النمل تستطيع الذي ته  
والحلايا للنحل اعجب صنعاً  
من ملوك الى رعاة البهائم  
لا تني في ولائم او ماتم  
باله والاسير في القيد ناعم  
ما لهذا وذا مزايا تلائم  
جز عن فعله الاسود الضياعم  
من قصور الملوك ذات الدعائم  
وكل من انعم النظر في تصانيفه خيل له انه لم يكن في كل الاحوال راضياً عن  
الزمان واهله وانه كان كثير التبرم بالناس والاشياء كافة وان كلامه في كثير من  
المواطن يشف عن الشكوى من الدنيا واهلها . وهذا لا يستغرب من رجل رماه الدهر  
بالارزاء حتى اصبغ كثيباً كاسف البال وقد حدها ذلك الى ان قال :

توتر اقواس الردى لرمائي  
يجر علي الدهر جيش خطوبه  
ومن خير الدنيا وأدرك مرها  
تساوى لديه حربها وسلامها

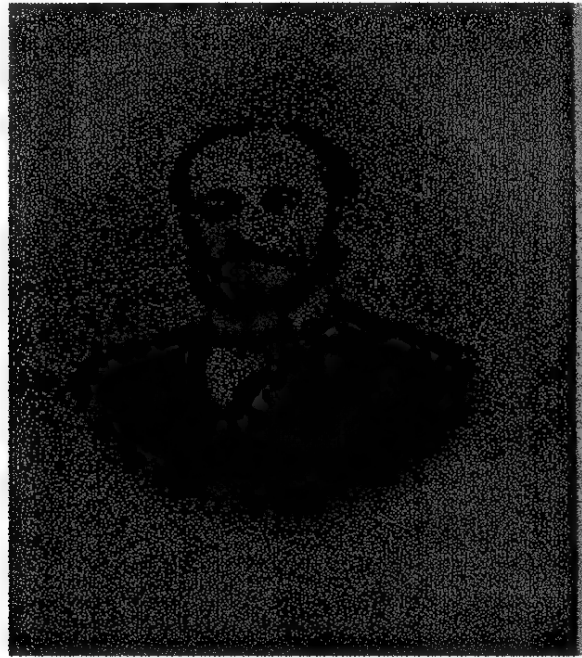
ومن هذا القبيل ما أورده في « غابة الحق »

اذا كان وقع السيف ليس يعضي  
وان كان جمر الخطب ليس يصيبني  
انا لا ارى في الارض شيئاً يروقي  
ايطربني هذا الزمان وكله  
فعمدي سواء غمده وغراره  
فلا خوف لي مهما يهب شراره  
لذلك نور العمر عندي تاره  
عراك على الدنيا يشور غباره  
هذا ما يلح من خلال نظمه ونثره الا انه كان في معاشره الناس ومخاطبتهم متودداً  
انيساً تأبى نفسه ان يصيب الناس اذى مما ابتلاه الله به من الاشجان وكان اذا عن له  
خاطر املاه على كاتب او صديق . وتوفاه الله وهو في شرح الشباب  
ومن نظمه قوله من قصيدة :

انا على ما انا من الخلق  
ما لي عدو سوى الكذوب فلم  
لا اكذب الله ان لي شيماً  
فلا كبير سطا علي ولا  
ولا تسابقت في المفاخر بل  
ولا اشتريت الثناء من احد  
بقي على مذهبي وفي طريقي  
يزل عدواً لصاحب الصدق  
تحمي في من شوائب الملق  
يد لها منة على عني  
مرت الهوينا وفزت بالسبق  
بالمال بل بالجهاد والاروق

وله رحلة الى باريس طبعت في بيروت وشهادة الطبيعة بوجود الله والشرعية طبعت  
بمطبعة الاميركان بعد نشرها في النشرة الاسبوعية وله غرائب الصدف وغيرها  
من الرسائل

وكان في الجلمة مشاركا في كثير من العلوم الا انه كان الى العلوم الفلسفية اميل  
وكان يؤثرها على العلوم الرياضية وغيرها لما في تلك من سعة المجال للخواطر ولما في هذه  
من ضيق المجال وخرج القيود والقوانين على من يريد ان يقتدح زناد نفسه فانه كان  
لا يطلق احتمال الامر الممنوي فضلا عن الحسي . ولذا كان يحاول التماس من رق  
العادات الجازمة بحجز حرية التصرف بل طالما كان ينزع الى الاغضاء عن قيود الالة



( ش ٤٥ ) : فرنسيس فتح الله مراش

واغلال قوانينها وسلاسل قواعدها ايضاً حتى صار قليل الالتفات الى تحرير أساليبه  
وتنقيح عباراته على ما تقتضيه اصول الانشاء

الا انه كان يعرف حق المعرفة ان الحرية المطلقة هي كالكبريت الاحمر لا تقوم  
الا في الذهن ولا وجود لها في الخارج وهذا ما حداه الى ان يقول :

رق الزمان جرى على كل الوري      واقتادهم بسلاسل وقيود  
رسف الامير مكبلا بنضاره      رسف الاسير مكبلا بمحديد

استقي غرومي فان اجد ثمراً  
وقال في وصف الجمال :

يا ربة الحسن جمالك لا  
فحسن وجه ذاهب كالهبا  
فجملي الطبع وحلي النهى  
هذا هو الحسن البسيط وما

ومن هذا القبيل قوله :

طرقت خباها بفتة يوم تبكير  
هناك على المرأة كانت مكة  
فايقنت اني في الهوى كنت والماً  
فصبحني وجه كرقعة تصوير  
تموه خديها بصبغة حنجرور  
بمسحوق تبييض ومحلول تحبير

## السيد عبد الغفار الاخرس

ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٤٧ م)

هو من نوابغ شعراء العصر وان كما لا نكاد نسمع بذكر اسمه في هذه البلاد فهو بعيد الصيت طائر الشهرة في بلاد العراق وما جاورها من بلاد العرب والمجم يتناشد أشعاره الادباء ويتنافسون بها في مجالسهم . وهو السيد عبد الغفار الملقب بالاخرس لـلـكنة كانت بلسانه ابن السيد عبد الواحد بن السيد وهب . وُلد في الموصل نحو سنة ١٢٢٠ هجرية ونزح منها الى بغداد وقضى حياته في العراق منتقلاً من بلدة الى اخرى واكثر اقامته انما كانت في بغداد والبصرة . وقد نمي منذ صباه خبر ذكائه وتوقد ذهنه الى داود باشا والي بغداد فارسله الى بلاد الهند في طلب اصلاح لسانه وحل لـكنته فقال له أحد اطباء انا نعالج لسانك بدواء قلما ان ينطلق وأما أن تموت . فقال لا أبيع بعضي بكلي وقفل راجعاً الى بغداد . وسنة ١٢٩٠ اتى البصرة قصد الذهاب الى الحج فاقعده مرض ألمّ به فعاد الى بغداد فلم يتجفع فيه دواء فرجع الى البصرة وتوفي بها يوم عرفة من ذلك العام فشيّع جنازته افاضل البصرة ودفنوه في مقبرة الامام الحسن البصري خارج قصبة الزير

وكان رحمه الله قليل الاعتناء بحفظ شعره واثباته على كثرة فبقي منشوراً في ايدي حفظائه الى ان عني بجمعه شاعر عراقي آخر وهو احمد عزت باشا الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي العمري فحصل منه على عشرة آلاف بيت طبعها في الاسنانة العلمية سنة ١٣٠٤ بديوان سماه « الطراز الانفس في شعر الاخرس »

ومما يدل على اعجابه واعجاب شعراء العراق به قوله من جملة ما قال في مقدمة الديوان المذكور « ورد من مسقط رأسه الموصل الحضراء الى مدينة الزوراء . وجعلها له موطناً . وعريشاً ومسكناً . وكانت اكبرها تحترمه وتشناق اطلعتة وأماجد العراق ترتاح الى مفاهمه . ورؤيته ورويته . ومدح منها الاكابر الكرام . والفضلاء والاعلام يشعرون يقف مهيار عند ابوابه ويهجز ابوتام عن الوصول الى فسيح رحابه . ويتمنى الرضي لو ارتشف الحما من اكوابه . وابن الازدي لو اتر برقيق ثيابه . من آدابه . حيث ان منواله العريض الطويل . لم يتيسر لاحد ان يأتي له بنظير او مثيل . وقد مزج برقته الارواح . بمازجة الماء القراح . باقداح الراح » . انتهى

ويؤخذ من مطالعة ديوانه انه كان بعيد التصور متوقد الذهن يتصرف بالمعاني

تصرفاً حسناً . على أنه سلك مسلك أكثر شعراء المتأخرين من اتخاذ صناعة الشعر ذريعة للمعاش والترنم به في مجالس اللام والظرب ولذلك ترى تبايناً عظيماً بين متانة قصائده والتفنن بأساليبها . فإذا مدح شاعراً أو عالماً أكثر فيها من الاعتناء بفجاءات بخلاف مدحه لا كبار القوم الذين لم يتخذ الشعر الا وسيلة للتزلف اليهم فكانما هو باذل لكل من بضاعته

ومن رقيق شعره قوله في الغزل :

لا تلم مغرمًا رآك فهاما	كل صبَّ تركته مستهما
لو رآك العذول يوماً بعيني	ترك العذل في الهوى والملا
يا غلاماً نهاية الحسن فيه	ما رأيت مثله العيون غلاما
أتراني ابل فيك غليلاً	ام تراني أنال منك مراما
كلما قلت انت برء لقلبي	بعثت لي منك العيون سقاما
وبوحي من سحر عينيك يوحى	لفؤادي صباية وغراما
عمرك الله هذه كبدي الحر	ى تشكت الى لماك الاواما
فاسقني من رحيق ريقك صرفاً	لا يريني كأس المدام مدا
حام خالٍ على زلال برود	هو في فيك قاصطلاها ضراما
أطعمته في فيك اطمانا في	ك فما نال بردها والسلاما
قالامان الامان من سحر عيني	ك فقد جردت علينا حساما
لست أدري وقد تثنيت تبهاً	اقضياً هزته ام قواما

وقوله في المدح من قصيدة انفذها للعلامة الالوسي :

لقد اوتيت غاية كل فضل	بخوضك في العلوم وفي اشتغالك
اذا افتخرت بنو آل بال	ففخر الدين انت ونخر آالك
وفي مرآك للابصار وحي	ينبئنا فديتك عن جلالك
فيا فرع النبوة طببت اصلاً	نمار الفضل تحبني من كمالك
ظفرنا من نذاك بما زجي	على ان ما ظفرنا في مثالك
وكم لله من سيف صقيل	بجوهرة النماية في صفالك
وما انا قائل بنذاك وبل	لان الوبل نوع من بلالك
اذا الايام يوماً اظمأتنا	وردنا من يمينك او شمالك
وان جاوزت بالبرهان قوماً	تحاسي من يرومك في نزالك
وكل منهم وله مجال	فما جالت جميعاً في مجالك

وانك اكثر العلماء علماً  
نعم هم في معاليهم رجال  
وما في الناس من تلقاه الا  
فتولي من جميلك كل شخص  
وقوله في العتاب :

بقيت بقاء الدهر هل أنت عالم  
لقد كنت تجزييني بما انت أهله  
فارجع عن نعمك في الف درهم  
فنفقتني شيئاً فشيئاً جوازني  
ولي فيك ملء الحافقين مدائح  
فمن أي وجه انت انزلت رتبتي  
فان كان من بخل فلم ير قبلها  
وان كان من قل هناك وجدته  
وان كان من طعن العداة وقدحهم  
اكان لمولانا بذلك حكمة  
فليس من الانصاف مثلي تضييعه  
وبحرك تيار ومالك وافر  
وتباغ منك الناس أقصي مرامها  
وقوله في الحماة :

واقترحها اذ نبت بك يوماً  
ادفع الشر ان علمت بشر  
فتى تكبر العزائم بأساً  
وتقلد بالرأي قبل المواضي  
رب رأي بالخطب يفعل ما لا  
واحذر القدر من طباع لثيم  
وادخر للوغى مقالة حرب  
ومن رقيق شعره قوله من موشح طويل :

بحياة الطاس والكاس عليك  
وتحكم انما الامر اليك  
نزه المجلس من كل ثقل  
ولك الحكم ومن هذا القليل

كيف لا والـكاس تسقى من يدك      ما على المحسن فيها من سبيل  
ولك الله حفيظاً ولنا      حيثما كنت وما شئت افعل  
واجر حكم الحب فينا وبنا      أنت مرضيٌّ وإن لم تعدل

دور

حبذا مجلسنا من مجلس      جامع كل غريب وعجيب  
نغم العود وشعر الآخرس      ومحـب مستهام وحبـيب  
يتعاطون حياة الانفس      في بديع اللفظ والمعنى الغريب  
بأبلي السحر معسول الجنى      إن هذا واشتیار العسل  
واذا مرَّ نسيم يئتنا      قلت هذا وبحكم من غزلي



## الحاج عمر الانسي

ولد سنة ١٢٣٧ هـ وتوفي سنة ١٢٩٣ هـ

هو ابن السيد محمد ديب بن اعرابي بن ابراهيم بن حسين الشهير لقبهم بالصقمان .  
وُلد في بيروت سنة ١٢٣٧ هـ وتعلم القرآن وأحكام التجويد على الحافظ الشيخ حسين  
الجزيري المصري . وتوجه سنة ١٢٥٩ مع الركب الشامي وقضى فريضة الحاج وهو في  
الثانية والعشرين من عمره . ولما عاد اكب على تلقي العلم عن اثنين هما أشهر علماء  
بيروت في القرن الماضي احدهما الشيخ محمد الحوت والآخر الشيخ عبد الله خالد .  
وكان مطبوعاً على الشعر فكان اكثر اشتغاله به على انه تقلب في مناصب عديدة منها  
انه تقلد نظارة النفوس في جبل لبنان سنة ١٢٦٤ بأمر الامير امين ارسلان قائم مقام جبل  
لبنان اذ ذاك . فاقام في الشويفات نحو اربع سنوات نظم عدة قصائد في مدحه وتعين سنة  
١٢٧٤ عضواً في مجلس ادارة بيروت . ثم تنقل في مناصب أخرى فتقلد مديرية قضاء  
حيفا ثم قضاء صيدا ثم عاد الى بلده واشتغل بالتدريس والمطالعة . وفي سنة ١٢٩١  
وجهت اليه نيابة صور بانتهاء من المرحوم أسعد باشا والي ايلة صيدا الملقاة . وعاد  
سنة ١٢٩٢ مريضاً الى بيروت ولم يتحمل المرض الا بضعة اشهر فتوفاه الله في رجب  
سنة ١٢٩٣ وكان عذب المنطق سريع الحفظ محبوباً . وله منظومات بديعة عني نجله  
الدكتور عبد الرحمن افندي انسي نزيل بيروت بجمع شتاتها من بين أوراقه وطبعها في  
ديوان سماه المورد المذب تزيد أبياته على ٦٥٠٠ بيت تقتطف منه أمثاله نستدل بها  
على شاعرية صاحبه — قال من مطلع قصيدة في مدح النبي :

قلوب الووى في مطمح الفكر قاب	وبرق المنى في غيب الوهم خلب
أمانيتك الاحلام والحلم يقظة	وأمالك الاوهام والنفس اكذب
و يارب نفس بالاماني عللت	وصاحبها من قابض الماء اخيب
فلا تمدن النفس بالخير طامعاً	اذا لم يكن للنفس في الخير مذهب
فكن صانع المعروف ما عشت انه	سبيل نجاح في الذي أنت تطلب

وذو الود ان يذكر يدأ لك عنده  
 فان قلوب الناس كلاماً را كدأ  
 ويمجب من حال الزمان بنوه في  
 واياك والدعوى فيا رب مدع  
 اذا أنت لم تعمل بما أنت قائل  
 فان التماسي منك ثمة السب  
 اذا ما تولاه الهوى يتقلب  
 تقلبه جهلاً وهم منه أعجب  
 له صدق كشف الامتحان يكذب  
 قانت أسير الجهل أو انت تكذب

وقال من قصيدة بمدح بها اخاه الحاج محمد بك ويهنته بتقلده رئاسة حجاب السلطان  
 وفيها أبيات نفخية :

أأنت ام انا أم ما نأت من رتب  
 انا المهنأ بما أوليت من منح  
 ان كان نخر بني العلياء في نسب  
 من المفاخر ابناء الرسول وقد  
 كنا وكانت يد الافدار تمنعنا  
 ياذا الذي ظن بي ما فيه من عوج  
 انا الذي ساد اصلاه ومفتخري  
 وقال يصف الشيشة عن لسان حالها :

انا التي اختارني قومي سمير على  
 اذا الهوى بفؤادي مرأ اكتبه  
 قالوا تحملت نيراناً فقلت لهم  
 شهرت حتى غدت تعشو السراة الى  
 فها انا مثل صخر حيث قيل به  
 وقال يهجو خادماً في قهوة اسمه هلال :

تمس الهلال القهوجي لانه  
 هذا الهلال هو الهلاك وانما  
 قد قطع الانفاس في انفاسه  
 غلطوا فلم يضموا العصا في رأسه

وله قصيدة مدح بها الامير امين ارسلان المشار اليه تفان بها فجعلها من البحر متعددة  
 وقواف مختلفة اليك امثلة منها :

يا للهوى	من لعب لم ينل أرباً املا	وطرا	عطفاً على	مستهم رق وانجبا	انخلا	انحسرا
عاني المها	مستهل الدمع ساكبه هاطله	هامره	وامي القوى	ماشكا يؤسأولا وصبا	تقلا	ضمررا
بادي الضنا	ذو غرام سامه شجنا		وافي العنا	مشفقاً من رحه وهبا	وجلا	حذرا
يهوى الظبا	وهوى الارام غايه قاتله	قاهره	طول المدى	وهو لا يصني لمن عتبا	عذلا	ففررا
وبح العدا	والاواجي حملته عنا		ازكى لظي	لا عجب من وجدته انهبنا	اشنلا	اسفررا
جمر الاسى	لم يزل دوماً يصاحبه يواصله	يساهره	وسط الحشا	مصدراً انقاسه طبنا	شعلا	نمررا
ماذا حوى	وبح قلبي ظل مرهنا		مضى الجوا	تقاوي والهوى غلبنا	قتلا	فهررا
رجو النقا	والظبا تنها غافبه غاطله	تقادره	بعد النوى	وعياي داؤه صعبا	عضلا	عسررا
كم من رشا	وغزال هز قد قنا		محت الحل	ذو جمال زين انتقبا	الحللا	الجبررا
اذا رنا	فتن الالباب حاجيه فاحله	ناظره	يسي الحجا	وبلي طلالا لبنا	هزلا	سخررا

والقصيدة كلها على هذا النمط فان كل سطر مؤلف من شطرين والشطرن مقطوع الى اربعة اجزاء اذا تركت الاجزاء الاولى تألف منها قصيدة مستقلة او الاجزاء الثانية تألف منها قصيدة اخرى . ومن مجموع الجزئين في الشطرين تتركب قصيدة اخرى . ويتركب من اسطر كل حقل قصيدة على حدة . وأما الحزآن الثالث والرابع من كل شطر فهي الفاظ يصح ابدال القوافي بها . فالسطران الاولان يستخرج منهما هذه الاشكال :

(١) يا للهوى من لصب لم ينل أربا ( أو أملا أو وطرا )  
 عطفاً على مستهم رق وانتجبا ( أو انتحلا أو انحسرا )  
 عاني المها مستهل الدمع سا كبه ( أو هاطله أو هامره )  
 واهي القوى ما شكا بؤساً ولا وصبا ( أو ثقلا أو ضررا )

(٢) يا للهوى . عطفاً على . عاني المها . واهي القوى

(٣) يا للهوى . من لصب لم ينل أربا  
 عاني المها مستهل الدمع سا كبه ( أو هاطله أو هامره )  
 بادي الضنا ذو غرام سامه شجنا  
 يهوى الظبا وهوى الآرام غلبه ( أو قاتله أو قاهره )

(٤) عطفاً على مستهم رق وانتجبا واهي القوى ما شكا بؤساً ولا وصبا  
 وافي المنا مشفعاً من برحه وهبا طول المدى وهو لا يصني لمن عتبا

(٥) من لصب لم ينل أربا مستهل الدمع سا كبه  
 ذو غرام سامه شجنا وهوى الآرام غلبه

(٦) مستهم رق وانتجبا ما شكا بؤساً ولا وصبا  
 مشفعاً من برحه وهبا وهو لا يصني لمن عتبا

(٧) من لصب لم ينل أربا مستهم رق وانتجبا  
 مستهل الدمع سا كبه ما شكا بؤساً ولا وصبا

هذه سبعة أشكال وإذا اعتبرنا ابدال القوافي تكرر ذلك ثلاث مرات الا الشكل  
 الثاني فيكون مجموع الاشكال ١٩ شكلاً وربما أمكن استخراج اشكال أخرى  
 وقال من مطام قصيدة مدح بها الشيخ محمد الحضري الدمياني :

خذ في هوى الفيد عني أحسن الخبر      وقل روينا بالاسناد عن عمر  
 وانقل احاديث أشجاني مسلسلة      عن صوتي عن مجاري الدمع عن سهرى  
 واهجر مواضع عذالي فقد وضعت      في المذل مفتريات حكمهن فري  
 وانسخ سخاخ رواياتي فقد نسخت      أحكام شرع الهوى في سالف العصر  
 وانقل عن الاغيد البسام لي أترأ      اذا نقات عن العباس من أر  
 يا ساحر الطرف كم بالسحر تمرضني      انا السها بالخفا يا كوكب السحر  
 نحول خصرك يا مولاي انحناني      وطالما قد أطلت المهجر فاختصر

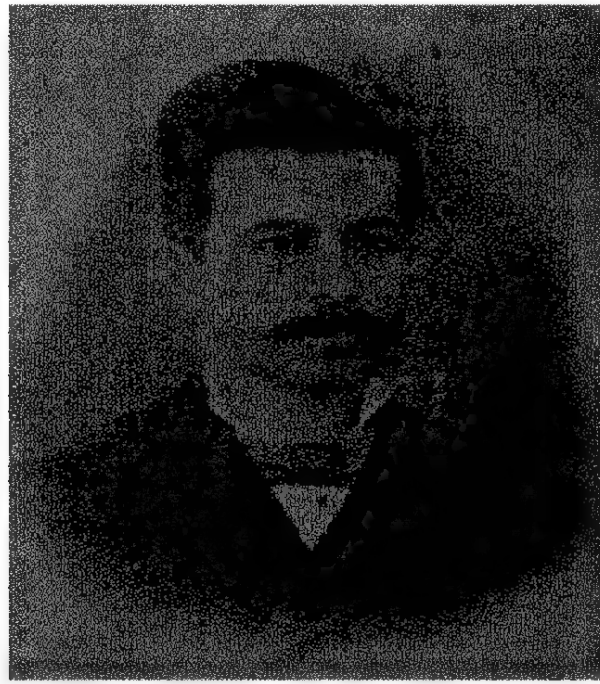
بما بسطفبك من لين ومن هيف  
وما بصبك من سكر ومن وله  
الا رحمت عليلاً لا علاج له  
اشتاق رشف اللمى واللا حظ يمنعني  
وقال يصف شاطئ البحر :

يا حسن منظر شاطئ البحر الذي  
هاجت به هوج الرياح فارسلت  
تطفو على تلك الصخور وتثني  
كسلاسل من فضة بفتائل  
وقال من قصيدة في مدح الامير امين ارسلان يتغزل باسمه :

كيف يقسو وعطفه حرف لين  
واذا قيل تلك همزة وصل  
وعلى الصدغ واو عطف فملا  
وعساها ان تجمع الشمل قرباً  
لم لا تعتريه نحوى أماله  
قلت من لي بان انال وصاله  
عطف من علي ابدى دلالة  
فهى للجمع يا منى القلب آله

وعني رحمه الله ايضاً في تنقيح كتاب كايلا ودمنة المشهور وفسر الغريب من الفاظه وضبطه بالشكل الكامل ووقف على طبعه فجاء أضبط نسخ هذا الكتاب المعروفة ومما طبع من ثمار قريحته ديوان « نيمات الاوراق » المتقدم ذكره وفيه اكثر ما نظمه من تراث وتواريخ ومدائح وحكم وآداب في ما يزيد على ٢٦٠٠ بيت سنائي على أمثلة منها

ومن مؤلفاته التي لم تطبع « كتاب الوسائل الى انشاء الرسائل » وهو مجموع ما القاه على تلامذته في المدرسة البطريركية من الرسائل وأصول الانشاء وهو لم



( ش ٤٦ ) : الشيخ خليل اليازجي

فيها هذا الفن على اسلوب يتدرج فيه الطالب من الكتابة البسيطة الى أعلى طبقة من الانشاء . والكتاب لا يزال خطأ في المدرسة المذكورة

ومنها « الصحيح بين العامي والفصيح » وهو معجم لم يسبقه أحد الى مثله جمع فيه مرادفات الالفاظ العامية من اللغة الفصحى . وقد رأيناه رحمه الله وهو يني في جمع تلك الالفاظ يوم جاء مصر للمرة الثانية وتوسمنا في ذلك التأليف فائدة كبيرة لشدة حاجة الكتاب بنوع خاص اليه . وكان قد مثل بعضه للطبع فاشتدت عليه وطأة الداء فانقطع عن العمل فتوقنا أن لا يحرمنا شقيقه الشيخ ابراهيم صاحب الضياء من اتعانه لسكته لم يفعل ولا نعلم مصير ذلك الكتاب

## الشيخ خليل اليازجي

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٩

( ترجمته ) هو أصغر اولاد المرحوم الطيب الاثر الشيخ ناصيف اليازجي وُلد في بيروت في بيت الشعر وانقاة والانشاء فوضع آداب اللغة العربية مع الابن وقد قال الشعر وهو صبي ولم يدخل المدرسة . على انه لم يدخل المدارس الا بعد ان أخذ طرفاً من الادب . وقد درس الطبيعيات والرياضيات في مدرسة الاميركان في بيروت وبرع فيها ونظمها في الشعر . وقام سنة ١٨٨١ مصر وتعرف فيها بجماعة من أهل العلم فقال حظوة لدى الامراء والوزراء وانشأ مجلة « مرآة الشرق » لم يصدر منها الا بضعة اجراء ثم ظهرت الثورة العراقية فعاد الى مسقط رأسه فانتدبه المدرسة الكلية الاميركية والمدرسة البطريركية لتعليم اللغة العربية للصفوف العالية فيها

وفي سنة ١٨٨٦ اصابته علة في الصدر عجز عن مداواتها الاطباء ولما فرغت حيل العقاقير وصفوا له بتبديل الهواء في وادي النيل فعاد الى مصر وطبع فيها ديوانه المسمى « نسائم الاوراق » وفيه نخبة منظوماته وهي على ما طبع عليه رحمه الله من القريحة الشعرية

واشتد عليه الداء في أثناء ذلك فاشير عليه بالعودة الى لبنان فعاد واقام في عييه اشهراً ثم نزل الى الحدث وما زال فيها حتى توفاه الله في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٩ وقلبت جثته الى بيروت ودفنت فيها بمحفل حافل . وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً مريب الخاطر حاد الذهن متوقد القريحة كثير الرواية متفنناً في أساليب الانشاء قريب البرهان مع لطف المحاضرة وسمو الآداب

( مؤلفاته ) اكثر ما آثره المنشورة شعرية أشهرها رواية « المروءة والوفاء » وهي رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دل فيها على مقدراته في النظم وسعة معرفته بالانعام . اساسها حكاية حنظلة الطائي مع الملك النعمان في عصر الجاهلية قتل فيها فضائل المروءة والوفاء تمثيلاً واضحاً . وصدرها بقصيدة طويلة بين فيها الاحوال التي يجب اتباعها في هذا النوع من الروايات . وقد اتم نظمها سنة ١٨٧٦ قبلت ابياتها نحو الف بيت جمعت بين المتانة والسهولة وقد مثلت هذه الرواية في بيروت سنة ١٨٧٨ وشهدنا ما كان من اعجاب البيروتيين بها وتصفيقهم المتواصل في أثناء تمثيلها . وقد طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ وفي مصر سنة ١٩٠٢

أما شعره فاحسن ما يقال في وصفه أن نأتي بأمثلة منه — قال من قصيدة قدمها روايته المشار إليها إلى شقيقه المشار إليه :

لما وجدتك مثل بحر زاهر هاتيك جوهرة لديّ وإن تكن  
نزر المقل أجلّ في عينيّه من  
تخذت ليالي الطوال محاراً  
ووهبتها الناس عيني فاغتدت  
عذراء لكن لا أقول فريدة  
لم ينسح الشعرا على منوالها  
حاشاك والاطلاق أضيق حيزاً  
شعرية لا نثر فيها وهي من

القيت بين يديك بعض جواهر  
صدفاً لدى دري بلجك فاخر  
وفرر لدى عين الغني القادر  
وسوادها اتخذته حبر محار  
دعجاء اذ كحلت بأمد ناظري  
للعقد ان العقد ليس بحاضري  
اذ ليس معناها بقلب الشاعر  
من ان يحيط بك احتياط الدائر  
بعض الوجوه ترى كثر النار

وقال من قصيدة بعث بها إلى صديقه المرحوم اديب اسحق بالقاهرة :

تلك العيون منوتنا فكانما  
ولربما نام الزمان هنيهة  
واذا رأت في النوم طيف خياله  
طمعت بخضرتها العيون وما درت  
ولرب حلو في المرارة مودع  
متنبه الافكار يقظان الحجي  
فاذا ترواً كاتباً فجميعه

قد كلفتها قتلنا الايام  
عنا وتلك تصيب وهي نيام  
فتكت به ولو انها أحلام  
ان السموم تكنها الادسام  
كالخبر فيه ثنا الاديب يقام  
حتى لا عجب منه كيف ينام  
فكر فتوشك تفصح الاقلام

وقال يمدح المرحوم شريف باشا وزير مصر من قصيدة :

قد قام في دست الوزارة فاكسى  
ولكل ما يولي الشريف مشرف  
وغدا زمام الدهر طوع بئانه  
وهو الذي ضبط البلاد بكفه  
يرنو بفكرته فيوشك ما يرى

شرف العلى وبه تشدد أزره  
كالنهر يكسبه التدفق بحره  
اذ بات مكشوقاً لديه سره  
لما حوى ما عنه ضاقت صدره  
بالعين منه ان يراه ففكره

وقال من قصيدة في رثاء المرحوم المعلم بطرس البستاني :

اجرى البراع عليك دمع مداده  
وبه نخط لك الرثاء من الاسى  
فكم بميدان الطروس هزرته

فكسا به القرطاس نوب حداده  
فهو المقيم على عهد وداده  
حتى جعلت الرمح من حساده



ان كان يبكك البراع بدمعه      فلقد بكاك حزينا بفؤاده  
يا صاحب الفضل الذي لو انا      نبكي به لم نخش وشك نفاذه  
يا قطر دائرة المعارف والحجى      ومحيط فضل قاض في امداده  
فاذا المحيط بك لم يك دمه      دون المحيط يزيد من ازباده  
يبكي الحساب عليك متخذاً له      دمعاً يسيل عليك في اعداده  
خدم البلاد وليس أشرف عنده      من أن يسمى خادماً لبلادهم  
ومحبة الاوطان كان يعدها      مما يدور عليه أمر معاده  
وقال من قصيدة يرثي بها المرحوم أديب اسحق :

أخلق بجسمك ان يبيت كليل      عن جهد نفسك او يموت عليلاً  
نهكته نفسك في المطالب والعل      حتى تمنى للفراق سبيلاً  
يا راحلاً ابكي عليه محاراً      ومنابرأ ومحاجراً وطولاً  
ترثيك اقلامٌ يكون صريرها      نوحاً عليك من الالسى وعويلها  
وهي التي قد كن بين بنائها      قضياً وكانت صريرهن صليلاً  
ولعل مثلك ليس يوجد عندنا      حتى نرى لك منك عنك بديلاً  
يروي مآثر عنك يقصر دونها      صوغ النوافي في ثناك طويلاً  
ويعد ما أحصيته في مدة      قصرت فئات العرض منها الطويلاً  
ان كان قل مدى حياتك عندنا      فقليل مثلك لا يعد قليلاً  
فلقد ملأت به السماع جرائداً      وقصائداً ورسائلاً وفصولاً  
ما بين شرق في البلاد ومغرب      لم تأل فيه تغرباً ورحيلاً  
مستصحباً لك همه تفاذة      وعزيمة مثل الحسام صقيلاً  
وقريحة وقادة وبصيرة      نقادة تستوضح الجهولاً

وقال من قصيدة رثا بها المرحوم سليم البستاني وقد توفي فجأة :

هو الموت الا ان خطبك أعظم      ورزوك في الارزاد أشحى واجسم  
ومن فلتات الدهر أترك انه      لاشفق في امثال هذا وارحم  
لك الله ميتاً كالقتل ولم يـل      له من دم لسكن مدامعنا الدم  
وان نحن طالبا المايا بشأره      رمما وقالت من يطالب عنكم  
وان نحن عاتبا الزمان بفعله      قرعنا سمعاً ما له من يترحم  
قمعنا وقد خبنا من الدهر مأولاً      تتوح على ما كان منه ونلطم  
كذا الدهر الا ان من زاده      وقصر عن تفريجه يتظلم

فقدنا بني الاوطان عضواً مكرماً  
ألا اتنا في فقدته اليوم اسرة  
على مثله يبكي وهيبات مثله  
قال بمدح المرحوم الدكتور فتديك إثر مرض شفي منه على يده :

لو استطعت جمعت البرق لي قلماً  
ورحت املأ آفاق السماء ثناً  
يا كنز فضل وعلم لا تقاد له  
ان النفيس عزيز قد ينال وقد  
كالشمس تعطي ثنائها كل ذي بصر  
فبني مبالغة في الشعر فيك فلا  
والشعر لا بد فيه من مبالغة  
انت الطيب لاجساد العباد ولا  
والفيلسوف الذي أحصى العلوم وقد  
تدعى الحكيم وان نعم الطيب وان  
يا مغفلاً نفسه في جنب منفعة  
كانما الناس طراً عيلة لك من

وكتب من القاهرة وهو مريض الى بعض أعرائه في بيروت :

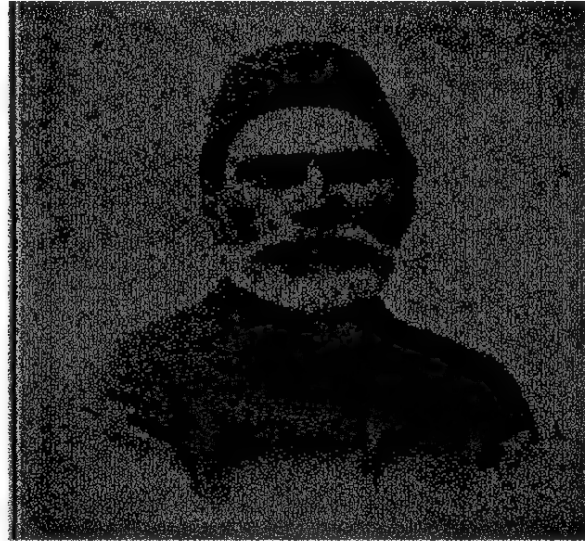
قل صبر الفؤاد والشوق غالب  
غالب السقم مني الشوق حتى  
غلب السقم بانحيازي اليه  
لم أقل هارباً ومن لي بهذا  
غير اني قسمت قلبي فكانت الـ  
كلما حن مني القلب قال الـ  
وعسى الله ان يصير بي بل  
واذا لم يكن فقد قام عذري  
ويكون هذا العباد ابتداء  
غير اني أرى لليلي فجراً  
ليس من طاق لهذا ولا اذا  
كيف يشقى من كل حين يرى الموت

والظنى وحده لذا الشوق غالب  
بات قلبي ميدان كل محارب  
واثنى الشوق انما غير هارب  
فهو طي الفؤاد ضربة لازب  
سقم في جانب وشوقي بجانب  
مقل مهلاً فانت لست بصاحب  
بكثيرين ذلك الظن خائب  
اني قد عملت ما هو واجب  
العباد هذا له لا يقارب  
ربما كان صادقاً غير كاذب  
فبكل من الخواطيء صائب  
ت وغربانه عليه نواعب

خاف من موته فأت من الخو ف كثير فتق وطاوع وتاصب  
وقال مؤرخاً ميلاد غلام اسمه فضل الله سنة ١٨٧٥  
أني لبني الطوا غلام بوقده نشرنا برود الانس في كل محضر  
فوافي الهنا يدعو أباه مؤرخاً لقد حل فضل الله عندك قابشر  
وكتب على احدى صورته :  
لما تملكتم على قلبي ولم اطمع له من عندكم بعماد  
اهديتكم رسمي لكيما تجمعوا ما بين جسمي عندكم وفؤادي  
وكتب  
لاك مني أثر العين التي لك فيها أثر في كل أين  
فتقبله ولو كنت امرأ ليس يرضى أثرأ من بعد عين  
وكتب  
رسم اليك بعثته وانا اهوى لو ان مكانه الجسم  
ان كان ذلك ليس يمكني يا حبذا لو انني رسم  
وكتب  
بعثت لكم موهوم شخصي ممثلاً وشخصكم في مقلي ظل بالوهم  
لعلني من الوهمين أجني حقيقة فرسماً ترى ذاتي وذاتاً يرى رسمي  
وقال في ضارب عود :  
وضارب عود قد أزاغ عيوتنا يبرقين من تلك البنان وذو الكف  
تنازعه آذاتنا وعيوتنا فهذي الى كحل وتلك الى شنف

فيها الى ولاية الخديوي الاسبق اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ فابقاه في معيته فسافر معه الى الاستانة عندما أمها لاتعام الرسوم في تقليد الولاية واداء الشكر للحضرة السلطانية وما زال في خدمته يرافقه في أكثر رحلاته فسافر الى الاستانة مراراً بمهمة الكتابة تارة مع الخديوي الاسبق وطوراً مع الحزم الخديوي وبمهمات أخرى فنال الرتبة الثانية مع لقب بك سنة ١٢٨٢ هـ

وفي سنة ١٢٨٤ قلده الخديوي الاسبق ملاحظة الدروس الشرقية وهي العربية والتركية والفارسية بمعية أنجاله وهم المغفور لهم محمد توفيق باشا الخديوي السابق والبرنس حسن باشا والبرنس حسين باشا عم الجنب الخديوي وغيرهم من امراء العائلة الخديوية



(ش ٤٧) : عبد الله باشا فكري

فقام يباشر أمرهم في التعليم والتلم والتدرج في الفضل والتقدم فكان أحياناً يباشر التعليم بنفسه وأحياناً يقوم بمراقبة غيره من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقوم طريقة التعليم . فلم يزل على ذلك الى ان ترقى الخديوي السابق الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة العظمى لاداء رسوم الشكر على ذلك لجلالة السلطان الاعظم فصحبته المترجم الى دار السعادة وبقي معه الى ان عاد

وفي سنة ١٢٨٦ نقل الى ديوان المالية فقام اياماً بغير عمل ثم عهد اليه النظر في أمر الكتب التي كانت في ديوان المحافظة على ذمة الحكومة وابداء رأيه فيها فلبث

## عبد الله باشا فكري

ولد سنة ١٢٥٠ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو عبد الله باشا فكري بن محمد افندي بليغ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد وكان الشيخ عبد الله من العلماء المدرسين في جامع الازهر وكان مالكي المذهب أخذ العلم عن الشيخ عبد المليم الفيومي وغيره . وما زال الشيخ عبد الله مقبلاً في مصر حتى قدمت الجنود الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر واساءوا معاملة العلماء فرحل الى منية خصيب ( المينا ) فقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة وعكف على الاشتغال في العلم حتى توفي فنشأ ابنه محمد افندي بليغ على مثال ابيه جداً في طلب العلم . وكانت مصر قد ازدهت بالعائلة الحمديدية العلوية وانشأت مدارس العلوم الرياضية والمدرسة الحربية فدخلها وخاض عباب علومها حتى تمكن منها فانتظم في خدمة الجيش فترقى الى رتبة صاغقول اغاسي وحضر عدة مواقع حربية اهمها حرب المورة فعقد في المورة على والده المترجم وعاد بها الى الحجاز فوضعت بمكة المشرقة غلاماً سماه باسم ابيه عبد الله وهو عبد الله باشا فكري صاحب الترجمة

ومن غريب الاتفاق ان سنة ولادته وافقت مجموع جمل الآية « قال اني عبد الله آناني الكتاب » وذلك سنة ١٢٥٠ هـ وقد وافق ذلك نبوغه بالعلم والفضل واشتهاره بسائر فنون الكتابة نثراً ونظماً وقد اعجب هو ايضاً بهذا الاتفاق فلما شب وتعلم نقش هذه الآية على خاتم له كان يختم به كتبه . ثم طار محمد افندي بليغ بولده الى القاهرة وما زال في خدمة الحكومة حتى نال منصب باشا مهندس الشرقية ثم مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وتوفي سنة ١٢٦١ هـ

أما صاحب الترجمة فكان عند وفاة والده لم يتجاوز الحادية عشرة فنشأ في حجر بعض أقارب ابيه وكان قد بدأ بتعلم القرآن قائمه وجوده ثم اشتغل في طلب العلم في الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة فيه كاللغة والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق على الشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عيش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم وكان مع ذلك يشتغل في تعلم اللغة التركية حتى اتقنها وتعين في القلم التركي في الديوان المكتخداني ( ١٢٦٧ هـ ) وهو لا يزال مكباً على طلب العلم في الازهر يفتن ساعات الفراغ قبل ذهابه الى الديوان وبعد رجوعه منه ثم انتقل من الديوان المذكور الى ديوان المحفظة ثم الى الداخلية بصفة مترجم ثم ألحق بالمعية السنية على عهد المنفور له سعيد باشا وبقي

مدة يتردد الى ذلك الديوان وينظر في الكتب . ثم رفع تقريراً مفصلاً ضمنه بيانها وما رآه في حالها وذكر فيه ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يحفظها ولا يمكن من الانتفاع بها وقال بلزوم جعلها على هيئة ينتفع بها الناس اما بإنشاء محل خاص تنقل اليه ويجعل فيه ما فيه من الكفاءة لها من الخزان وتوضع به على الوضع الموافق واما بإحالتها على المدارس لتودع في المكتبة الجاري انشاؤها بمساعي المرحوم علي باشا مبارك ناظرها اذ ذاك على سعة لا تضيق بهذه الكتب وأمانها واوضح ان الوجه الثاني أولى وقد حصل ذلك على ما قرره فاستنفذت تلك الكتب النفيسة من زوايا الخمول والاهمال ورتبت ترتيباً حسناً في المكتبة المذكورة وهي الآن المكتبة الملكية الشهيرة

وكان المجلس الخصوصي اذ ذاك ( وقد صار الآن مجلس الوزراء ) مشغلاً في جمع اللوائح والقوانين وتنقيحها وتعديلها فعهد الى صاحب الترجمة بالمساعدة في ذلك فاستلم القوانين واللوائح التركية وأخذ في العمل الى سنة ١٢٨٧

وفي سنة ١٢٨٨ تعين وكيلاً لديوان المسالك الاهلية والرئيس اذ ذاك المرحوم علي باشا مبارك . وفي سنة ١٢٩٤ نال صاحب الترجمة رتبة المميز وبعد سنتين تعين وكيلاً لمظارة المعارف العمومية ونال رتبة ميرميران الرفيعة ثم عهد اليه منصب الكتابة الاولى بمنصب النواب مع المنصب السابق . وفي سنة ١٢٩٩ تعين ناظر المعارف العمومية وفي رجب من تلك السنة أقيل من منصبه مع سائر زملائه النظار لاحوال اقتضتها الثورة العسكرية اذ ذاك وامرها مشهور

ثم كانت الثورة العرابية المشار اليها فلما انقضت واخذت الحكومة في محاكمة زعمائها والقائمين بها كان صاحب الترجمة من جملة المقبوض عليهم وبعد استجوابه لدى لجنة التحقيق ظهرت براءته فاطلق سراحه ولكنهم قطعوا عنه معاشه فشق ذلك عليه فالتمس المثول بين يدي المغفور له الخديوي السابق ليدراً عنه ما بقي من آثار الشبهة عليه فلم يؤذن له فماد بالتمس ذلك من وجهة أخرى فقام تصيدة شائقة يمدح بها الحضرة الخديوية وقد ابان فيها براءة ساحته نحاها منحي النابغة في اعتذاره وهالك مقتطفات قال منها :

كتابي توجه وجهة الساحة الكبرى	وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا
وقف خائفاً واستوهب الاذن والتس	قبولا وقبل سدة الباب لي عشرا
وبلغ لدى الباب الخديوي حاجة	لذي أمل يرجو له البشر والبشرا
لدى باب سمح الراحتين مؤمل	صفوح عن الزلات يلمس المدرا

تتوه الجبال الراسيات لحلمه  
يراقب رحن السموات قلبه  
مليكي ومولاي العزيز وسيدي  
لئن كانت أفوام عليّ تقولوا  
حلفت بما بين الحطيم وزمزم  
لما كان لي في الشر باع ولا يد  
ولكن محتوم المقادير قد جرى  
أتذكر يا مولاي حين تقول لي  
أراك تروم النفع للناس فطرة  
فغفوا أبا العباس لا زلت قادراً  
وحسبي ما قد مرّ من ضنك أشهر  
يعادل منها الشهر في الطول حقبة  
أجمل في دين المروءة اني

وكلها درر تشهد بفضله

ولما عرضت على سموه أجلها واحلها محلها وسمح له بالمثل بين يديه وأعاد له  
معاشه دلالة على رضائه عنه . فنظم قصيدة يشكره بها نذكر منها الايات الآتية :

ألا ان شكر الصنع حق لمنم  
ملك له في الجود نخر ومفخر  
سأشكره النعماء ما عانقت يدي  
براعي أو استولى على منطقي في

وفي سنة ١٣٠٢ هـ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فاتي من علماء مكة  
والمدينة وادبائها ما يليق بمقامه من الاكرام والاعظام وكتب في ذلك كتاباً  
سماه الرحلة المسكية . وفي السنة التالية شخص لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه نجله  
المرحوم أمين باشا فكري فاتي من العلماء والعظماء هناك ما يجدر بفضله ثم سارا الى  
مدينة بيروت الزاهرة لتبديل الهواء وأقاما فيها شهراً كان مقامهما فيها متدي الفضلاء  
ومشرع الادباء والعلماء ثم ارتحل الى دمشق فلاقى فيها مالاقاء في بيروت من الاحتفاء  
وحسن الوفادة ثم عرج الى بعلبك فزار آثارها وسار منها بطريق لبنان الى بيروت فاقام  
فيها شهرين وعاد الى مصر

وفي سنة ١٣٠٦ اتدبته الحكومة المصرية لرئاسة الوفد العلمى المصرى في المؤتمر

الذي انعقد في مدينة استوكهولم عاصمة اسوج وزوج وصحبه في هذه الرحلة ايضاً  
 نجده المتقدم ذكره عضواً في هذا الوفد . وقبل سفره من اسكندرية احسن اليه الجانب  
 الحديوي بالنيشان المجيدي من الدرجة الثانية وقد مر في وقادته المذكورة على تريستا  
 من أعمال النمسا وفينيسيا ( البندقية ) وميلانو من أعمال ايطاليا ولوسرن من أعمال  
 سويسره وباريس فاقام بها أكثر من عشرين يوماً تفرج فيها بمشاهد المدينة وضواحيها  
 وكان وقت المعرض فشاهد ما فيه من عجائب الصنائع وغرائب الفنون ثم برحها الى  
 لوندن ومنها الى نوردام ولاهاي من أعمال هولاندا وليدن من أعمالها ايضاً وزار  
 مكتبها الشهيرة ورأى مطبعتها المروفة بالمطبوعات الشرقية ثم توجه منها الى كوبنهاجن  
 عاصمة الدنمارك ومنها الى استوكهولم محل مأموريته فقال من العلماء المجتمعين لهذا  
 المؤتمر باستوكهولم وخرستيانيا مزيد الرعاية واهداه اوسكار الثاني ملك اسوج وزوج  
 عند انعام هذه المهمة نيشان (وازه) من الدرجة الاولى ومر في العودة من مأموريته  
 على برلين عاصمة بلاد المانيا وفيانا عاصمة النمسا فاتي بها ما لقيه في العواصم الاخرى  
 من الاحتفاء وقد اخذ بعد عودته الى مصر يجمع المواد ويمد المعدات لتدوين رحلته  
 التي وعد بها عن المهمة وعما رآه في العواصم التي مر بها ولكن منعه من استمرار السير  
 في ذلك مرض السكتة الذي اعتراه في شهر رجب سنة ١٣٠٧ فابقي انمامها الى ما بعد  
 تمام صحته ولكن طوده بعد ظهر الخميس في ٧ ذي الحجة وهو عائد من ابعاديته  
 بتلحوين وتزايد عليه حتى وافاه الاجل المحتوم في الساعة الثانية عريية من صباح يوم  
 الاحد عاشر الشهر وهو يوم النحر وشيع محملاً على هلمات الوقار والتبجيل تودعه  
 الحاجر والقلوب . ونظراً لما كان له من المقام الرفيع لدى المنفور له الحديوي السابق  
 تعطف رحمه الله بتعزية اهله وأولاده برسالة برقية

وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً وكاتباً فصيحاً وقد نبغ بين الكتبة والشعراء  
 ومصر قليلة الوسائل التعليمية وكان يذهب في انشائه مذهب القرون الوسطى من  
 ابناء هذا اللسان مع ميل الى التسجيع

أما رحلته الى المؤتمر فقد عني نجده المتقدم ذكره بنشرها في كتاب سماه « ارشاد  
 الالباء الى محاسن ادربا » في مجلد ضخيم طبع بمصر سنة ١٨٩٢ م وهو جدير بالمطالعة  
 حقيق بالاعتبار لما حواه من اوصاف المدن الاوربية وعادات أهلها واخلاقهم وفيه



شيء كثير من نظم المؤلف ونثره مما لم ينشر في سواء وأبحاث علمية ولغوية وأدبية  
ومن مؤلفاته أيضاً الإقامة الفكرية في المملكة الباطنية طبعت في مصر غير مرة  
ورسالة مطولة الى المرحوم سلطان باشا يحثه فيها على نشر العلوم في أنحاء الصعيد  
ونبذة في محاسن آثار المتفوق له محمد علي باشا الكبير وله غير ذلك من المقالات والخطب  
وله في رواية الحديث طرق عديدة وأسنيد سديدة فضلاً عن قصائده الرنانة وقد  
ذكرنا مثالا منها

## أسعد طراد

ولد سنة ١٨٣٥ م وتوفي سنة ١٨٩١ م

بيت طراد عائلة شهيرة في بيروت وفيها جماعة من أرباب الثروة والتجارة ورجال الادب والشعراء . ومن شعرائهم أسعد طراد وُلد في بيروت سنة ١٨٣٥ وليس فيها من المدارس يومئذ ما يستحق الذكر فأرسله والده الى المدرسة الاميركية في عبيه بلبنان فتلقى فيها مبادئ العلم وبعض العلوم العالية وقرأ العلوم العربية على اشهر الاساتذة . وكان مفضلاً على الشعر منذ حادثته فاكثر من التردد الى المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي ونظم قصائد عديدة في مواضع تحدى فيها شعر الشيخ من السهولة والمتانة وتقاب رحمه الله في مناصب الحكومة العثمانية وكان موضع ثقة اولي الامر لنزاهته ونشاطه . وفي سنة ١٨٧٢ رحل سوريا وجاء الفطر المصري وأقام به يتاطى التجارة في الاسكندرية وزفني والمنصورة الى ان توفاه الله سنة ١٨٩١

فعني ابن اخيه الخواجه فضل الله طراد بجمع ما تيسر من قصائده فجمع نحواً من الف وخمسمائة بيت طبها في كتاب وقف على طبعه ورتبه نجيب افندي ابراهيم طراد وهذه أمثلة منه :

قال من قصيدة مدح بها الشيخ ناصيف اليازجي  
الى كم فؤادي يطلب المشق والحباً ولم أر الا الوجد والوعد والعقبا  
عرفت بأن لا يعرف الود والوفا لديك ولا يدري الحب له ذنبا  
غزالة أنس بات قلبي لها حمى عليه عيوني قد غدت تاطر السحبا  
تصيد ولكن لا تصاد على المدى وتسبي قلوب العاشقين ولا تسبي  
تقول اضطر فالصبر للقلب واجب ولم تبق لي للصبر يوم النوى قلبا  
أأطعم منها بالوصال ولم أكن سمعت بخود في الورى رحمت صبا  
وقد خاف نومي ان يبيت بدمعي غريقاً فقد طاف التواصل والقربا  
وقد جزمت عن ناظري اليوم وجهها وحلت فؤادي ترغب السلب والنهبا  
نصبت لها قاي لترفع جزمها فقد علمتني الرفع والجزم والنهبا  
قد انتسبت للعرب من ابدعوا الوفا ساشكو جفاها الذي أودت العربا  
الى اليازجي اليوم تسهي وكابنا كاهل الظما من بجره نطلب الشربا

لئن دثرت كتب الاولى قد تقدموا      من العرب هذا صدره جمع السكتبا  
وأصعب شيء عنده منع فضله      وأهون شيء ان يحل لك الصمبا  
على اي شيء نحوه جئت سائلا      فتقبل سؤال منك تنظره اي  
وقال من قصيدة اجاب بها الشيخ محمد عاتل بالاسكندرية :

هيات يسلم من جفونك عاشق      وهي التي بالسحر تفتن بابلا  
اترى لمن أشكو الحبيب ولا أرى      لي من قضاة الحب شخصاً عادلا  
يا عاذلي في حبه مهلاً فما      من عاشق قبلي أطاع العاذلا  
اني قتيل في الغرام على رضى      وبهجتى أخفيت ذاك القاتلا

وله قصيدة رنانة وصف في الاختراعات الجديدة نقتطف منها قوله :

واترك جدوج المالكية انها      ملكك حشاك بخدرها مصفودا  
ما بالحدائج والموادج ما ترى      في عصرنا في قطر مصر جديدا  
وجه لحاظك للبخار وقل له      اني أرى ماءً يجرُّ حديدا  
وانظر لسلاك البرق والتلفون كم      قد قربا ما كان منك بعيدا  
غنت سليمى في الحجاز فأطربت      مع بعدها أهل العراق نشيدا  
ولسوف ان رققت بمصر فتدنى      في اصهبان لفدها تأويدا  
أله الفؤاد بذكر ذاك وذا وذا      عجبا وهاك الطائر الغريدا  
يهدي اليك مع البريد بوصفه      فكأنما حمل البريد بريدا  
يصف البريد ببه وببيحره      وببحوه متنوعاً معدودا  
ذاك الصديق الصادق الخل الذي      لا يعرف التأجيل والتعريدا  
ويريك منه بوصفه خلا يرى      حفظ الامانة سنة وعهودا  
حمل السفائج والنضار لاهلها      وسرى بحول الله يطوي البيدا  
يطوي القفار فيكم عليه حلة      منها وكم منه بها اخدودا  
متفرع في أرض مصر كنيلا      يسقي التجارة سقي ذاك صعيدا  
ابداً يطوف بها كصاحب كرمه      يهدي لكل محطة عنقودا

وقال يرثي الشيخ حسنين الزاهدين بالمنصورة :

مرى الحسين اليوم يفتن الاجرا      من المسجد الاقصى فسبحان من أسرى  
وعن جانب النيل ارتقى نحو جنسة      جرت تحتها الانهار جل الذي أجرى

بكته بنو المنصورة اليوم حسرة  
أراهم سيكون الدما وكأني  
ينوحون شيخ الزهد والنسك والتقى  
وسحت عيون الافق حتى كاعما  
فريداً وحيداً قد قضى العمر زاهداً  
عن الواابل استغنى بظل قنائة  
فكم عمها لطفاً واكسبها نصرا  
اراني من آماقهم أعصر الحنرا  
ومن عمهم بالفضل عمهم برا  
منيته قد ابكت الانجم الزهرا  
ولازم في أيامه الفقر والفقرا  
وفي كسرة عما استعز به كسرى

وقال يرثي المرحوم سليم دي بستر المتوفى في لندن :

خل الحزين اليوم في حسراته  
واطرح احاديث السلو اليوم عن  
دنف غرام اليين لم يترك له  
نشوان كاس نوايب الدنيا على  
ولكل بلوى انة في صدره  
ودع العزاء لمن يعي كلماته  
دنف بخاف عليك من صمداته  
من قلبه الا صغار فتاته  
انواعها حسب اختلاف سقاته  
فتد ما تحويه من اناة

الى ان قال :

لاقي المنية باسماء فكانها  
وكانما تلك النفيسة نفسه  
عظمت بقلب الشرق حسرة ففده  
والنيل من أسف تمنى لو جرى  
وافته تخطر مع لفيف عفاته  
بيديه كانت عند بذل هباته  
بذواته وقضاته وولاته  
للشرق تعزية لقلب فرانه

ومن قصيدة رثاها المرحوم سمعان كرم بالاسكندرية يخاطب الموت :

ويلاه لا يمحي خط القضاء ولو  
والف ويلاه كم برحت في مهج  
وكم ظلمت ولم ترحم نواح أخ  
وكم جمعت بدار الالحد من نفر  
وكم أسرت غداة الروع من ملك  
وكم غلبت بدار الاسر متخذاً  
وكم مشيت على هام المشاة وكم  
ماخفت مجدأ ولا جاهأ ولا شرفأ  
ولم تبال بابطال الرجال ولو  
مهما احى منك مما خط تبينا  
ياموت فتكاوكم قرحت اجفانا  
على أخيه وكم يتمت ولدانا  
جمع الفراق وكم فرقت اخوانا  
بين الجنود وكم عطلت تيجانا  
نوايب الدهر اجناداً وسجانا  
القيت عن صهوات الخيل فرسانا  
ولا سموأ ولا قدرأ ولا شاناً  
شنوا الاغارة فرساناً وركباناً

ولا قبلت شفيعاً لو عزمت على  
 كم شاخ جيلٌ فجيلٌ وانقضى ومضى  
 اقيت عاداً وشيباناً وجرمة  
 وعشت في كل نفس كنت تسلبها  
 حتى متى والى كم لا تموت ودع  
 هيات ينظر موت الموت ذورهم  
 فحينما موته حيٌ بصاحبه  
 وميتنا موته ميتٌ قضى معه  
 يا ايها الميت لا موتاً يهاد فكن  
 مها تددت لا تحش الغناء فقد  
 فتكٍ ولو كان ربا بنت مروانا  
 وانت فيك الصبا يزداد ريمانا  
 وتغلباً وبني بكر وغسانا  
 رغماً وما زلت بالارواح ريانا  
 ليوم موتك كي يبيك انسانا  
 من الورى اكسبه النفس وجدانا  
 ما لم يمت لم يجد للموت هجرانا  
 كأنه وكان الموت ما كانا  
 من بعد ذا في سرير الملك سلطانا  
 صادفت في فسمحات الكون خزاناً

ثم كان ذلك سبباً في رفع منزلته بين أقاربه وتقربه الى رجال الدولة وأهل المايين وغيرهم من علماء الاستانة ووزرائها

فلما أذن الله بانقضاء أجل حياته في ٢٥ رمضان سنة ١٣١٠ هـ كان لخبر معناه وقع أليم في قلوب العثمانيين كافة فبكاه الاصدقاء ورثاه الشعراء وأبناه الخطباء وترجمته الجرائد وما وصل خبر معناه الى جلاله السلطان حتى أصدر ارادته بان يتفق على جنازته ودقنه من جيبه الهايوني الخاص وان يدفن في ربة ساكن الجنان السلطان محمود الثاني مدفون العظماء والعلماء

واشتهر المعلم ناجي اقندي بحسن البيان ودقة النظر واصابة الرأي وجودة القريحة وحسن الذوق نظماً ونثراً فكانت الالفاظ والمعاني طوع بنانه فيصوغ منها ما شاء



(ش ٤٨) : المعلم ناجي

على أساليب تلك المطالعين على اختلاف طبقاتهم . واتخذ في الانشاء والنظم نسقاً جديداً فلم يقلد الا فرنج المحدثين ولا بقي على ما كان عليه السلف لكنه اختار ما بين ذلك أسلوباً حسناً خلقت صورته في ذهنه مما حجب الناس في مطالعة ما كتبه ونشره خلافاً لما جرت به عادة كتاب هذا العصر من الاتراك والعرب فهم في الغالب يتوخون تقليد الا فرنج في ما يكتبونه وهو طبيعي لا غرابة فيه ولكن التقليد الاصم مفسد للذوق لان لكل لغة او أمة ذوقاً خصوصياً لا تلذ المطالعة الا فيه فليكن نظرنا في ما يكتبه الا فرنج نظر من يطلب التوسع في معرفة أذواق الكتاب على اختلاف الاعصر واللغات ثم نختار ما يناسب ذوق أبناء لغتنا الذين انما نكتب لهم فيظهر ان صاحب الترجمة سار على هذه الخطة فكان لمؤلفاته ومنظوماته وقع حسن

## المعلم ناجي

الشاعر التركي الشهير

ولد نحو سنة ١٢٦٥ هـ وتوفي سنة ١٣١٠ هـ

( ترجمة حاله ) وُلد في الاستانة حوالي عام ١٢٦٥ هـ وكان والده سراجاً يسمي علي بك توفي وولده هـ. ذا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره فكفلته أمه وكان له أخ أكبر منه سنّاً فعنيا بتربيته ولم يكونا في سعة من العيش فتعلم مبادئ القراءة في مكتب ابتدائي وقرأ شيئاً على أخيه المشار اليه فحفظ القرآن ومبادئ العلوم اللغوية ثم عكف على اكتساب العلم بالمطالعة من تلقاء نفسه فاتقن التركية والعربية والفارسية ثم تعلم اللغة الفرنسية بعدئذٍ واكتسب كل ذلك بالجد والاجتهاد وسهر الليل لأن حاله لم تكن تساعده على تكبد نفقات المدارس والاتفاق على المعلمين والكتب ونحوها حتى أنه كثيراً ما اضطر إلى أعمال خصوصية يستعين بربحها على نفقات الدرس وإعانة الكتب ولما تمكن من العلم على هذه الصورة تعين أستاذاً في مدرسة رشدية واره ( في الرومي ) وتعين أيضاً كاتباً خصوصياً لدولتو سعيد باشا وكاتباً في إحدى المحاكم الجزئية وترقى منها إلى أن صار مميز قلم مكتوبي إحدى الولايات . ومن الوظائف التي تقلدها أيضاً الكتابة في نظارة الخارجية وكان مجتهداً أدبياً فاشتهر بين معارفه بالأدب والبراعة وجودة النظم وحسن الانشاء فتقرب من الفاضل التركي الشهير أحمد مدحت أفندي فكان هذا يرتاح إلى ناجي ويعجب بذكائه وأدبه فأزوجه ابنته

فكان ذلك من جملة ما حجب اليه الانقطاع إلى العلم فاعتزل الخدمة في دوائر الحكومة وانخرط في سلك المحررين فتولى تحرير القسم الأدبي من جريدة « ترجمان حقيقة » ثم جريدة « سعادت » وانشأ مجلات أدبية شعرية انتقادية سيأتي ذكرها بين مؤلفاته وآخر مهمة تقلدها كتابة تاريخ آل عثمان فقضى فيها بضع سنوات حتى توفاه الله

وكان مع ذلك كله عاملاً على التأليف والتصنيف ونظم الشعر على أسلوب مختصر مفيد حتى يكاد يستحيل عليك أن تجد في عبارته كلمة يمكن الاستغناء عنها أو وضعها في غير ما وضعت له فكمكف أدباء الأتراك على مطالعة مؤلفاته ومنظوماته لما آسوه فيها من الطلاوة والرقعة مع اللذة والفائدة وراجت كتاباته رواجاً حسناً ساعده على التعيش.

عند قراء اللغة التركية وكان في عزمه ان يجعل للانشاء التركي متهاجاً قائماً بنفسه لا يشبه الشرقيين القدماء ولا الغربيين الحديثين بل يوافق مقتضيات اللسان والزمان فبذل في ذلك قصارى جهده ولكن المنية عاجلته قبل اتمامه فمات عن ٤٥ عاماً ولو فسح الله في أجله لكان أكتب كتاب اللغة التركية بلا استثناء

وكان عالي الهمة نشيطاً حازماً وفيماً سنهم القلب رقيق الحديث حسن المعاشرة عالماً عاملاً لم يكن همه من حياته إلا التأليف والتصنيف

( مؤلفاته ) وهذه أسماء ما طبع ونشر من مؤلفاته وأكثرها مقالات ورسائل

وهي :

( اسم الكتاب بالتركية )		( موضوعه )	
١ أنشياره		منظوم	
٢ اعجاز القرآن	}	وهو ما يخص ترجمة الامرار العقلية المستنبطة من	
		سورة الفاتحة المندرجة في كتاب مفاتيح الغيب	
		الامام فخر الدين الرازي	
٣ معامى الهى	}	ترجمة الاقوال المنقولة عن علماء المسلمين بشأن	
		الاحرف المندرجة بأول سورة القرآن	
( اسم الكتاب )	( موضوعه )	( اسم الكتاب )	( موضوعه )
٤ شرارة	منظوم	١٤ مكتوبلرم	مكاتب
٥ موسى ابن ابي الغازان	منظوم	١٥ نوادر الاكابر	نثر
٦ أمثال علي	يشتمل على	١٦ شويله بويله	مجموعة
ترجمة امثال للامام علي		مكاتب ايضاً	
٧ مدرسه خاطره لري	( خواطر	١٧ هدر	تبارو
المدرسة )		١٨ حكم الرقاعي	
٨ صائده سوز	نثر	١٩ ساحات العرب	
٩ فروزان	منظوم	٢٠ مترجم	اشعار ونثر مترجم
١٠ معلم	انتقاد على اشعار تركية	عن اللسان الافرنجي وغيره	
١١ يازمش بولندم	مكاتب	٢١ آفاق	
١٢ دمدمه	انتقاد	٢٢ محمد مظفر	
١٣ مخبرات	مكاتب	٢٣ ترك شاعر لري	شعراء الترك



( اسم الكتاب )	( موضوعه )	( اسم الكتاب )	( موضوعه )
٢٨ سنبله	بعض شعره ونثره	٢٤ لغت ناجي	كتاب في اللغة
٢٩ مجموعة معلم	مجلة أدبية	٢٥ اصطلاحات أدبية	في الآداب
٣٠ امداد المداد	» »	٢٦ ترجمه دن ترجمه	ترجمة قصيدة
٣١ ذات النطاقين	منظوم	ابن زيدون	
٣١ خلاصة الاخلاص		انموذج الكلام	
٣٣ عبيديه		٢٧ نمونه سخن	

وله آثار أخرى لم تطبع

رأساً وترجم جانباً من رواية الاميرة المصرية درج شيء منها في مجلة اللطائف قبل مرضه وفيها ما يدل على تمكنه من الانكليزية مع اقتداره على نقل معانيها الى عبارة عربية فصيحة لا يشتم منها رائحة التعريب

وكان كبير النفس عزيزها ممتلئ القلب انفة وزاهة لا يفتر لحظة عن الاهتمام بمستقبله وقد بالغ في ذلك حتى اودى به الى تعب الجسم ونحول البدن فلما جاءه المرض لم يستطع الى دفعه سيلاً ففضى ونفسه شاخصة الى المعالي وآماله لا تزال عالقة بنيل الالماني الى آخر لسنة من حياته

وأما آثاره فان الاجل لم يفسح له الا قليلاً ومع ذلك فان من منظوماته ما تناقلته



(س ٤٩) : الياس صالح

الالسة وأعجب به رجال الادب واكثره منشور في جريدة المقطم ومنه ما يتناقله زملاؤه في المدرسة في محفوظهم ولم نوفق الى جمع شيء يستحق النشر في كتاب على حدة فتأتي بأمثلة منها دلالة على منزلته من عالم الشعر

قال من قصيدة فلسفية في « الحرية » ودع بها المدرسة الكلية عند نيل

شهادتها:

خلّ عنك الوقوف في دارميّه      واعتزل ذكر زينب وأميّه  
رحم الله كل من قال شعراً      في ربوع الاسلام والجاهليّه

## الياس صالح

ولد سنة ١٨٧٠ وتوفي سنة ١٨٩٥

وُلد في بيروت وتلقى العلم في المدرسة الكلية السورية الاميركانية فنبغ في اللغة العربية وآدابها وكان منذ حداثة متوقد الذهن ذكياً فطناً ومن غريب قريحته انه جمع بين الشعر والانشاء ويندر ان يتفق ذلك لواحد

نال شهادة البكلورية من المدرسة الكلية سنة ١٨٨٨ وكان قد اشتهر بين البيروتيين بقريحته السيالة في الشعر وسلامة ذوقه في الانشاء فاستقدمته ادارة المقطم فتولى التحرير فيها حتى توفاه الله في ريعان الشباب . ولو فسح في أجله لآتى بمعجزات البيان لانه كان على صغر سنه من نوابغ الشعراء وعمدة الكتاب حتى طار صيته في القطرين . وكان كاتباً أدبياً تسيل عباراته سهولة وتمتزج معانيه بالنفوس رقة قل أن يهفو هفوة يؤاخذ عايبها . متضلعا بقواعد اللغة لو سأله عن أي شاردة من شواردها لاجابك فوراً وأورد لك مثالا أو أمثلة . وكان انشاؤه عربياً فصيحاً خالصاً من صيغة المعجمة مع كثرة اشتغاله ومطالعة بالغات الاجنبية . وكان قابضاً على ناصية الالفاظ عارفاً اشتقاقاتها ومواقعها واطلال معانيها فلا تسأله عن لفظ الا أورد لك سائر اشتقاقاته ومعانيه وأشار بأصبعه الى موضع كل منها في الصفحة من القاموس

وكان شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره مع الرقة والفصاحة بالسهولة والطلاوة . لا يخلو له بيت من نكتة تدل على الذكاء والظرف . وقد نظم على صغر سنه واشتغاله عن الشعر قصائد رنانة ومقاطع جرت بحرى الامثال

وكان مع ذلك سريع الخاطر فطناً لا تكاد تبدأ بحديثك حتى يدرك مرادك منه ولا تخفاه خفية من مكنونات معانيك حتى يخال لك انه ينطق بلسانك ويعبر عن جنانك . وكان حلو الحديث حسن المعاشرة لا يخلو مجلسه من المطارحة أو المذاكرة أو المباحثة في ما يحلو الخوض فيه من المواضيع الادبية أو العلمية أو السياسية واذا ناظرته في أمر آنت منه آراء قوية وأفكاراً اكثرها في جانب الاصابة

وكان أدبياً عفيفاً يتحدث بعفته واعتداله سائر أصدقائه وخلانه ما يصح أن يكون قدوة لشبان هذا العصر ويندر أن زى على مثاله بينهم

وكان يعرف اللغة الانكليزية معرفة جيدة ترجمة وكتابة ويحسن الفرنسية وكثيراً ما عرّب قصائد انكليزية فنظمها في العربية لا يشك قارئها انها نظمت في العربية

انما دارنا بمن شرفوها  
 بل هي الروض فتح الزهر فيه  
 واقامت فيه خدود العذارى  
 لا تلمني يا عاذلي بهواها  
 وعلام الملام والقلب قلبي  
 فاذا كنت تدعيه فقدم  
 وخبطنا العشواء لو كنت تدري  
 واتخذنا سلاسل الشعر قيلاً  
 وزعمنا الانسان ذا شهوات  
 وهو زعم ان صح فالمرء خلق  
 أفلا تستطيع ان جعت فل لي  
 أنت حر فتستطيع ومهما  
 ولكون الانسان يسأل عما  
 شاهد انه مدى الدهر حر  
 هب أدركت الاداة أنت فأخطت  
 كم تلظيت اذ أسأت صنيعاً  
 ان في ( ليتني فعلت ) دليلاً  
 انكر الناس ذاك قبلاً ولكن  
 أنت حر يا أيها المرء فاعلم  
 أنت حر فاعلم بهذا وعلم  
 لست عبداً ان كنت تحت نظام  
 انت فوق النظام ان تتبعه  
 يتنى الانسان لو كان عبداً  
 ولكم قد رأيت من حيوان  
 يا بني امنا ذوي الفضل بل يا  
 لست عبداً انا ولا أنت مولى  
 هكذا الناس ايها الناس طراً  
 رساق الكلام الى وصف الفراق وفراق التلامذة والاساتذة فقال :  
 لست بمن يقوى عليه فرفقاً بالمتعنى يا ساكني الكلي

عن سليمي وعن سعاد غنيه  
 من خلال اللواحظ النرجسيه  
 حرب بدر على القلوب الشقيه  
 فانا قيس هذه العامريه  
 وهي فيه حجة شرعيه  
 ( عرض حال ) الاعين التركي  
 في ليالي تلك الشعور الدجيه  
 فنسينا المسكنة الحريه  
 يمتطيها مها تكن دنيويه  
 من جميع المناقب الادبيه  
 كبح تلك المطالب الجسديه  
 قاومتك الطيعة البشريه  
 يمتطيه من الامور الدنيه  
 يفعل الامر عن رضى ورويه  
 أعليها في ذاك مسؤوليه  
 وندمت الندامة الكسعيه  
 من أصح الادلة العقليه  
 أثبتته الشرائع المدنيه  
 ولك العلم فيه والاسبقيه  
 انت حر وهذه أوليه  
 لا وليس النظام ذا أوليه  
 ولانت الذي وضعت الوصيه  
 وقيم الادلة العلميه  
 يقضم الحبل بغية الحريه  
 معشر الناطقين بالعريه  
 أيها اللابس الحلى الذهبيه  
 ما لزيد على عبيد مزيه  
 بالمتعنى يا ساكني الكلي

كيف تلقون في لظى الوجد نفسي  
يا بدوراً راموا التباعد عني  
أفلا تجذب البسور بحوراً  
ان درأ اودعتموه باذني  
وستدريه مقتلتي عقيماً . فترون الغرائب الكريمة

وقال بهنيء صاحبي المقتطف برتبة الدكتورية . وكان قد سافر الى بيروت فبدأ

بوصف السفينة واستطرد الى المدح قال :

تلك السفينة بسم الله مجراها  
تجري وفي قلبها النيران موقدة  
سكري تميد بمن فيها فتسكروهم  
وليس بدع اذا سارت بنا مرحاً  
هيفاء لسكنها بالفار قد خضبت  
سلطانة البحر اذ ترسو يحيط بها  
وان صرت نشرت أعلامها وشدا  
طوراً ترى في قرار اليم غائصة  
لم أنس ليلة بتنا والرفاق بها  
وحولنا الماء من كل الجهات ولا  
ترجي الركاب الى أرض الشام وفي  
انتم مني النفس لا زالت تطيب بكم  
سعى اليكم بنا فضل لكم شهدت  
وشهرة بين أهل الارض طائفة  
ورغبة في اقتباس العلم غالبية  
يا بهجة الشرق حسب الشرق انكما  
احييتما العلم فيه بعد ان درست  
شهادة لم ينلها غير ذي خطر  
لانما توأماها دون غيركما  
فلتهنأ وهي فلتهنأ ونحن بما

وقال يصف جسر قصر النيل بالقاهرة وفيه اشارة الى دورانه في اثناء فتحه :

جسر قصر النيل المبارك جسر قصرت في الفخام عنه الجسور

ثابت كالزمان هيهات يفنى وهو ايضاً مثل الزمان يدور  
وله في نظم التواريخ آيات لم تر مثلها في ما نظمه الشعراء . من ذلك تاريخ نظمه  
تقريباً لكتابنا تاريخ مصر الحديث عند صدوره سنة ١٣٠٨ هـ يكاد يكون ممجزة من  
ممجزات النظم وهو قوله بعد وصف الكتاب نثراً :

وبالاختصار فقد حوى ووعى . ما لم يكن في الكتب منسوخا  
فبري الحكيم له به عظة ويرى الجاهل كذاك توبخا  
ويرى المطالع فيه تفككة ويرى المؤرخ فيه تاريخا  
وآخر ما نظمه قبل مرضه بيتان كتبها الى خطيبته على بطاقة وفيها اشارة الى  
ساعة اهداها اليها وهما :

يا من دعاني حبه فاجبته سمماً لما تدعو اليه وطاعة  
تفديك روعي ان حبك راسخ فيها قديماً قبل هذه الساعة  
وبيتان آخران كتبهما اليها وقد اهداها حلياً مرصعاً على شكل طائر يجمل في  
أعلى الصدر وهما :

اليك حبيب القلب مني هدية تزيدك في عيني محاسنها حسنا  
أتتك وقد حنت اليك صباية ولا عجب للطير ان يمشق الغصنا  
ومن الذبكات الشعرية قوله في نحوه :  
ونحوية ساءلتها اعرابي لنا حبيبي عليه الحب قد جاروا اعتدى  
فقلت حبيبي مبتدأ في كلامهم فقلت لها ضميه ان كان مبتدا  
وقوله :

قد رماني بالصد والهجر عمداً ولحاني اذ ملت للسلوان  
ما رأى نفسه فلا تعذله لا ترى العين نفسها بل تراني  
وآخر ما نظمه بعد مرضه وقد ثقلت عليه وطأة الحمى بيتان قالهما في وصفها وكانت  
تشتد عليه ليلاً :

اذا جن الظلام وغاب صبحي وفارقني احبائي ونامي  
أتت تسمى اليّ وليس ترضى مقاماً غير احشائي وراسي

## الشيخ نجيب الحداد

ولد سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٨٩٩

( ترجمته ) وُلد في فبراير من عام ١٨٦٧ ووالده سليمان افندي الحداد ووالدته كريمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي . قربي في مهد الادب وقد ورث ملكة الشعر من جديه وورث لسان النظم والنثر من خاليه ( المرحومين الشيخ ابراهيم اليازجي وشقيقه الشيخ خليل اليازجي ) وتلقى بعض العلم عنهما ولكنه فطر على الادب منذ نعومة أظفاره فنظم الشعر قبل أن يدرك الحلم . واليك مثال من ابيات نظمها قبل ان يدرك الخامسة عشرة من عمره

اما ومن زين المعالي بكل صمصامة وحلى  
لأعنة الحيل في قتال يريك بها الغبار كحلا  
أحب من عين ذات خدر مقرونة الحاجبين كحلا

وجاء الاسكندرية بعد الحوادث العراية فتولى التحرير في جريدة الاهرام الى عام ١٨٩٤ فاعتزلها وانشأ جريدة لسان العرب مع شقيقه أمين افندي الحداد وعبد الله افندي بدران . وتولى هو رئاسة التحرير فاشتهر لسانه بمتانة عبارته وسهولتها . ثم قضت حال الصحافة بتعطيل الجريدة . فجاء القاهرة وانشأها أسبوعية ثم عاد الى الاسكندرية وتولى تحرير مجلة انيس الجايس وجريدة السلام فكان يحرر الجريدتين وجريدته وهو مع ذلك لا يقطع عن تأليف الروايات وترجمتها ونظم القصائد الرنانة والمرض ينتابه ويكاد يقعده وهو يجاهد في دفعه حتى قضى نحبه قبل ان يتم الثانية والثلاثين من عمره . وكان رحمه الله ذكي الفؤاد سريع الخاطر متوقد الذهن كما ستري من أمثلة نظمته ونثره

## مؤلفاته

١ رواية صلاح الدين الايوبي . وهي في الاصل تأليف السير وواتر سكوت الشاعر الانكليزي الشهير فسبكها المترجم في قالب التشخيص وغير فيها وبدل حتى لقد يصح ان يقال انه الفها . مثلت في مصر والاسكندرية مراراً فنالت شهرة واسعة تفنينا عن الاطناب

٢ رواية السيد . وهي من مؤلفات كورنيل السكاتب الفرنسي فنقلها الى اللسان العربي وسماها « غرام وانتقام » وقد مثلت مراراً

بالنور الكهربائي في باريس عام ١٨٩٧ ومات فيها نحو ٢٠٠ امرأة من المحصنات  
الباريسيات :

أي رزء أجرى الدموع دماء  
ليس بدع في خطب باريس أن تش  
وهي أم الآداب انكلها الدهر  
قد دهاها مصاب سادوم لكن  
فهي في الحزن مثل راحيل اذ  
أصلت الكهرباء فيها لهيباً  
ورماها نور الضياء بنار  
في مكان انثى لدفع بلاء  
سوق بر تباع فيها اللهى  
زينتها بيض الايدي وايدي  
انفس تبتغي السماء فما  
ادركت ما تروم من جنة الخلا  
من رأى قلبها جحيماً يؤدي  
أو رأى محسناً يجود على النا  
أترى كان ذاك مطهر من ما  
أم هو الدهر لا يزال مسيئاً  
يا ربوعاً كانت معاهد احسا  
ودياراً كانت منازل ايناً  
وكراماً كانوا مناهل جود  
امراء نادى الندى قاطاعو  
وحسان قد جدن برّاً كان ال  
ساحة تنبت المسكارم والرا  
ففساء بها تباري رجالا  
اوجه يشرق السنن من محيا  
رحن يزهرين بالبياض فما أص  
رماً لم تدع بها النار الا  
كن ناساً فصرن ناراً قاص

واذاب القلوب والاحشاء  
حل آثار حزنه الدنيا  
قابكت بوجودها الابناء  
خص من قومها الابرياء  
تبكي بنيتها ولا تريد عزاء  
قد كرهنا لاجله الكهرباء  
اظلمتها فما تلاقي الضياء  
عن فقير فكان فيه بلاء  
يماً ويشترى الثواب فيها شراء  
اليض من محسن ومن حسناء  
امسين الا وقد بلغن السماء  
د ولكن كان الطريق صلاء  
لنسيم ابشاء الشهداء  
س فيلقى نار الجحيم جزاء  
توا فيمحو عن النفوس الخطاء  
لكريم ومكرماً من اساء  
ن وحسن قاصبحت فقراء  
س قاضحت بلاقماً وخلاء  
لفقير قاصبحوا فقراء  
اميراً لهم ولبوا النداء  
بر ثوب يزيدهن بهاء  
فة والمجد والندى والاخاء  
ورجال بها تباري النساء  
ها فتزداد بالجميل سناء  
بحن الا كوالحاً سوداء  
رسم جسم واعظاً جرداء  
بحن رماداً بها فصرن هباء



٣ رواية المهدي . وهي تشخيصية تاريخية مثل فيها بعض حوادث المهدي السوداني

٤ رواية حمدان . عربها عن رواية ارنيي لفيكتور هوكو

٥ رواية شهداء الغرام . عربها عن روميو وجوليت لشكسبير

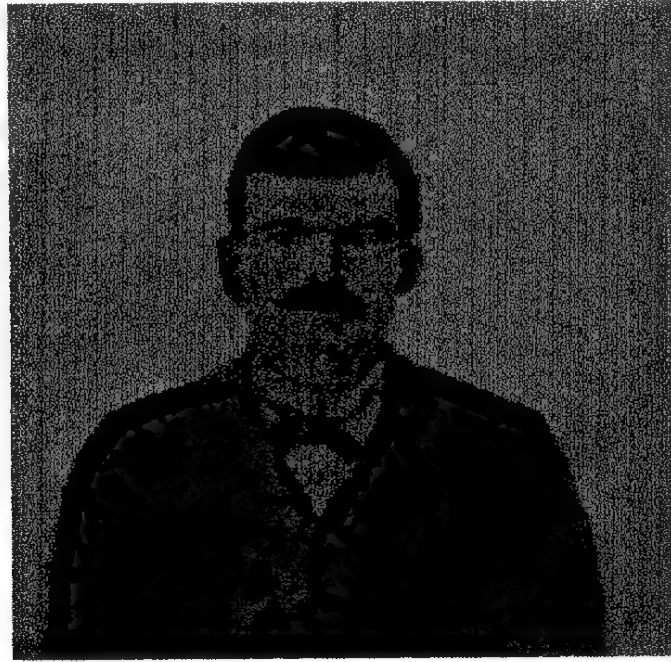
٦ رواية الرجا . بعد اليأس

٧ رواية البخيل . معربة

٨ رواية غصن البان

٩ رواية ثارات العرب

١٠ رواية الفرسان الثلاثة الشهيرة لاسكندر دumas وقد نقاهما الى العربية



( ش ٥٠ ) : الشيخ نجيب الحداد

فضلاً عما كتبه من المقالات الرنانة في لسان العرب وغيره . منها مقالة في المقابلة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي نشرت في مجلة البيان بمصر . وتمتاز ترجماته عن كثير من ترجمات أهل هذا العصر بخلوصها من شوائب المعجمة وقد اشتهر رحمه الله خصوصاً في تأليف الروايات التمثيلية أو ترجمتها واكثر ما يمثل على المراسح المصرية اليوم من تأليف الحداد أو ترجمته

شعره

وكان شاعراً عصرياً حسن الاسلوب يكفينا في وصف شعره ان نورد بعضه على سبيل المثال . فقد قال من قصيدة نظمها في وصف سوق الاحسان التي احترقت

قد كفت لحظة لان تقلب الام  
فاستحال الهناء يؤساً وأحز  
نقمة صبا القضاء على الابرار  
رحم الله من قضى وشقى الجر  
وقال من قصيدة يصف بها بعض منتزهات الاسكندرية ومركباتها ومخدراتها :

من بدور تسير في المركبات  
كلتها أزاهر الصنع من نبت  
زهرات ما حاكها ابن سحاب  
ان يكن قاتما الاربع فقد عو  
او عدتها الفصون فهي على دة  
سارات جوالس فهي لم ته  
مفردات الجمال تنطبق الحية  
وكان الجياد تشمر بالحس  
قد درت انها تجر بدورا  
مسرعات ترى الدواليب من سر  
وقلوب العشاق تتبع الغية  
صاح هذه هواجس الحضر اليو  
ودع النوق والفلاة فلا نو  
ودع العيس والحداء لقوم  
تلك حال مرّت قديماً وذو حا

وقال من قصيدة غراء وصف بها القمر :

وسار البدر يسبح في مماء  
تمرّ به السحاب مسرعات  
تكود اقبلت في الروض تسمى  
تقابل وجهه فيلوح فيه  
فمحسب منه ان هناك ماء  
ولا نبت عليه ولا حياة  
جنازة ميت لا نعش فيها  
قرين الارض ليس يغيب عنها  
عليها من كواكبها سفين  
فيخفي نحتن ويستبين  
فتظهر ثم تحجبها الفصون  
اصورة وجهك الرسم المبين  
ولا ماء هناك ولا عيون  
ولا نسم ولا غيث هتون  
ولا أيد حملن ولا أنين  
ولكن لا يواصلها القرين

يفرّ فلا يجيب ولا يلين  
فلا يعطي الوصال ولا يمين  
وكم سالت لمرآة شؤون  
وكم نسي الحدين به خدين  
كما تصفرّ من حسد جبين  
نوافر وهو مجتاز رزين  
فأطرفت الوجوه له تدين  
تبدى بينهما حجر ثمين  
هاه وقاتنا منك الفتون  
وكم تملو النجوم وأنت دون  
الها حبه في الناس دين  
ويلزمك السكوت فما تبين  
وعهدي كل ذي نقص عين  
ولكن ليس بهله اليقين  
قديماً والفناء متى يكون

وشرّ معائب المرء القمار  
وفي تشييد ساحتها الدمار  
قافلاس فيأس فانتحار  
فعدم في الدقيقة أو يسار  
يعارضها يسار مستعار  
به حتى تسلمه اليسار  
لهم من أثره إلا اصفرار  
إذا هي في خسارتهم بهار  
يدير عيونهم ورق يدار  
يكاد يضيء أسودها الشرار  
ولا تار هناك ولا تقار  
فراش حاتم والمال تار  
كساري الليل لاح له منار

يدور به ولكن حين يدنو  
كم شوق يداعب ذات خدر  
فكم بسمت لمرآة تغور  
وكم ذكر الحب به حبيباً  
وتصفر النجوم إذا تبدى  
يشير فتختفي من جانبه  
كما طلع المليك عليه تاج  
كان كواكب الافلاك در  
فيا شبه الحبيب حوت منه  
وكم تحي الظلام وأنت ميت  
حوت عجائباً فدعاك قوم  
تخبرهم بأعداد الليالي  
وتصدقهم وفيك النقص طبع  
لنا في كل شهر منك شك  
ترى فيك البداءة كيف كانت  
وله من قصيدة في وصف القمار :

لكل قعيصة في الناس طار  
تشاد له المنازل شاهقات  
نصيب النازلين بها سهاد  
قد اختصروا النجارة من قريب  
وبئس العيش فقر مستديم  
وبئس المال لا تحظى عين  
يفرّ من البنان فليس يبق  
فيينا تبصر الوجنات ورداً  
تراهم حول بسطتها قعوداً  
يلاحظ بعضهم بعضاً بعين  
فتحسب ان بين القوم تاراً  
كان عيونهم لما أدبرت  
فهم لا يبصرون سواء شيئاً

وم لا يسطفون على خليل  
وم لا يذكرون قديم عهد  
فكم غضبوا على الايام ظلماً  
وكم تركوا النساء تبيت تشكو  
تبيت على الطوى ترجو وتخشي  
فبتست عيشة الزوجات حزن  
وبتست خلة الفتيان هم  
• يورقها السهاد والانتظار  
وتسفيد وهجر وافقار  
واناب وخمران وعار

ومن شعره أبيات نظمها اجابة لاقتراح مصلحة السكة الحديدية المصرية وكانت قد  
اقتاحت على الشراء نظم ابيات تنقش على جدران المحطة بمصر وفرضت جائزة ينالها  
المجيد قنالها هو وأما الايات فهي :

يا حسن عصر بعباس العلى ابتسا  
طرائق في ضواحي القطر تبلغساً  
مصر كصفحة قرطاس بتربها  
أرض بها كان خطب النيل منتزاً  
لنا غنى عن قطار السحب منسجماً  
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما  
محطة هي قلب والخطوط بدت  
مع السلامة يا من سار مرتحلاً

وكانت مجلة مرآة الحسنة قد فرضت جائزة لمن ينظم أحسن ترجمة لقصيدة  
انكليزية نظمت في أمور اشترطها خاطب على خطيبته وجوابها عليه فنظمها الحداد  
ونال الجائزة واليك القصيدة :

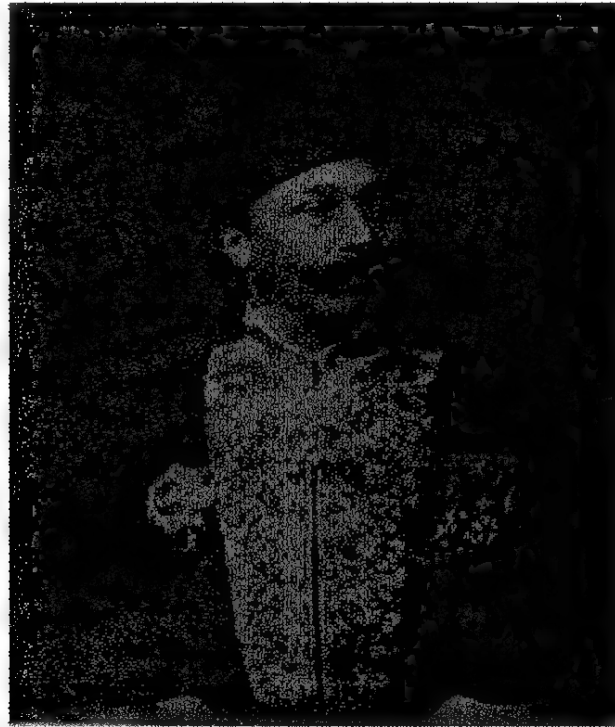
طلبت أمن شيء في الوجود غلا  
سألني وأنا أنتى سؤال فتى  
يريدني أن أجيد الطبخ حاذقة  
أما أنا فطلابي أنت تقدم لي  
فان طلبت لذيق الاكل مجهداً  
فانت تطلب طباًخاً على قدر  
أما سؤالي فأعلى من سؤالك لي  
اذ ابتغي ملكاً يقي ولايته

قلب التي لم ينلها كل من سألها  
فقف لتسألك الاثى وكن رجلاً  
وأرقاً الثوب حتى ما عليه بنى  
قلباً كنجم ونفساً كالسماء على  
وان يكون عليك انلبس مكتملاً  
وذات خيط صناعاً تصلح الحلالا  
ومنيدي فوق ما ترجوه بي أملاً  
وابتغي رجلاً بين الورى مثلاً

انا صغيرة سن في الشباب ولي  
 لكن ذا كله فان بجملته  
 فهل يدوم غرام في فؤادك لي  
 وهل فؤادك بحر لا قرار له  
 فان كل فتاة زوجت حملت  
 هناك تعرف اما ان تسير الى  
 اني اريد مساواة ومعدلة  
 فان ظفرت بهذا منك كنت كما  
 او لا فان الذي تبغي خياطته  
 تنالها باجور المال تبذلها  
 من فوق خدي ورد يكتسي خجلا  
 وعن قريب ترى ورد البها ذبلا  
 بعد الصبا مثل ما قد كان مقتبلا  
 تجري به سفن آمالي ولا وجلا  
 في زهر اكليها النعمى أو الاجلا  
 حيث النعيم واما ان تسير الى  
 وخير بعمل بخير الخاق قد كمالا  
 ترومني واتاك القلب ممثلا  
 وطبخه قامور نيلها سهلا  
 أما الفتاة واخلاص الفتاة فلا

المركز اليوم . وانما أضيف الى اسمهم لفظ البارودي نسبة الى اتيابي البارود لانها كانت في التزام أحد اجداده في عصر الالتزامات نشأته الاولى

وُلد صاحب الترجمة في سرايه بياب الخلق سنة ١٨٤٠ وتلقى مبادئ العلم في المدارس الحربية التي انشأها محمد علي وخرج من المدرسة سنة ١٨٥٥ في أوائل ولاية سعيد باشا . وكان من نعومة اظفاره ميالا الى الادب والشعر فرغب في آداب اللغة العربية فاحرز منها شيئاً كثيراً وظهرت ثمار قريحته وامتاز شعره بالسهولة والبلاغة



( ش ٥١ ) : محمود باشا سامي البارودي

من عهد شبابه على قلة النابغين من الشعراء في ذلك الحين . فهو من أقوى أركان النهضة الشعرية الاخيرة بمصر

وكان مع ذلك كبير المطامع في طلب العلم - وذلك نادر في الشعراء لرقه احساسهم ولطف مزاجهم وانصراف قرائحهم الى الخيال - ولم يبال بركوب البحار في طلبها فرحل الى الاستانة يلتمس بها منصبا . وكان يتكلم التركية وهي لغة اهل الطبقة العليا بمصر في ذلك الحين ولا تزال عند بعضهم الى الآن . فانتظم في كتابة المر بنظارة الخارجية . وكانت اللغة التركية يومئذ في اوج نهضتها فتبحر في أدبها وشعرها حتى نظم فيها القصائد وتعلم الفارسية لمطالعة آداب الفرس واشعارهم ونفسه

## محمود باشا سامي البارودي

ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤

أصله

لم تخل مصر في عصر من عصورها القديمة أو الحديثة من طبقة في أهلها من « المولدين » وهم المولودون فيها من آباء غرباء حتى في عهد الفراعنة والارحج ان الفراعنة انفسهم غرباء الاصل . وتوالى في وادي النيل طبقات شتى من المولدين ممن نزع اليها على اختلاف عصورها وفيهم الفرس واليونان والرومان والعرب والترك والبربر والجركس والارمن والديلم وغيرهم . وكل فئة اذا طال مكثها عدت نفسها وطنية وعدت القادمة بعدها غريبة . وآخر فئة توالدت في مصر الجركس والترك من بقايا المماليك . والغالب في المولدين من هؤلاء غموض منشأهم لان رباط العائلة كان ضعيفاً فيهم والرجل منهم انما ينتسب الى مالـكه أو رئيسه أو يعرف بلقب يلقبونه به . فلم يعد تحقيق تلك الاصول ممكناً فيهم

والبارودي صاحب الترجمة من مولدي الجركس بمصر ويؤخذ من صحيفه كانت عنده نشرتها مجلة المنار انه ينتسب الى نوروز الانابكي المـلكي الاشرفي ولعله أحد رجال الملك الاشرف قايتباي المحمودي المتوفى سنة ٩٠١ هـ واستغرب ثبوت هذه النسبة للاسباب التي قدمناها من ضياع اسم العائلة عندهم حتى نوروز هذا فانه لا ينتسب الى ابيه وانما يعرف بانتسابه الى الملك الاشرف ومنها اسمه « المـلكي الاشرفي » . وقد كان في هذا العصر جماعة يعرفون بهذا الاسم كل منهم ينتسب الى صاحبه مثل نوروز المنصوري نسبة الى الملك المنصور ونوروز التمر علائي الاشرفي برسباي نسبة الى الملك الاشرف برسباي وقس على ذلك . وقد بلغنا نقلاً عن عرف البارودي وعاشره انه كان شديد الحرص على معرفة نسبه وتبنيه الى أصله فبذل مبلغاً طائلاً من المال في سبيل البحث عنه في أنحاء القطر ومراجعة النصوص والسؤال من أهل العلم والسن — قالوا انه اتفق في ذلك نحو ثلاثة آلاف جنيه

على اننا لا نرى لصحة هذه النسبة البعيدة أو فسادها دخلاً في تقدير فضل الرجل لان المرء باصغريه وبما يحدث على يديه . ولكن المشهور ان الفقيه هو محمود باشا سامي ابن حسن بك حسني وكان ابوه هذا من أمراء المدفعية في الجيش المصري وجده عبد الله بك الجركسي من السكشاف في أوائل عهد محمد علي . والكاشف يشبه مأمور

تحسُّ الى مصر حين كل من يقيم فيها ويتمود ماها واقليمها . فاتفق ابن الخديوي اسماعيل باشا شخص الى الاستانة سنة ١٨٦٣ على ان ارتفائه الاربعة الخديوية فدخل صاحب الترجمة في بطاقته ورجع معه الى مصر وعاد الى الخدمة العسكرية فترقى في سنة واحدة الى رتبة ييكباشي وانتدب مع جماعة من الضباط لمشاهدة بعض الحركات العسكرية في فرنسا وسافر منها الى لندن وعاد الى مصر فرفاه الخديوي سنة ١٨٦٥ الى رتبة قائمقام في آلاي الفرسان ثم الى رتبة اميرالاي

#### سيرته السياسية

ولو أردنا تفصيل ما تقلب فيه من المناصب لطال بنا الكلام فنقول بالاجمال انه ذهب في حملة الجيش المصري الذي أرسلته مصر لمساعدة الدولة العلية في اخاد ثورة كريد سنة ١٨٦٨ ولما رجع ألحق بالحرس الخديوي ( الياوران ) فاحبه اسماعيل وزاده من قربه فجعله كاتب سره الخاص . ثم عاد الى العسكرية بعد سنتين وكان الخديوي ينتدبه في كثير من الامور الهامة الى الاستانة وغيرها . حتى اذا انتشبت الحرب بين الدولة العلية والروس سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر نجدة من جيشها كان المترجم في جملتها مع فرقته وعند رجوعه رقي الى رتبة لواء . ولم تمنحه رتبة العسكرية من الخدمة في المناصب الادارية فمين سنة ١٨٧٩ مديراً للشرقية . واضطربت مصر يومئذ وهي السنة التي اقبل فيها اسماعيل فسبق اقالته اثاره الخواطر بالمنافسة التي جاشت في نفوس الامراء على الولاية وبما كان من تداخل الدول الافرنجية بشؤون مصر الادارية فانتدبت الحكومة صاحب الترجمة لرئاسة الضبطية لحفظ الامن وهذا الخواطر . فلما اقبل اسماعيل وتولى المنفور له توفيق باشا الخديوي السابق أعاده الى المناصب الادارية فجعله وزيراً وقلده نظارة الاوقاف فأصلح شؤونها ونظمها - والمرء يتقلب في مناصب شتى ولا بد من شيء يعلق به ذهنه مما يرتاح اليه نفسه أو يدفعه الى ميله ولهذا الميل دخل كبير في شؤون الامم لان الملك أو الامير اذا كان ميالا لملا لم نشط أهله ورفع شأنه واذا كان من أهل اللهو رغب الناس في الملاهي . ويقال نحو ذلك في سائر المناصب الادارية . وقد تقدم ان المترجم كان مغرمًا من صغره بالعلم والادب فاهتم في أمر الكتب المبعثرة في المساجد وجمعها في مكان واحد فلما أخذ المرحوم علي باشا مبارك في انشاء دار الكتب الملكية كانت هذه الكتب من جملة ما نقلوه اليها

فلما تحركت الخواطر وهبت النفوس في الثورة العرابية كان لصاحب الترجمة شأن كبير في ذلك والناس بين متهم ومبريء . وخلاصة رأينا في المترجم انه كان من جملة المنشطين للحزب الوطني في مطالبهم سرّاً لانه كان ناظرًا للاوقاف كما تقدم فكان



يحضر مجلس النظر وهواه مع الرايين وهو يعتقد ان مطالبهم عادة - ورجال المطامع يقتسمون هذه الفرص لنيل المناصب الكبرى وكثيراً ما كانت أمثال هذه الحركات سبباً في انتقال الملك من دولة الى دولة اذا وافقت الاحوال وتوفرت الرجال . وفي تاريخ مصر أمثلة كثيرة من هذا النوع . أما المترجم فقد كان طامعاً في منصب الوزارة وما وراءه فكان ينقل الى عراني ورفاقه من قرارات ذلك المجلس وابحائه ما يتعلق بهم ليحذروه أو يتهاؤوا للاقائه مما يطول شرحه . وقد نجح في ما كان يؤمله فتولى نظارة الجهادية ثم رئاسة النظر . فكان له النفوذ الاعظم في تلك الثورة وأما عراني فقد تصدر لها وتظاهر بها عن صدق نية وبساطة - وهي بالحقيقة نهضة سياسية عمرانية لو أحسن أصحابها استخداماً ولو تصرفوا فيها بالحكمة والتؤدة لعادت بالنفع على الحكومة والاهالي . ولكنهم اختلفت أغراضهم وتباينت مطامعهم وغفلوا عن الدواقب ولم يكن ليفعل عنها الدرب الحازم - ولكن قدر فكان

فلما دخل الانكليز مصر وقبضوا على الرايين وحاكموهم كان صاحب الترجمة من جملة الذين حكم عليهم بالنفي الى سيلان مع زعيم الثورة وما زال هناك حتى ارجع في جملة الذين ارجعوا منذ بضعة أعوام واختصه الجناب الخديوي بارجاع حقوقه ورتبته . وظل بين أهله وذويه حتى توفاه الله في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ وقد كف بصره

هذه خلاصة سيرته السياسية وأما سيرته الادبية فجعلها انه كان محباً للادب مطبوعاً على الشعر وشعره من الطبقة الاولى بين شعراء العصر بمصر وكلهم يعترفون له بالتقدم والفضل وله منظومات رنانة سارت بذكرها الركبان ومنها ما جرى مجرى الامثال وفي جملتها قصيدة في السيرة النبوية تدخل في نحو ستمئة بيت على روي البردة مطلقها :

يا رائد البرق يعم دارة العلم واحد النمام الى حي بذي سلم  
واليك امثلة مما بلغ الينا من منظوماته - قال في وصف الليل من قصيدة بعث بها من جزيرة سيلان الى الامير شبيب ارسلان :

وترى الثريا في السماء كأنها	حلقات قرط بالجمان مرصع
يبضاء ناصعة كبيض نعامه	في جوف أدحي بأرض بلقع
وكانها أكر توفد نورها	بالكهرباء في سماوة مصنع
والليل مرهوب الحية قائم	في مسحه كالراهب المتلفع
متوشح بالنيرات كباسل	من نسل حام بالاجين مدرع

حسب النجوم تخلفت عن امره فوحى لهن من الهلال باصبح  
وقال من قصيدة يمزى بها صديقنا خليل بك مطران عن فقد عمه حبيب باشا  
مطران

اعزى لك لا اني اظنك عاجزاً لخطب ولكني عمدت لواجب  
وكيف أعزى من فرى الدهر خيرة . وأدرك ما في طيه من عجائب  
فيا حبي مهلاً فلست بواجد سوى حاضر يبكي خجعة غائب  
وصبراً فان الصبر اكرم صاحب لمن بان عن مثواه اكرم صاحب  
ونظراً لما فطر عليه من الميل الى الجنديّة فقد اجاد كثيراً في نظم الفخريات ومنها  
ايات يتمثل بها الناس كقوله من قصيدة عارض بها قصيدة ابي فراس :  
من النفر الغرّ الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر  
اذا استلّ منهم سيّدٌ غرب سيفه تفزعت الافلاك والتفت الدهر  
وقوله من قصيدة اخرى :

وفيت بما ظنّ الكرام فراصة بامري ومثلي بالوفاء جدير  
وأصبحت محمود الجلال كأنني على كل نفس في الزمان امير  
اذا صلت كفت الدهر من غلوائه وان قلت غصت بالقلوب صدور  
ومن هذا القبيل قوله من قصيدة يصف بها الحرب بجزيرة كريد :

والخيل واففة على ارسائها لطراد يوم كريمة ورهان  
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا يتكلمون بالسن النيران  
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت عيان بين ربي وبين بحان  
فاذا الجبال اسنة واذا الوها د أعنة والماء احمر قان

وله من الشعر الوصف في قصيدة يصف بها عصفوراً على غصن وقد ابدع فيه قال :  
ونبأة أطلقت عيني من سنة كانت حباله طيف زارني سحرا  
فقلت أسأل عيني رجع ما سمعت أذني فقالت لملي ابلغ الخبرا  
ثم اشرايت فألفت طائراً حذراً على قضيب يدبر السمع والبصرا  
مستوفزاً يتنزي فوق أيكته تنزي القلب طال الهدد فاذكرا  
لا يستقر له ساق على قدم فكلمها هددت انقاسه تقرا  
يهقو به الفصن أحياناً ويرفعه دحو الصوالج في الدعومة الاكرا  
ما باله وهو في امن وعافية لا يبعث الطرف الا خائفاً حذرا  
اذا علا بات في خضراء ناعمة وان هوى ورد الغدران أو تقرا

يا طير نقرت عني طيف غانية  
 حوراء كالريم الحائظاً اذا نظرت  
 زالت خيالنها عني وابعقها  
 فهل الى سنة ان اعوزت صلة  
 وقد كان اهدى لي السراء حين سرى  
 وصورة البدر اشراقاً اذا سفرا  
 شوى احوال عليّ الهم والسهر  
 عود تنال به من طيفها الوطرا  
 وكان اذا عارض المحضرمين أو الجاهليين جاء نظمه مثل نظمهم متانة وعلواً . فن  
 قصيدة عارض بها دالية النابعة الذبياني قوله في وصف الفرس :

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره  
 تجري به الآرام بين مناهل  
 بمضمر ارن كان سراته  
 خلصت له اليمنى وعم ثلاثة  
 فكأنما انتزع الاصيل رداءه  
 زجل يردد في الالهات صهيله  
 متلقناً عن جانبيه يهزه  
 فاذا تثبت له العنان رأته  
 يكفيك منه اذا استحسن بنبأه  
 صلب السنايك لا يمر بجلده  
 نعم العناد اذا الشفاء تقلصت

وله من قصيدة نظمها في منفاه يصف بها حاله هناك :

محا البين ما ابقت عيون المهى مني  
 عناء ويأس واشتياق وغربة  
 فان ألك فارقت الديار فلي بها  
 بعثت به يوم النوى اثر لحظة  
 فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا  
 ولما وقفنا للوداع واسبلت  
 أهبت بصبري ان يعود فعزني  
 وما هي الا خطرة ثم اقامت  
 فكلم مهجة من زفرة الوجد في لظى  
 وما كنت جربت النوى قبل هذه  
 لكنني راجعت حلمي وردني  
 فشبت ولم أقض الالبانة من سني  
 ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن  
 فؤاد اضلته عبون المهى عني  
 فاقومه المقدار في شرك الحسن  
 فليس كلانا عن أخيه بمستغن  
 مدامنا فوق الترائب كالمن  
 وناديت حلمي أن يشوب فلم يمن  
 بنا عن شطوط الحي اجنحة السفن  
 وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن  
 فلما دهنتي كدت انضي من الحزن  
 الى الحزم رأي لا يحوم على فن

ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسي على قانت سني  
وقال من قصيدة يصف بها حرب الروس :  
ادور بعيني لا أرى غير أمة من الروس بالبلقان يخطتها المد  
جواث على هام الجبال لقارة يطير بها ضوء الصباح اذا يبدو  
اذا نحن مرنا صرح الشر باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند  
وختم شعره بابيات فخريه وهي :

انا مصدر الكلم النوادي بين الحواضر والفوادي  
انا فارس انا شاعر في كل ملحمة وناد  
قاذا ركبت قاني زيد الفوارس في الجلال  
واذا نطقت قاني قس بن ساعدة الايادي  
هذا وذلك ديدني في كل معضلة ناد

ونظراً لمنزله الرفيعة في نفوس الشعراء فقد اجتمعوا على ضريحه في الامام الشافعي  
يوم الاربعين من وفاته ورثوه وابنوه مما لم يسبق له مثيل الا ما يقال عن توافد الشعراء  
لرثاء المعري على قبره

## عبده الحمولي

المغني المصري الشهير

ولد نحو سنة ١٨٤٥، وتوفي سنة ١٩٠١

ان الامة شديدة التعلق بموسيقيا وشعرائها وخطباتها ومن جرى مجراهم من رجال الادب ممن يشاركون الناس في احساسهم، فالشعراء يصورون عواطف الامة ويدافعون عن اعراضها، والخطباء يحركون حاساتها ويجمعون كلمتها، والموسيقىيون ومنهم المغنون يطربونها ويشرحون صدورها، ويشتد شعور الامة بفضل اولئك الرجال ويتعظم اسفها على ضياعهم بنسبة مبلغها من التقدم في معارج المدنية

نعم ان الامة اذا تمدنت عرفت قدر مخترعيها وعلمائها وفلاسفتها وساستها وغيرهم من رجالها العظماء فتنتحت لهم التماثيل وتقيم لهم الانصاب وتؤلف الكتب في الثناء عليهم، ولاكنها تفعل ذلك مدفوعة باقرارها بالجميل، وأما الشعراء والموسيقىيون والخطباء فانها تشعر بفقدانهم شعور الصديق بموت صديقه أو الوالدة بضياع ولدها، فتبكيهم بلا كلفة ولا صناعة والفيلسوف استاذ الامة وحكيها والمخترع ساعدها وخادمها في تسهيل أعمالها — واما الشاعر فانه يترجم عواطفها ويصور ارادتها، والموسيقى ينفس كربها وينعش روحها والخطيب ينهض هممتها ويجمع كلمتها — ففي موت أحدهم تأثير على النفس يثير العواطف ويهيج الشجون وفي حياته حياتها الادبية — والامم المتقدمة تكون آدابها كما يشاء شعراؤها وخطباؤها وموسيقوها — فلا غرو اذا جن الناس باهل تلك القرائح

ألا ترى ما فعل الفرنسيون بفيكتور هيكو شاعرهم وكاتبهم وقد عشقوه حتى كادوا يعبدونه فحملوه على اكفهم وهو حي وطاقوا به الشوارع والازقة ينادون بفضله وقس على ذلك ما تبديه الامم المتقدمة من أمثال ما تقدم

على ان اكرام الشعراء طبعي حتى في عصور البداوة، فقد كان الشعراء في الجاهلية العرب حماة الاعراض تتفاخر بهم القبائل وتستحث قرائحهم في الدفاع عنها وبسرنا ان نرى ذلك الشعور قد ائبغ في وادي النيل في أواخر القرن الماضي على أثر ما بلغته مصر من الارتقاء

فقد انبأنا صديق ثقي بصدق روايته ان جماعة من أدباء المصريين في بعض مدن

(سي عبده) ناهيك بما بلغ من شهرته في أقطار العالم الشرقي . ذلك ما حدا بنا الى نشر ترجمة حاله وجل اعتمادنا في ذلك على ما كتبه صديقه ابراهيم بك المويلحي محرر مصباح الشرق قال —

( ترجمة حاله ) وُلد بمدينة طنطا وكان ابوه يمارس تجارة البن وكان للمرحوم أخ اكبر منه فوق شقاق بين أخيه وابيه فقر به أخوه من وجه ابيه هائماً به في الخلوات وكان كلما تعب المرحوم عبده من السير لصغر سنه حمله اخوه على كتفه . حتى دنا الغروب وهما على آخر رمق من الجوع والعطش وتعب السير لا يجدان أحداً يأسان به أو يابجان اليه . الى ان سخر الله لهما رجلاً آواهما وسد رمقهما في ليلتهما ثم اقاما عنده اياماً . ومن غريب الاتفاق ان الرجل كان يشتغل بصناعة الغناء ويضرب الآلة المعروفة بالقانون في طنطا فسمع صوت المرحوم في بعض روعاته ووجدته فاعجبه فعاد به الى طنطا واشتغل معه هناك مدة وجيزة . وقد بقي تأثير تلك الوحشة والافتراق مع التعب والجوع في تلك الليلة التي خرج فيها المرحوم من بيت ابيه مرسوماً في رأسه فكنت تراه في آخر عمره ينقبض صدره ويتقرب وجهه كلما آن الغروب . وطالما قص هذه القصة على خالصائه ممن كانوا يجوبون لانتقاله الفجائي من السرور الى الانقباض في ذلك الميعاد

ثم رأى ذلك الرجل الذي آواه عنده اسمه المعلم شعبان ان يحضر به الى مصر فاشتغل معه في قهوة معروفة في ذلك العهد بقبوة عثمان اغا في غابة اشجار كانت موضع حديقة الازبكية . فأتسع به رزقه وخاف أن يخرج من يده ويستميله غيره من أهل هذه الصناعة فيضيع عليه رزقه فرأى ان يربطه به بعقد زواجه من ابنته فاستدله وامره واقلب يعامله اسوأ المعاملة . وكان في مصر رجل طائر الصيت في فن الغناء اسمه « المقدم » اعجب بالمرحوم فسعى جهده ليلاحقه به ويشغل معه في « تحته » حتى وصل الى غرضه وجذب المرحوم اليه وفصل بينه وبين زوجته قطعاً لعلاقته بصاحبه وانقذه مما كان فيه واستمر معه يعني على الطريقة التي كانت معروفة عند المصريين في ذلك العهد

( تاريخ الغناء بمصر ) وأصل طريقة الغناء بمصر على ما يعلم من تاريخ وضعها ان رجلاً من أهالي حلب اسمه شاكر اقلبي وفد الى القطر المصري في المائة الاولى بعد الالف وكان فن الاغان فيه مجهولاً . فنقل اليه جملة تواشيح وقود وكانت هي البقية الباقية من التلاحين التي ورثها أهالي حلب عن أهل الدولة العربية فتلقاها عنه بعضهم وصارت عندهم ذخيرة نفيسة يضمنون بها على الغير . واشتد حرصهم عليها وصار

الصعيد لما بلغهم منى الشاعر المرحوم الشيخ نجيب الحداد وكانوا من قراء أشعاره ورواياته لم يكتفوا بالبكاء والرتاء ساعة الفاجعة ولكنهم تحالفوا على نديه في كل حين — قال الراوي « واشتد بهم الأسف حتى تواطأوا على ترك الدنيا والامراف في صحتهم حتى يلحقوا به » ومهما يكن من بعد هذا القول عن الحكمة والتعقل مع ما يتخلله من دلائل الطيش فإنه يدل على درجة اشتراك عواطف الأمة بشعرائها

والموسيقى أخذت الشعر وتأثيرها اعم من تأثيره لان الشعر لا يؤثر الا على الذين يفهمونه ولا يستطيع ذلك غير الادباء المتعلمين . وأما الموسيقى فيفهمها ويتأثر منها كل ذي نعمة حية حتى الحيوان الى أدنى طبقاته . فالموسيقى ومن في معناه كالغنى والمزج يشارك الأمة في إحساسها بل هو يتلاعب بمواطفها كما يشاء . ويغلب ان



( ش ٥٢ ) : عبده الحولي

يدعو الى انشراح الصدور وزوال الهموم . ومصر من اكثر بلاد الارض حاجة الى دواعي الافراح لان اقليمها حار يورث الخمول ويضيق الصدر . وبقاعها متشابهة لا جبال فيها تشرح الصدر بمناظرها ولا بحار واسعة يشرح فيها البصر ولا غير ذلك من المناظر الطبيعية . فلا يجد المرء فرجاً من ضيقه الا بالمجالسة والمحادثة وما يلحق بذلك من المسامرة والمنادمة والغناء وضرب الآلات ونحو ذلك من بواعث الطرب وبالاختاب الطبيعي انطبع المصري على لطف الحديث واصبح شديد التأثر من الحان الغناء — فلا غرو والحالة هذه اذا أسف المصريون على عبده الحولي وهو بلبل افراحهم بل هو أعظم مغن عربي في العالم اليوم . وما من بلد في وادي النيل لم يسمع أهله غناء

الواقفون عليها يحرمون الناس من تلقينها . وبقيت بينهم على بساطتها الاصلية يتصرفون فيها بدون الشد والتصور . فكانت قاصرة على أمهات المقامات وبعض الفروع المقاربة لها وكانت بالنسبة للغناء مثل حروف الهجاء بالنسبة للكلام

واقام المغنون في مصر على هذه الطريقة البسيطة لا يتصرفون فيها الى عصر عبده الحولي فتلقاها المرحوم منهم على أصاها وغنى بها مدة ثم دفعته سجيته في الطرب وحسن ذوقه في الغناء ان يتصرف فيها مع المحافظة على الاصل وعدم الخروج عن دائرته فازال عنها بعض الجفوة . وما زال يرتقي المرحوم في شهرته بحسن الغناء حتى ألحقه المغفور له اسماعيل باشا بمعيته فسافر معه الى الاستانة مراراً وسمع هناك آلات الموسيقى التركية . وجلب اسماعيل باشا في عودته الى مصر جماعة من اكابر المغنين فيها فكان المرحوم يحضر معهم دائماً في اشتغالهم بالغناء . فاستمالته ألحانهم واخذ يذوقي منها ما يلائم المزاج المصري ويناسب الطريقة العربية ورأى المجال واسعاً له في الموسيقى التركية اذ وجد فيها كثيراً من النغمات التي لم يكن المصريين علم بها ولم تطرق آذانهم من قبل مثل النهاوند والحجاز كار والمعجم وغيرها فنقلها الى الغناء المصري . ثم التفت الى بقية مصطلحات الغناء في الطبقات المختلفة من ذلك العصر مثل المنشدين المشهورين باولاد الالبالي ( الفقهاء ) والعوالم ( القيان ) والمداحين ( الضاربين بالدفوف ) والنقط منهم ما استنسبه فاضافه مع المختار من الغناء التركي وخلطه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به . وظهر في مصر وفيها شيوخ المغنين فصار شيخاً عليهم . وقد دعاهم جهلهم بما صنعه الى استنكار طريقته في أول الامر ولكن ما لبث الناس ان ذاقوا حلاوتها وطلاوتها فعم استحسنها وذهب استنكارها وانتصر بحسنها عليهم وله فيها من التلاحين أشياء كثيرة

( مزايه ) ومن مزايه في صناعته انه كان شديد الطرب لا يقل طربه في اثناء تأديته للغناء عن طرب السامع له . وهو أول مغن مصري اهتم الى حسن الاداء واستصحاب حركة الغناء بالاشارات التي تقوم مقام الحسكية . وكان شديد الحفظ لما يسمعه مجتهداً دائماً في استخراج محاسن المسموع وطرح معاييه ذا قدرة على أن يبدل القبيح فيه بالحسن . وكان ذهنه شديد التعاق بالنغم فلا يكاد ينساه وربما نام وهو على « التخت » في أثناء الغناء ثم يستيقظ فيرجع الى الغناء كما كان فيه من غير مراجعة آلة او استرشاد باحد من معه كأنما كانت الطبقة رسخت في ذهنه فلم تشوش عليها الاصوات التي مرت عليه وهو في نومه ولم تؤثر عليه الغيبوبة في شيء . وكان لطيف التنقل يوهم السامع في ثنائه بأن مراده ما هو فيه حتى اذا رسخ ذلك في ذهنه انتقل منه الى مقام آخر يدهش



السامع ثم يتدرج حتى يهود الى ما كان عليه وذلك من أعظم المزايا واكبر الفضل في هذا الفن

وجملة القول في باب الغناء ان المرحوم جدد فيه وأبدع وأحياء في مصر بعد أن كان شيئاً خاملاً . ثم تمكن فيه من التوفيق بين المزاخين التركي والمصري فبعد أن كان أهل الطبقة الحاكمة في المصريين من الاصل التركي لا يطربون للغناء المصري ولا يلتفتون اليه أصبحوا بفضل المرحوم وبما وفقه فيه من الانتقام التركية مقبولاً عندهم مفضلاً لديهم . وبعد أن كان المصريون لا يطربون من الغناء التركي ولا يروقههم غير طريقتهم طريقة التوجه والانيين أصبحوا يطربون لما يلائمهم من الانتقام التركية التي أنشأها طريقتهم القديمة . فهو الجدير بان يسمى في مصر معدل المزاخين بين الامتين . وكما امتزج الجذسان في الاجسام بالانساب فقد مزج بينهما عبده بالغناء في الارواح . وكفاه فخراً أنه لم يصل احد من قبله ولن يصل من بعده الى مثل ما وصل اليه من هذا الابتداء والاختراع الذي اهتدى اليه بما ميزه الله به من لطف الذوق وشدة الذكاء وحدة الطرب ومحبة الاتقان والترقي في درجات الكمال

(أخلاقه) وكان كبير النفس عالي الهمة يحاول الارتفاع عن طبقة ويسى في الخروج منها مقتصراً على الاشتغال بالفن لذاته لجهل الناس في جيلهم الماضي بعلو قدره . هذا الفن وغفلتهم عن جلال منزلته بين الفنون . وقد عمد المرحوم الى ذلك بالفعل في ايام المغفور له اسماعيل باشا فترك مزاولة صناعته بالاجرة بين الناس وخرج من زمرة المغنين الى زمرة التجار غير طامع في الذهب الذي كان يسيل من حياله بممارسة صناعته في تلك الاوقات . فافتتح محلاً لتجارة الاقشة واشترك فيه مع بعض التجار بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضى عليها عشرون شهراً الا وانتهت به سلامة نيته وحسن ثقته ان خرج منها اصفر اليد مديناً للشريك دائماً للناس ينعمه الحجل ويحجبه الحياء عن طاب الوفاء . ولم يتمتع في اثناء ذلك عن الماء بين الناس بل امتنع عن طلب الاجر عليه . الى ان عادت به حاجة العيش الى مزاولة صناعته كما كان في اول امره . ولم يزل يتطلع الى غرضه في الانقطاع عنها كما فعل ودهره بحول دونه فلم يستطع بلوغه الى آخر مدته

وكان شهماً غيوراً شريف السيرة يغار لنفسه ولا عراض الناس لا يبالي في ذلك بهول المواقف وفداحة الخطوب . أمر له المغفور له اسماعيل باشا ذات ليلة باحضار المرحومة ألز لتغني في بعض قصوره وهو في عزه سلطانه وشدة بطشه لا يعصى له الناس امراً ولا يخالف هواه الا من ارتضى لنفسه سكنى القبور . ولا يحلم احد في

منامه أن يقف موقف المعارض في رغبته أو الممانع لشارته . فتوقف المرحوم عبده وكان قد تزوج بها بعد أن منعها عن ممارسة الغناء وأبى أن يخرج من بيته . فعاوده الطالب بالتشديد فاستمر على أبائه إلى أن وصل الأمر إلى استعمال القوة . فأرسل مأمور الضابطة بعض أعوانه إلى منزله وأرادوا إخراجه منها بالقوة . فوقف أمامهم وقفة الليث يحمي أشبال العرين . وفضل الموت أو أن يفي على أن تغني المرحومة لحناً واحداً لأحد وهي في عصمته . ولما لم يفده ، وقفه أمام القوة بفائدة استمهلهم برهة ريثما يعود إليهم . فدخل البيت والتي بنفسه إلى حائط الجار وخرج منها إلى الطريق لاجئاً إلى صديقه المرحوم الشيخ علي المليث فكشفه بما هو فيه من هول الخطب . وكان هذا الشاعر المرحوم ممن جمع الله له أيضاً كثيراً من المزايا الفاضلة والأخلاق الكريمة وأخصها علو الهمة والسعي لخير الناس . وكان ذا مكانة رفيعة عند المرحوم اسماعيل باشا صديق فقام إليه في الحال وتواقع الشيخ عليه ياتمس حسن الوساطة لدى ذلك الحاكم القاهر ليرجع في أمره . فقام الوزير من ساعته وقصد مولاه وتلطف له ما أمكن في الاعتذار وما زال به حتى رجع عن طلبه ورضي بعصيان عبده لطاعته وخلص المرحوم من هذه الحادثة معافى في نفسه مصاباً في جسمه . فقد تولد له من اضطراب أعصابه من شدة ما قاساه في هذه البازلة داء الصداع فلم يفارقه طول حياته . وكانت إذا انتثرته نوبته القته على الأرض صريعاً يخبط في أشد الآلام لا يكاد من يراه على تلك الحال يصدق بنجاته فيها . فإذا افاق لزم الفراش من عظم وقعها مدة طويلة . ولم ينجح في ذلك الداء معالجة الأطباء . وسافر المرحوم في سنة ١٨٩٦ إلى الاستانة العلمية وحظي هناك بالمثل في الحضور الشاهاني مراراً وأعجب أمير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن تأديته له فاسني عطية وبلانه حسن رضائه وكان الوساطة بينهما للتبليغ في ذلك المجلس السيد أبي الهدى . ومما تلقاه عنه من أوامر أمير المؤمنين أن يلقن ما غناه في حضرته من الاصوات لبعض ضباط الموسيقى الشاهانية فلقن المرحوم منه ما أمكنه ولم يسع الوقت تمام القيام بالأمر فوعد أنه سيشتغل عند عوته إلى مصر يربط تلك الاصوات برابطة « النوطة » ثم يعرضها على الاعتبار الشاهانية ليسهل أخذها على ضباط الموسيقى

فلما عاد إلى مصر أعياها عشرية صوتاً ( دوراً ) مربوطة ( بالنوطة ) وأرسلها من طريق رسمي إلى الاستانة فلم يلق فيها ما يحقق آماله ( وقانه ) وعاد إلى مصر مصاباً بداء « البول السكري » فانك جسمه وأضعف قواد وغادر حلوان إلى سكنى مصر وقد تراكت عليه هموم الحياة فزادت

٢٥٧	السيد عبد الغفار الاخرس	٢٢٣	جميل المدوّر
٢٦١	الحاج عمر الانسي	٢٢٦	المطران يوسف الدبس
٢٦٦	الشيخ خليل اليازجي	٢٣٠	سليم غنائيل شهاده
٢٧٢	عبد الله باشا فكري	٢٣٢	الدكتور يوحنا ورتبات
٢٧٨	اسعد طراد	٢٣٨	الدكتور جورج بوست
٢٨٢	المعلم ناجي		الشعراء
٢٨٦	الياس صالح		
٢٩١	الشيخ نجيب الحداد	٢٤٣	يحيى بن الجندي
٢٩٨	محمود باشا سامي البارودي	٢٤٦	المعلم بطرس كرامه
٣٠٥	عبد الحولي ( موسيقي )	٢٥٠	عبد الباقي العمري
		٢٥٣	فرنسيس مراش

(تم الفهرس)